مارس (آذار) ١٩٨٦، رجب ١٤٠٦

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest March 86 N° 88

جياد بوغاتي

(ص ١٠٠)

أم نادرة ١١
أين الخطر في المحليات الاصطناعية؟ ١٦
أعطوا الحب أفضل ما لديكم ٢١
طيارا ن على طوف جليدي ٢٤
ثورة قلم ٣٠
مدرسة رامبرانت ٣٣
ليلة النار في بلنسيا ٤٠
روح الجبال ٤٦
نظام المقايضة للدول المفلسة ٤٩
رسالة الى صديق ٥٤
المحامي الصالح ٦٠
عار أمريكا ٦٢
ميلانو عروس إيطاليا ٦٧
آلات من الماضي ٧٥
زرع الاعضاء: عفن يروض المناعة ٨١
قاموس عقاري ٨٦
سيبيريا حلم الرواد ٨٨

كيف نتفادى السكتات القلبية

(ص ٥٦)

معلمة لا تُنسى ٩٤
تنظيف المتوسط مهمة عربية ودولية ١٠٦
سجين الوادي (مأساة واقعية) ١١٣
كتاب الشهر: إنكليزي في الصين ١٢١
الاخ الكبير ٢
الصيدلي ومعجون الاسنان ٨
الضحك ٣٩ - حكايات من العالم ٥٣ - صور من الحياة ٦٦ -
دائرة المعارف ١١٩ - الشهر المقبل في "المختار" ١٤٣

القبلة تخفض الوزن!

(ص ٧٣)

٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
دية ١٠ر - مصر ٥٠٠م - السودان ١ج - ليبيا ٧٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بَل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صُمّم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عمَلك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحمّام السبَاحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة الى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجاريّة ... ولا تنسَ المطعم الدوّار المطلّ على مدينة دمشق التاريخيّة بأكملها التي تُعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميّز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضاريّة وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب : ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (٥٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عَراقة في التقاليد

المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: **ادمون صعب.**
امانة التحرير: **راغدة حداد.** الاخراج: **جورج غالي.** الخطوط: **جبران مطر.**

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.** الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.**
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح.**
المدير العام المعاون: **داني دحداح - باز.**
الاشتراكات: **فريال علاف.**
التحرير والادارة: **مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠**
ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: **بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MEM 22288 LE .**
الصف والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.**
الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.**
التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.**
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

© 1986 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 - 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

March 86 N° 88 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: **كين غيلمور.** مدير التحرير: **جيريمي هـ. دول.** المدير العام: **جورج ف. غرون.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية واليونانية، الى العربية.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئياً او كلياً، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٧ لغة.

الأخ الكبير

كان في سن تخوله حمل المسؤولية.
ولكن هل يجوز الوثوق
بالمراهقين هذه الايام؟

خرجتُ في احدى الامسيات تاركة ابني ذا الاعوام السبعة عشر ليرعى اخاً في الثامنة من العمر وأختاً في الرابعة. وأؤكّد لكم أَن ذلك كان بادرة ثقة.

وكنت أوليته هذه المسؤولية من قبل وطلبت منه أن يبقي لي الباب الجانبي مفتوحاً. وذلك عين ما فعل. وحين عدت الى البيت في تلك الليلة العاصفة وجدت الباب مفتوحاً على مصراعيه. ومن حسن الحظ لم يدخل أي متطفل، لكن برداً قارساً دخل.

أنا على ايمان راسخ بأَنّ لكل انسان الحق في فرصة أخرى وأنّ على كل فرد أن يؤدي عملا في البيت. ولا أرى غضاضة في أن يتولى أخ أكبر رعاية طفل في غياب

والديه. وفي هذه المناسبة كان العمل أقل مشقة بسبب وجود صديقته معه. وخرجت من البيت واثقة تماماً بأن الكبيرين سيقومان بعمل رائع في رعاية الصغيرين اللذين سيقومان بعمل رائع أيضاً في السهر على حسن سلوك الكبيرين.

وفي وقت لاحق تلك الليلة اكتشفت أَن الثقة كانت آخر ما يجب أن يخامرني وأنا أغادر البيت.

وقرّرت العودة أبكر مما رسمت سابقاً، فاتصلت بالبيت لأنقل الى ابني النبأ السار. ولكن بدلا من أن أستمع الى صوته المبتهج الممتنّ كان كل ما سمعته رنين هاتف لا يجيب.

وكان الوقت تجاوز العاشرة مساء، أي ان الصغيرين يجب أن يكونا في سريريهما والكبيرين يجب أن يردا على الهاتف.

من الواضح أنني طلبت الرقم الخطأ. وأعدت ادارة القرص بانتباه.

لا أحد يرد. وبدأ الذعر ينتابني.

"سألوي رقبته!"

وقدّرت أنهما في الخارج. لماذا يخرجان في العاشرة والنصف في ليلة ممطرة؟ هذا ما لم اكن اعلمه، لكنه كان التفسير الوحيد الذي تبادر الى ذهني. وانتظرت بضع دقائق واتصلت ثانية فلم أتلقَّ رداً.

Condensed From The Washington Post (December 28, '83), © 1983 by The Washington Post Co. Washington, D.C. Illustration: Steven Petruccio

كَانَ لنَا حُلمٌ

كنا نحلم بابتكار اكثر اجهزة التسلية المنزلية شمولاً في عالم الصوتيات والفيديو.

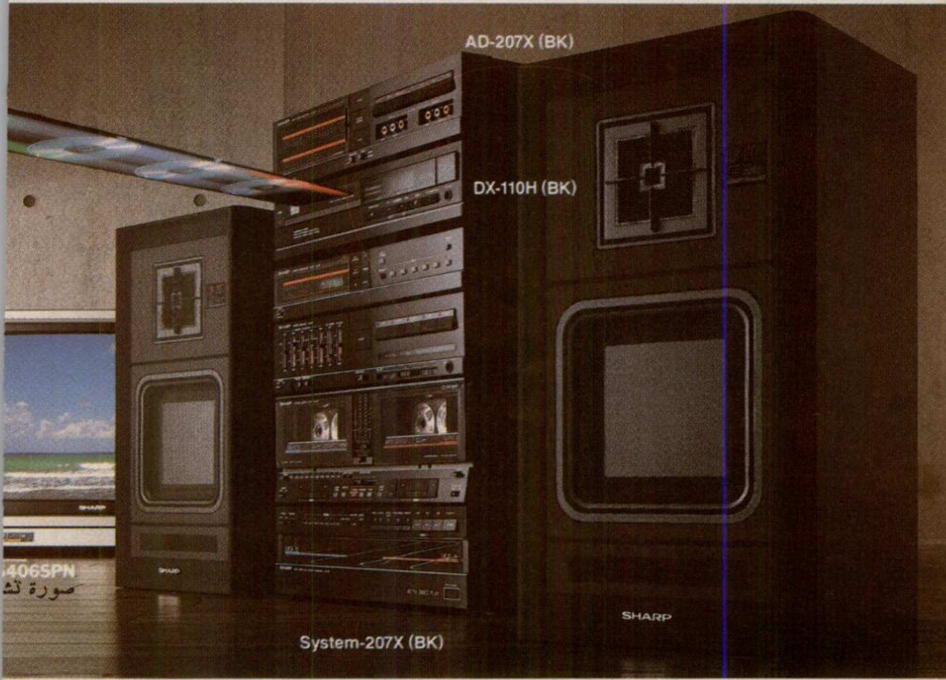

جهاز شارب **207X (BK)** الجديد يحقق احلامك في الاجهزة السمعية والفيديو بالدقة الصوتية
الرفيعة ومشغّل الاسطوانات على الجهتين الفريد والمتميز بذراع ابرة يتحرك في خط مستقيم. وهكذا
تنمو احلامك وتكبر. ان جهاز الانتقاء السمعي / الفيديو من شارب يمكن توصيله بجهازي فيديو
ومشغّل اسطوانات فيديو، وتلفزيون وتشكيلة واسعة من الاجهزة السمعية. ان كنت لا تصدّق ما نقول
فصدّق احلامك.

System-207X (BK) نظام قطع هاي ــ فاي متوسط الحجم ومزوّد مشغّل اسطوانات على
الجهتين، بذراع ابرة يتحرك بخط مستقيم، وتقنية الكاسيت المزدوجة

DX-110H (BK) مشغّل اسطوانات سمعي رقمي وصغير الحجم مزوّد اشعة لايزر شبه موصلة
وذات ضوء مرئي، لضمان اداء اطول عمراً.

AD-207X (BK) جهاز إنتقاء سمعي ــ فيديو مع نظام توصيل لسبعة اجهزة وامكان التسجيل
المزدوج السمعي / الفيديو.

فليَكنْ حلمكْ

شارب
SHARP
شركة شارب، اليابان

"سأقتله!"

وأخيراً، في لحظة يأس، اتصلت ببيت صديقته. وبعد رنين لا يُعدّ حدثت الاعجوبة وردّت صديقته لتقول ببهجة: "نعم، انه هنا."

وتناول السماعة ليكلمني. ولم أكن أنا في هدوئي المعتاد. فمن قواعد حياة الاهل العصريين عدم الثقة بالمراهقين العصريين. وسألته: "أين الصغيران؟" فأجاب انهما معه. وشرح لي خطأ كل أفكاري المخيفة والتي كانت في غير محلها. انهم لم يخرجوا ليركبوا رؤوسهم ولم يشعلوا البيت ولم يدخنوا سيجارة.

انه أخذ الصغيرين الى بيت صديقته ليأكلوا البوظة (الجيلاتي) والكعك هناك.

ولكن هذا ما لم يفعله مراهقو أمريكا منذ الخمسينات. انه أروع من أن يصدق.

والواقع انه كان يجب ألا أصدق هذا الكلام، فهو كان جزءاً من الحقيقة.

مساء السبت كنا في منزل والديّ نحتفل بذكرى ميلادي. وتلقيت هدايا بديعة كما تلقيت هدايا مضحكة، هذا اذا اعتبرتم الفيتامين "هـ" (E) وعصيّ السير هدايا مضحكة.

ثم قدّم الي ابني الاكبر هدايا الاولاد. كانت مجموعة من الصور الفوتوغرافية المؤطَّرة بدا فيها أولادي يرتدون أحسن ثيابهم وقد رسموا على وجوههم أجمل ابتسامات. كانت تلك الصور كنزاً يجدر حفظه مدى الحياة، وقد التقطها كلها والد صديقة ابني.

هذا ما فعله أولادي حين ذهبوا تلك الليلة الى بيت الصديقة لكي يأكلوا البوظة والكعك.

وكانت تلك أغلى ما تلقيت من هدايا.

جودي مان ■

اهتمامات آن لاندرز

تتذكر مارغو هاورد ابنة الصحافية الشهيرة آن لاندرز اهتمام والدتها بالجنود الامريكيين في فيتنام:

"عام ١٩٦٧ ذهبت أمي في رحلة لزيارة الجنود في المستشفيات الميدانية. وكانت تتحدث الى كل واحد منهم. وأبدى ضابط اداري ملاحظة اذ قال: "ان معظم المشاهير يسيرون عبر مهاجع بعض المرضى وتؤخذ لهم الصور ثم يغادرون. أما هذه المرأة فقد زارت المرضى فرداً فرداً. انها الساعة الحادية عشرة ليلا، وأنا أعرف انها لم تسترح منذ الصباح. فمن أين تأتي بكل هذه الطاقة؟"

وحين عادت أمي الى الولايات المتحدة اتصلت بعائلات جميع الجنود الذين التقتهم وطلبوا منها أن تتصل بأحبائهم في الوطن. وهذه الاتصالات البسيطة أفعمت قلوب الاهل بالبهجة:

ريك يرسل اليك حبة ويود ان يعرف كيف حال الحديقة الآن."

من "قصة آن لاندرز"

آفاق ن

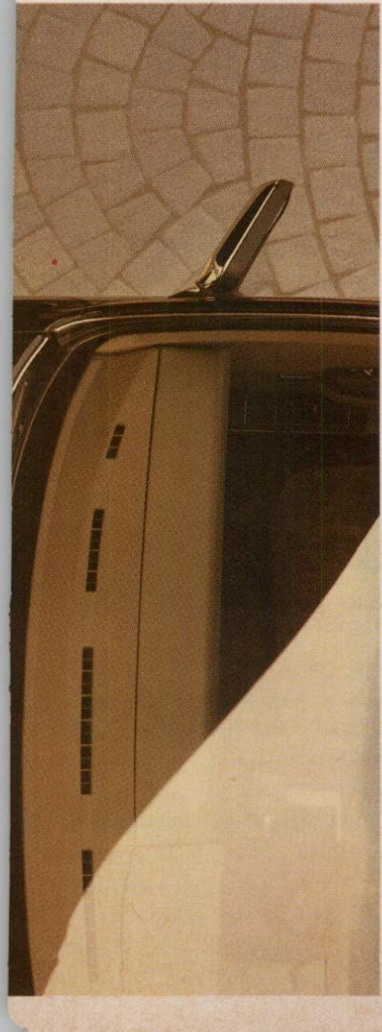

الابتكار

يختار الناس سيارات نيسان لأسباب مختلفة.

فبعضهم يرى فيها القوة والاداء، ويرى فيها البعض الاخر أناقة الشكل والتكنولوجيا المتقدمة. وكل من هؤلاء على حق. لأن سيارات نيسان تحتوى على كل هذه العناصر مجتمعة. فمحركات VG30ET مثلاً، ليست قوية وحسب بل تجمع بين القوة والهدوء والدقة. لقد قدم المحرك V6 ذو القوة الهائلة والذي يعمل بالكومبيوتر على انه فتح جديد في تكنولوجيا السيارات ومع ذلك فهو صغير الحجم، خفيف الوزن، اقتصادي في الوقود وهادىء جداً أثناء تشغيله.

إن محركات VG30ET تستخدم أحدث منجزات التكنولوجيا لتحقيق ادائها ودقتها غير العادية.

وباختصار فإن التصميم المبتكر للمحرك VG30ET لم يولد من مجرد الرغبة في نيل اعجابك بقوته فقط، بل هو ابتكار يمنحك الافضل في كل شيء.

فلا عجب إذن أن يكون مطلوباً بشكل كبير من جانب سائقي السيارات الذين يرغبون في الموازنة بين القوة ورهافة الحس التكنولوجي.

ومثل ملايين السائقين في جميع أنحاء العالم، إجعل نيسان إختيارك الأمثل ففي كل سيارة منها يمكنك إيجاد مزايا غير مرئية لكنها حقيقية وتنفرد بيها نيسان عن الاخرين — إنها آفاق نيسان.

الجودة في حركتها

نيسان NISSAN

ـان

نيسان
الاختيار الأمثل

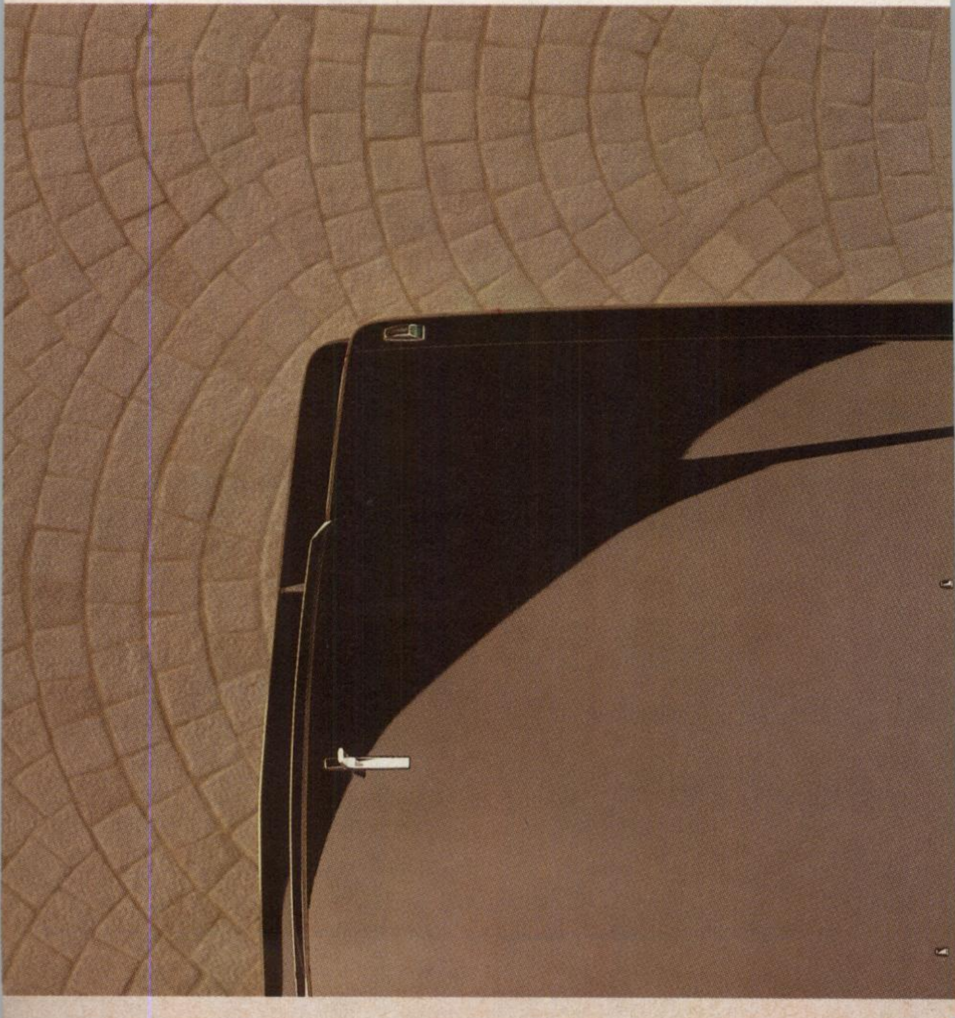

الصيدلي ومعجون الأسنان

كاتب فكاهي سويسري يروي قصته مع معجون أسنان

تتولى زوجتي عادة شراء ما تحتاج اليه العائلة من معجون اسنان. وقبل فترة وجيزة كنت مسافراً وافتقدت المعجون والزوجة معاً.

لكن شراء معجون الأسنان ليس مشكلة بالنسبة الى رجل في عمري. ونصحني موظف الاستقبال في الفندق بالذهاب الى صيدلية قريبة. وهناك استقبلني شاب تبدو على وجهه سيماء أستاذ في الطب وسألني عما أريد.

قلت له: "أريد شراء معجون أسنان." وعبس وتولى كأني سألته عن كلية أزرعها.

وهمس الشاب: "تعال." وجذبني الى زاوية في المحل مستفسراً: "هل تريد المعجون لك شخصياً؟"

ظننت للوهلة الاولى أني وقعت على متجر تستخدم فيه كلمة "معجون" كرمز لحشيشة الكيف. وأجبته: "أريده لنفسي." وأضفت أن زوجتي وأولادي قد يستعملونه أيضاً.

قال البائع بلهجة جادة: "فهمت. هذا يعني أنك تريد معجوناً متعدد الاغراض."

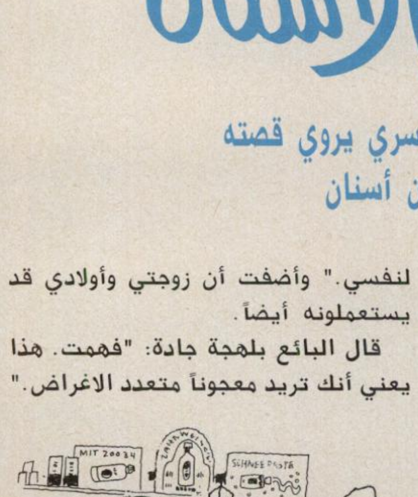

Copyright © 1984 by Hans Moser. Condensed from der schweizerische Beobachter (February 29, 1984), Glattbrugg ZH. Illustration by Hans Moser

واعترضت: "لا، أريده لتنظيف أسناني فقط." وبدا لي كأنه لم يسمع قولي فمضى يشرح: "لدينا ٤٥ صنفاً من معجون الاسنان المتعدد الاغراض." ثم حدجني بنظرة فاحصة واستطرد: "هل تستعمل فرشاة أسنان كهربائية أم فرشاة من النوع اليدوي القديم؟"

أجبت ووجهي يكاد يحمرّ خجلا: "لدي فرشاة أسنان يدوية من النوع القديم."

نظر الشاب الي باشفاق وأخذني الى الجانب الآخر من العارضة وقال: "عندنا ٣٢ صنفاً من معجون الأسنان المخصص للفراشي اليدوية العادية."

قلت محاولا التخلّص من هذه الورطة: "سآخذ واحداً من هذه الأصناف."

وحدّق الي من خلف نظارتيه ثم تناول أحد الانابيب وقال: "لا ريب في أنك تريد معجوناً يطيّب أنفاسك وينظّف أسنانك."

أجبت ويدي تمتد لتمسك بالانبوب: "تماماً." لكنه كان أسرع مني فأخفى الانبوب وراء ظهره وهمس: "هذا الانبوب يحتوي على مادة ايليريديوم."

- وما هذه؟

"انها تجعل أسنانك بيضاء كالثلج الجديد. ويدوم مفعولها ١٢ ساعة ويمكن أن تُرى مشعة في الظلام من مسافة ثلاثة أمتار."

وتخيلتني وزوجتي يبتسم كل منا للآخر في ظلام غرفة نومنا. ولكن عند هذا الحد بت على استعداد لشراء أي شيء. فقلت متساهلا: "حسناً، سأشتري المعجون الذي يحتوي على الايليريديوم."

لكن البائع أصر على الاطالة: "هل تريد واحداً يحتوي على عنصر ز ٦٨.. المقوي للثة أم واحداً من النوع العادي المحضر للأسنان التي ستتساقط في أي حال؟"

- من النوع الذي يحتوي على عنصر ز ٦٨..

"مع الفلورايد طبعاً."

- طبعاً.

"انه متوافر بخطوط مستطيلة حمراء أو بنقشة مرقطة." ثم تراجع وأخذ يمشطني بنظراته من قمة رأسي الى قدمي، وتابع: "أنت نحيف، لذلك أنصحك بشراء النوع المرقط. انه يجعل منكبيك يبدوان أعرض."

وتنهدت الصعداء: "حسناً، سآخذ المرقط بالأبيض والأحمر."

لكن الشاب عاد يقول: "ينبغي ألا ننسى أن زوجتك ستستعمل المعجون أيضاً. هل شعر السيدة أشقر أم أسود؟"

- أشقر.

"في هذا الحال أنصحك بالمرقط بالأزرق."

ووافقته على رأيه. لكنه لم يسكت: "اننا نبيع المعجون في أربعة أحجام: العائلي والاقتصادي والعادي والصغير."

قلت من فوري: "أعطني الحجم الصغير للسفر من فضلك." ولكن سبق السيف العزل اذ استدار صاحبنا وغاب ثم برز ثانية وهو يحمل ١٢ أنبوباً من الحجم الصغير.

ولذت بالباب هارباً وسمعته يقول: "هل لي أن أسألك الى أي بلاد أنت مسافر؟ لأن عندنا..."

ولم أسمع بقية كلامه لأن الباب انصفق ورائي.

هانس موزر ■

كفاءة عالية

الكونكورد . انها الأسرع والأكثر قدرةً والأقدم خبرةً
نقل المسافرين جوًّا في أيامنا الحاضرة . لذلك، طيّارونا يقودو
الكونكورد باعتزازٍ كبير .
أما التقنيّة الشاملة التي تتمتع بها الكونكورد، فهي مثالٌ آخ
على المستوى العالي للكفاءة التي لا بُدّ وأن تلمسها حين تسافر
الخطوط الجويّة الفرنسيّة .

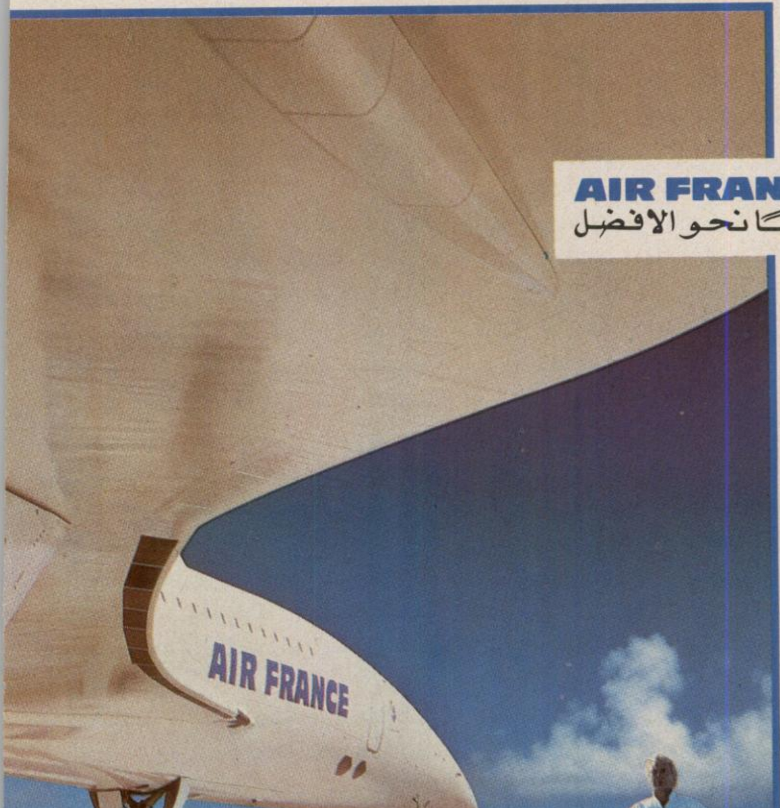

AIR FRANCE
دومًا نحو الأفضل

المختار
من ريدرز دايجست
مارس (اذار) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

أمّ نادرة

سيرة ممرضة بريطانية في منتصف العمر فتحت قلبها وبيتها لعشرات الاطفال

احدى أشهر الامهات في بريطانيا هي في السابعة والاربعين من العمر. انها ممرضة سابقة فتحت قلبها وبيتها لنحو ثلاثين طفلا.

جانيت بيترز العزباء هي من القطاع الشرقي في لندن، وأولادها كما تقول "هم أولئك الذين نبذهم جميع الآخرين."

لقد رفضت الاقرار بان هناك طفلا تستحيل استمالته. وكان نجاحها العظيم مدعاة لان يطلق عليها لقب "صانعة العجائب".

أكبر أبناء جانيت هو الآن في الثانية والثلاثين من العمر، وبين أصغرهم صبي في الثالثة وتوأمان ذكران في الرابعة مصابان بالتخلف المنغولي(١).

تبنت جانيت تسعة منهم رسمياً، وهي الوصية الشرعية على ثلاثة آخرين. ومع أنها ترغب في تبني الباقين فقد ظلوا أربّة(٢) لكي لا تنقطع عنهم المخصصات الحكومية التي لا يسع جانيت الاستمرار في رسالتها من دونها.

وجميعهم الا واحداً اختاروا أن يحملوا اسمها. وكل واحد منهم يناديها "ماما".

زرتها في بيتها الذي سكنته مدة سنتين. وهو عبارة عن بناءين من أربع طبقات على الطراز الفيكتوري في شارع هادىء من القطاع الشرقي. ورحبت بي في غرفة استقبال ناصعة النظافة تزيّنها طرائف يدوية وصور للاولاد مؤطرة وموضوعة في كل متسع.

ولم يلبث الاولاد أن عادوا من المدرسة.

---

(١) المنغولية Mongolism أو داء داون Down's Syndrome بلاهة خِلقية يكون المصاب بها منحرف العينين مسطح الجمجمة عريض اليدين قصير الاصابع.

(٢) جمع ربيب، وهو ابن بالتربية.

ولا يزال منهم ١٥ صبيا وست بنات يعيشون في البيت مع مجموعة حيوانات مدللة. وعندما اندفعوا نازلين السلالم لتناول الشاي وقفت جانيت بينهم هادئة شقراء بشعر معقوص وجسم ممتلىء وكأنها قائدة في حلقة كشفية.

مشوار طويل - جاء معظم أولاد جانيت من بيوت رعاية محلية. خمسة منهم أيتام، وبعضهم مصاب بعاهات جسدية أو عقلية. إيان (١٨ عاماً) مقعد نتيجة سوء تغذية عضلي(٣). وإيفي (٢٣ عاماً) مصنفة "دون المستوى التربوي". وكولين (٢٠ عاماً) وُلِد كالتوأمين مصاباً بالتخلف المنغولي.

الشيء الوحيد الذي يجمع بينهم عمر من التشرد والرعب وسوء المعاملة. "انه الجحيم المطلق" بكلمات فتاة وصفت ما مر بها. وتحتدم افتخاراً وهي تباهي بأن اسمها الآن روبرتس وان هذا هو بيتها الى الابد. أما كارين (٢٦ عاماً) التي باتت تعمل وتعيل نفسها فتعود الى البيت يومياً. وهي رفضت أن تحدثني عن ماضيها، لكنها تهللت عند ذكر جانيت وقالت: "انها رائعة الى حد الغرابة. فهي تدرك جميع حاجاتنا وتهتم لها وتذهب في سبيل تحقيقها كل مذهب."

بعض الصغار اختبروا تنقلات أكثر من أن يستطيعوا تذكرها. وأحدهم عاش في أكثر من ١٩ منزلا. وتقول جانيت: "بعد أن يصلوا الى هنا يبقون حقائبهم محزومة لاشهر متوقعين التحرك مرة أخرى، حتى اذا حلّوها عرفنا أننا ربحنا الرهان."

ولكن في معظم الحالات لا يكون ذلك سوى بداية مشوار طويل. وتلفت جانيت الى أن "العسف الجسدي والعقلي يترك جروحاً تقتضي وقتاً طويلا للاندمال. أحد الاطفال ترك على باب جانيت وهو في السادسة من عمره مع بطاقة من أمه تطلب العون. لقد تسببت نوبات عنف كانت تصيبه في زيادة حدة العنف في طبع الام مما أغرق الطفل في دوّامة من الاذى الجسدي. وتروي جانيت انه "مرت على الطفل ثلاث سنوات قبل أن يستقر ويصفو، وكان علي أن أؤكد له المرة تلو الاخرى أننا نحبه ونريده." أما الآن وقد كبر فهو يعيش في بيت مستقل ويعمل مع أناس ناضجين.

وهناك آخر في السادسة كان معتاداً السرقة. وهو صنِّف متخلفاً عقلياً ولم يحرز أي تقدم في تعلم القراءة والكتابة. وأعلن اساتذته أنه غير مؤهل للعلم لكن جانيت لم تصدقهم: "كنت أعلم أن ذلك غير صحيح. ولقد كانت في ذهنه خريطة كاملة لهذا الجزء من المدينة." لذلك أعدّت له برنامجا تعليمياً خاصاً. وخلال سنتين استطاع الالتحاق بأحد الصفوف في مدرسة عادية. انه الآن في الجيش، ويقوم بعمله جيداً. وتشير جانيت بفخر الى الجوائز الرياضية التي نالها.

حب مكثف - جانيت روبرتس امرأة خارقة على جميع المستويات. انها خجولة وغير مدعية. وتنكر وصف انجازاتها بالعمل البطولي وتقول: "اننا نعيش كعائلة كبيرة. وليس في ذلك أمر غير

---

(٣) Muscular dystrophy

عادي." وتتابع بلهجة لندنية لطيفة: "أهم ما أمنح أولادي هو الاستقرار. وعندما يتقبلون فكرة أن هذا هو بيتهم يصبح ما أعمله قليلا جداً."

ان تأثير جانيت بارز خصوصاً في اطار النظام الصارم الذي وضعته. فكل واحد من الاولاد يستيقظ في السابعة يومياً. الكبار يُعدّون الفطور ويحضرون المائدة ويغسلون الصحون، والصغار يرتبون الغرف والاسرة ويكنسون ويمسحون. وتعقد بعد الفطور جلسة عائلية تدوم ٢٠ دقيقة وتتخللها صلاة ومناقشة لمخططات مستقبلية، بما فيها قدوم طفل جديد، وحل أي مشكلة قد تواجه الاولاد. ويتشكى أحدهم من عدم نظافة شريكه في الغرفة. وتطلب أخرى مساعدتها في عمل منزلي. وتقول الزائرة الصحية كارول سنكر التي تعرف العائلة منذ عشر سنين: "جميع مخاوفهم وأسباب قلقهم وازعاجهم يباح بها وتعلن. ليست بينهم أسرار."

ولا شك في أن التكافل المتبادل بين الاولاد هو القوة الكبرى في بيت آل روبرتس. وتصفهم جانيت بانهم "يضعون تجاربهم الشخصية في خدمة بعضهم بعضاً." وعندما ينفجر قادم جديد في نوبة غضب أو هياج يأخذه الاولاد جانباً ويقولون له: "عليك الا تفعل ذلك هنا. نحن لا نريد أخاً يتصرف على هذا النحو."

وتكافل هذه الجماعة صنع العجائب مع التوأمين المتخلفين الذين لم يكونا يستطيعان الجلوس باستقامة يوم تسلمتهما جانيت في يونيو (حزيران) ١٩٨٣. فمنذ لحظة وصولهما أحيطا بالحوافز الدائمة الضرورية لنموهما. وخلال ستة أشهر كانا يناغيان ويجلسان ويحبوان في جميع الاتجاهات. وترى إلسي لويس وهي معلمة محلية وصديقة للعائلة: "ان الحب المكثف الذي أغدق على هذين الطفلين لا يمكن وجوده في أي مكان آخر."

عناية خاصة – نشأت جانيت روبرتس في شرق لندن في جو مماثل للاجواء التي ربي فيها معظم أبنائها. كان والداها دائمي الشجار، وهما طلقا عندما كانت في الرابعة عشرة من العمر. وتدربت كممرضة في مستشفى "مايل إند" في لندن، ثم تابعت دراستها لتصبح قابلة وتحصل على شهادة مربية اطفال. وخطبت للزواج، لكنها فسخت خطبتها لان خطيبها كان يريد أربعة اطفال فيما كانت هي لا تريد الانجاب في ذلك الوقت.

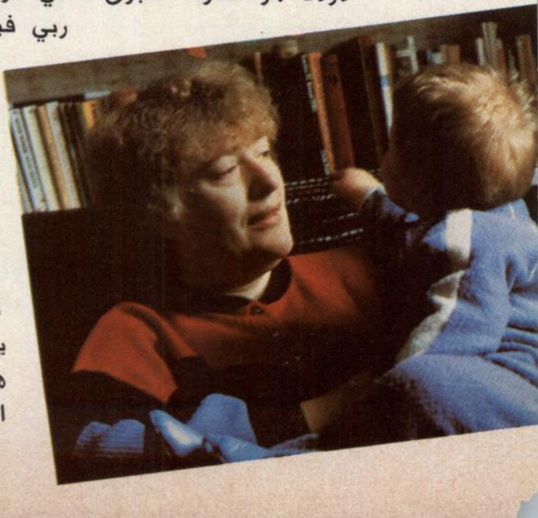

وفي العام ١٩٦٧ أثناء عملها الاول كممرضة في لندن، صادفت عدداً من الاولاد الذين نبذتهم الفرق الكشفية والجماعات المحلية الاخرى بحجة كونهم غير انضباطيين. وقررت أن تنشىء لهم نادياً خاصاً متوقعة حضور بضعة عشر منهم على الاكثر في اللقاء الاول. وأدهشها أن جاءها نحو ثمانين.

وعلى رغم ازدهار النادي فقد أدركت جانيت أن الاولاد في حاجة الى المزيد. كثيرون منهم لم يكن لهم منزل ولا عائلة. وسرعان ما أمّنت لبعضهم مأوى ليلياً في بيتها الذي يحوي غرفة نوم واحدة. ولم تلبث وحدة الخدمات العائلية في المدينة، وقد اعجبتها مقدرة جانيت في معالجة مشاكل الاولاد، أن طلبت منها العناية بفتاة في الرابعة عشرة تعاني "تمزقاً" مسلكياً. وتعلن جانيت: "هنا كانت بداية كل شيء."

وسرعان ما كثر العدد. وكلما انتقلت جانيت الى منزل أوسع كانت تأخذ أولاداً آخرين. والمسألة في نظرها سهلة جداً: "رأيي انه كلما آويت طفلا نقص عدد الاطفال الذين لا مأوى لهم واحداً."

كانت المهمة شاقة. وكانت جانيت لا تزال تعمل ممرضة. لذلك ساعدها الاصدقاء. وقد باتت احداهن، وهي جويس ناش، من أفراد العائلة. انها ممرضة محاضرة في معهد بوليتكنيك شمال شرق لندن، وكل مساء تصبح "خالة" للشلة.

واذ ازداد عدد الافواه في العائلة تفاقمت المشكلة المالية. ولم تكن جانيت تتلقى في تلك الايام الاولى إعانات كافية للقيام بأود الاطفال.

ومع مرور الوقت اعتُبر معظم الاولاد أربّة رسمياً، وحق لجانيت الحصول على مخصصات حكومية مما سمح لها بالتخلي عن عملها ووقف نفسها كلياً على عائلتها مخصصة وقتاً اطول لاولئك الذين كانوا، مثل إيڤي، في حاجة الى عناية خاصة.

عندما جاءت إيڤي كانت في السن الثالثة عشرة وتعاني اضطراباً عاطفياً وانغلاقاً كلياً على التعلّم وعجزاً عن التكلّم. وراحت جانيت ترفع من معنوياتها كأن تعهد اليها في مهمات معينة كتحضير الشاي والعناية بالصغار. وخلال أشهر كبرت ثقة إيڤي بنفسها وباتت تتكلم بوضوح. وهي اليوم تعطف على "اخوتها" وتشعر بالمسؤولية تجاههم وتقلق اذا تأخروا في العودة من المدرسة.

حفلات عائلية – كلما زاد عدد أفراد العائلة واحداً تقول جانيت انها وصلت الى الكفاية وليست لديها القوة ولا الموارد لاستقبال المزيد. ولكن ليس من طبيعتها أن ترد طلباً. وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٨٤ كانت احدى صديقاتها تحتضر، وهي أم لثلاثة أولاد في الثانية والثالثة عشرة والسابعة عشرة من أعمارهم. وطلبت من جانيت أن تكون الوصية الشرعية على الاطفال، فوافقت. ومن دون جلبة زادت ثلاثة أسرّة ورحبت بالقادمين الجدد بعناق أمومي. وتعترف: "ان أصعب الامور قول: لا!"

ومع كون جانيت آخر من يتذمر فهي تقر بأن هناك أياماً تشعر فيها بأنها

متعبة جداً وبأنها نالت حصة لا بأس بها من سوء الحظ، كمعانـاة الاضطراب العاطفي والمسلكي في الاطفال وهرب بعض المراهقين من البيت، وقد بقي أحدهم هارباً مدة ستة أشهر.

وأكثر ما يقلقها المعاناة المالية الدائمة. فشهية الفتية ترفع فاتورة الطعام الى ٥٠٠ جنيه أسبوعياً، في حين انها تتلقى مخصصات اسبوعية تراوح بين ٣٠ و٤٠ جنيهاً عن كل ربيب، ويزاد المبلغ اذا كان الولد معاقاً أو تصعب رعايته، وتخصص مبالغ صغيرة للاولاد المتبنين الذين يقتضون عناية خاصة. وتساهم جويس "بكل فلس" من راتبها. وتقدم مؤسسات وأفراد حسنو النيات هدايا نقدية وعينية. لكن الاصدقاء لا يزالون يتساءلون: كيف تتدبر جانيت أمرها؟ فيجيب أحدهم: "ان الله معها."

وعلى رغم الافتقار الى المال فلا تنسى مناسبة واحـدة للاحتفـالات السارّة. فجانيت وجويس تتذكران جميع أعياد الميلاد وهداياها، فيُصنع قالب الحلوى وتقام الحفلة. وفي عيد غي فوكس انضم الى العائلة حول النار في الحديقة نحو عشرين صديقاً، ولبست جانيت ثوباً تنكرياً وراحت تقدم الهامبرغر والبطاطا المشوية. أما أجمل الحفلات فهي حفلة عيد الميلاد حين تقدم جانيت وجويس طعام العشاء لخمسة وثلاثين شخصاً على الاقل بمن فيهم الابناء الكبار الذين غادروا البيت، وبعضهم يأتي وهو يسحب وراءه ابناءه.

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ انتقلت عائلة روبرتس مرة أخرى الى بيت أكبر شيد على مساحة هكتارين ونصف هكتار من الارض قرب سيلمسفورد في مقاطعة ايسكس، وقربه بستان يوفر فرص العمل للاولاد الاكبر سناً.

وكانت جانيت منذ وقت طويل ترغب في الانتقال الى الريف، لكنها أرادت أن تتأكد اولا من أن الاولاد الذين كبروا وتركوا البيت كانوا سعداء ومستقرين. وتقول: "ما يسعدني انهم ما زالوا يتعاونون ويتبادلون الزيارات والاتصالات. وعندما يرزق أحدهم طفـلا يتنادون للمساعدة. ان في استطـاعتي الآن الانتقـال وأنـا مطمئنـة الى أنهم سيتكافلون."

وتتحدث جانيت عن "أولادها" بفخر: "لقد أعطوني اكثر بكثير مما أعطيتهم، وكل أملي الآن أن يكبروا ويسعدوا في الزواج ويهبوني الكثير من الاحفاد."

ثم تتوقف متأملة وتتابع: "لكنني لا أزال افكر في جميع اولئك الذين لن يتعرفوا الى فرح العائلة وليس لهم في العالم من يعنى بهم. وقد قال لي مرة صبي في التاسعة: أريد انساناً يصرخ من اجلي. وهذا ما يريده كل طفل: انسانا يهتم به."

ديبورا كاولي ■

الانسان كالكسر الحسابي، يتألف من صورة ومَخرج. الصورة هي ما هو حقاً، والمخرج هو ما يعتقده في نفسه. وكلما كبر المخرج تضاءل الكسر.

ليو تولستوي

أيْنَ الخطَرُ فيِ المحلّياتِ الاصْطِناعيّة؟

غزت بدائل السكر الاسواق لتلبية مرضى السكري ومتبعي أنظمة الحمية. لكنها باتت موضوع جدل حاد وارتباك شعبي عارم، اذ اتهم بعضها بالتسبب في السرطان والتخلف العقلي وايذاء الدماغ، فيما نسبت الى البعض الآخر أعراض آلام الرأس والدوار واضطرابات المعدة وعدم انتظام الطمث. فأين هامش السلامة في المحليات الاصطناعية؟

مضى على نزول المحليات الاصطناعية الى الأسواق اكثر من مئة عام، ومنذ البداية قام جدل ناشط حول مدى سلامتها. ويستمر الجدل حالياً فيما يزداد استهلاك هذه المحليات.

يدخل الأسبارتام والسكرين، إما منفردين وإما معاً، في المرطبات الخالية من السكر والأطعمة الحيوية (cereals) والحلوى والفواكه المعلبة واللبان (العلكة) ومطهرات الفم والأدوية. ويستخدمان كمادتين بديلتين من السكر في ملايين الأطباق والمآكل. وفي العام ١٩٨٥ ارتفعت نسبة استعمال الأسبارتام من ٣٥ الى ٦٥ في المئة من الاستهلاك العام لبدائل السكر.

ويأتي التحدي الأخير للمحليات الاصطناعية من مجلة "كومون كوز" ومن عضو مجلس الشيوخ الامريكي هوارد ميتزنبوم، فيشككان في صحة موافقة إدارة الغذاء والدواء الأمريكية على سلامة هذه المستحضرات. ومن ناحية أخرى أقرّ مجلس الشؤون العلمية التابع للمؤسسة الطبية الأمريكية، إضافة الى مراجع أخرى، أن الأسبارتام مادة غير ضارة للأولاد والبالغين الطبيعيين.

فهل المحليات الاصطناعية غير ضارة بالصحة حقاً؟

أحلى من السكر – اكتُشف الأسبارتام مصادفة عام ١٩٦٥ حين عمد الكيميائي جايمس شلاتر من شركة "ج.د.سيرل" في سكوكي بولاية ايلينوي الى مزج حمضين أمينيين هما الفينيل ألانين والحمض الأسبارتي، وكلاهما من المكونات

الأساسية للبروتيينات. وحدث ذلك عرضاً أثناء بحثه عن دواء لقرحة المعدة، اذ لمست أصابعه المزيج المسخن، وحين لعقه اكتشف مذاقه الحلو.

وكان في الأسواق الأمريكية آنذاك نوعان فقط من المحليات ذات الوحدات الحرارية المنخفضة، وهما السكرين والسيكلاميت. أما الأسبارتام فيحتوي على الوحدات الحرارية ذاتها الموجودة في السكر العادي، لكنه أحلى بنحو مئتي مرة. لذا فان وحدة حراريةٍ واحدة منه تحلي علبة صودا وتمنح مرضى السكري ومتبعي أنظمة الحمية الفوائد نفسها التي توفرها المحليات الأخرى. ولما كانت عناصر المركَّب متوافرة في البروتيينات الطبيعية وفي عصير الفاكهة، فقد صمَّمت "سيرل" على طرحها في الأسواق كبديل سليم من السكر.

في بادىء الأمر طلبت الشركة اذناً بتسويق هذه المادة في شكل مسحوق محلّ يضاف الى الطعام. ونالت موافقة إدارة الغذاء والدواء الأمريكية عام ١٩٧٤. لكن الأسبارتام لم ينزل الى الأسواق، إذ انتقدت أطراف فاعلة قرار ادارة الغذاء والدواء.

تساؤلات شعبية - في العام ١٩٧٨ تبددت شكوك إدارة الغذاء والدواء حول أبحاث "سيرل" حين ناقشت الموضوع هيئة من الباثولوجيين (علماء الأمراض) فخرجت بنتيجة في مصلحة الشركة. ثم طرحت تساؤلات أخرى من تجمعات مستقلة للمستهلكين حول ما إذا كان الأسبارتام يسبب تخلفاً عقلياً واذى للدماغ. ولكن في العام ١٩٨٠ اجرت لجنة عامة مستقلة تضم ثلاثة علماء جامعيين تحقيقات وناقشت هذه التساؤلات مع عدد من المعنيين فقررت بنتيجتها أن المحلي لا يسبب أياً من هذين العطلين. لكن اللجنة اقترحت تأخير إعطاء الاذن بتسويق الاسبارتام ريثما يعاد إجراء بعض التجارب على الأورام الدماغية في الجرذان.

في غضون ذلك رأس المفوض آرثر هال هايس ادارة الغذاء والدواء، وهو طبيب واختصاصي بالصيدلة. وفي العام ١٩٨١ رأى هايس ان لا حاجة الى تأخير الاذن لاعادة التجارب على الجرذان. واستشهد بدراسة يابانية لم تظهر فيها أي أورام دماغية. وهكذا وافق هايسٍ على صلاحية الأسبارتام كمسحوق محلّ يضاف الى الطعام. وأيد قراره اثنان من اعضاء اللجنة الثلاثية، ولم يدلِ الثالث برأيه البتة. وأنزل الأسبارتام الى الأسواق في المستحضرات الحبوبية والأطعمة المجففة.

وعام ١٩٨٣ أُعطيت الموافقة على استخدام الأسبارتام في المشروبات الغازية. وطالب معارضو القرار بمناقشة عامة له قبل السماح باستخدام هذه المادة في الصودا المخصصة للحمية. إلا أن الطلب رُفض.

وسرعان ما تصدَّر الأسبارتام كل المواد المستعملة في المشروبات الباردة. وبلغت قيمة مبيعاته العالمية عام ١٩٨٤ نحو ستمئة مليون دولار. لكن شعبيته لم تنهِ الجدل حوله. فثمة مئات بين ملايين الأشخاص الذين استخدموه شكوا من

عوارض تفاوتت بين أوجاع الرأس والدوار واضطرابات المعدة وعدم انتظام الطمث وسوى ذلك. ولما كانت المستحضرات المحتوية على الأسبارتام تذكر ذلك بوضوح، فقد أرتأت ادارة الغذاء والدواء أن يتحاشاها كل من يظن انها قد تسبِّب له إزعاجاً أو اضطراباً.

الكمية المقبولة - إن العنصر الاكثر اثارة للقلق في الاسبارتام هو الفينيل ألانين. فهذا الحمض الاميني يدخل نحو أربعة في المئة من معظم البروتيينات، ويعتبر مادة ضرورية للحياة ومع ذلك فهو قد يسبب اضطرابات لقلة من الناس. فالذين يعانون مرضاً وراثياً نادراً يسمى "فينيل كيتونوريا" يجب أن يتحاشوا تناول البروتيينات ما أمكنهم ذلك.

وحدَّدت إدارة الغذاء والدواء "الكمية المقبول تناولها يومياً" من الأسبارتام بخمسين مليغراماً لكل كيلوغرام واحد من وزن الجسم، وهكذا فان شخصاً يزن سبعين كيلوغراماً يتعين عليه - اذا شاء الحصول على هذه الكمية - شرب سبع عشرة زجاجة من الكولا الخاصة بالحمية.

وتوالت الدراسات حول الأسبارتام. ويقول غاري فلام المسؤول في إدارة الغذاء والدواء: "انها المادة التي حظيت بالتدقيق الاوفى بين كل المواد المضافة الى الأطعمة." وبناء على هذه الدراسات وضمن حدود الاستهلاك المعقولة، فان عشرات المؤسسات الطبية في الولايات المتحدة وفي اكثر من أربعين بلداً آخر تعتبر الأسبارتام بديلا صحياً من السكر.

وعلى رغم كل ما ذكر ما زال بعض النقاد يعتقدون أن موافقة إدارة الغذاء والدواء على استخدام المحليات تحتاج الى مزيد من التمحيص والتدقيق.

السكرين قيد الاستعمال - اكتشف السكرين عام ١٨٧٩، وهو المحلي الاصطناعي الاكثر استعمالا في العالم ويتوافر في ثمانين دولة. ويعتبر أحلى من السكر الطبيعي بثلاثمئة مرة.

ظل السكرين لاكثر من خمسين سنة أساس طعام المصابين بداء السكري ثم أجريت دراسة عام ١٩٧٢ في الولايات المتحدة أخضعت جيلين متعاقبين من الجرذان لجرعات عالية جداً من السكرين (ما يعادل ١٢٥٠ علبة صودا يومياً لانسان راشد). وكانت النتيجة أن أصيبت ذكور الجيل الثاني بأورام في المثانة. ورداً على هذه النتيجة بادرت إدارة الغذاء والدواء الى محو السكرين من لائحة المستحضرات المضافة الى الأطعمة

و"المتعارف عموماً على سلامتها." وعندما أكدت دراسة كندية لاحقة تفشّي سرطان المثانة في ذكور الجرذان اقترحت الادارة عام ١٩٧٧ حظر استعمال السكرين كلياً.

في تلك الفترة كان السكرين المحلّي الاصطناعي الوحيد المتوافر في الأسواق الأمريكية، فعلت صيحات الاحتجاج من المصابين بداء السكري ومن مجموعات أخرى. فما كان من الكونغرس (البرلمان) الأمريكي إلا أن أصدر سلسلة قرارات تعلّق الحظر حتى العام ١٩٨٧.

لكن دراسات لاحقة أجرتها إدارة الغذاء والدواء ألقت ظلالا من الشك على تسبب السكرين في السرطان عند الفئران. ويقول رونالد هارت مدير المركز الوطني لأبحاث السموم التابع لادارة الغذاء والدواء: "أظهرت النتائج بوضوح أن السكرين لا يحدث سرطاناً ولا يسبب أورام المثانة. وعلى رغم أن تناول السكرين أظهر هذه الاعراض في الجرذان، فانه لم يفعل شيئاً البتة في الفئران."

وأضاف: "السؤال الذي يطرح تلقائياً هو: هل ان الناس يشبهون الجرذان أم الفئران في تأثرهم بالسكرين؟"

ومن المستبعد أن تسبب هذه المادة السرطان عند الآدميين، إذ انها لا تتمثل في الجسم، بل تُفرز بسرعة عبر الكلي. وهي أيضاً لا تؤثر في الحمض النووي «DNA» الذي يخزن كل المعلومات الوراثية في الخلايا.

ان مئات الملايين استخدموا السكرين في طعامهم منذ أكثر من ثمانين سنة، وكثيرون من هؤلاء كانوا مصابين بالسكري. ومرضى السكري يُعتبرون الأكثر تعرضاً للأمراض السرطانية ذات العلاقة بالمحليات الاصطناعية، اذ انهم يستعملونها اكثر من سواهم. وقد أظهرت دراسة أمريكية أجريت على ٢١،٤٧٧ مريضاً بالسكري أن إصابات سرطان المثانة بينهم لا تتجاوز الـ ٧١ في المئة من الاصابات المتوقعة بين عدد مماثل من الاشخاص الطبيعيين.

السيكلاميت - كان السيكلاميت المحلّي الاصطناعي الآخر الوحيد الذي وصل الى السوق الأمريكية. وهو اكتشف عام ١٩٣٧ ويعتبر من مشتقات المواد البتروكيميائية. انه كالسكرين خال من الوحدات الحرارية ويفوق السكر حلاوة بثلاثين مرة. وفي ذروة رواجه في الستينات غالباً ما خُلط بينه وبين السكرين. ثم أظهرت تجارب على الجرذان أن السيكلاميت قد يسبب سرطان المثانة، فحظرته إدارة الغذاء والدواء عام ١٩٧٠.

ولكن بعد تجارب جديدة قدمت الشركة المنتجة (مختبرات أبوت) ومجلس ضبط الوحدات الحرارية (اتحاد منتجي المستحضرات الفقيرة بالوحدات الحرارية) التماساً الى ادارة الغذاء والدواء لرفع الحظر عن السيكلاميت. وهكذا قررت الادارة في العام ١٩٨٤ أن السيكلاميت مادة غير مسببة للسرطان. وبطلب منها أعاد المجلس الوطني للابحاث في الولايات المتحدة النظر في كل الدراسات السرطانية المتعلقة بالسيكلاميت، وقرر عام ١٩٨٥ "ان كل

الدلائل المتوافرة تظهر أن السيكلاميت لا يسبب السرطان." ودعا الى اجراء مزيد من الأبحاث. وعلى رغم أن السيكلاميت ما زال محظوراً في الولايات المتحدة، فانه يستعمل في ٥٩ بلداً آخر.

وفي هذه الأثناء ينتظر محلّ اصطناعي رابع هو "سونيت" موافقة ادارة الغذاء والدواء لتسويقه في الولايات المتحدة. وهو لا يباع قانونياً الا في بريطانيا وسويسرا وألمانيا الغربية. انه أحلى من السكر بمئتي مرة، وهو خال من الوحدات الحرارية ولا يتمثل في الجسم ولا يبقى له مذاق في الفم.

إن الاسبارتام هو المحلي الاصطناعي الوحيد المرخص له من إدارة الغذاء والدواء الامريكية. وهو متوافر في معظم أنواع الأطعمة.

ويعتقد مجلس ضبط الوحدات الحرارية أن الوضع سيتحسن حين يُرخَّص لمزيد من المحليات الاصطناعية. فالتعدد يمنح المنتجين والمستهلكين مجالا أوسع للاختيار، كما يقلل من امكان الاستهلاك المفرط لأي من المستحضرات.

ويؤكد الدكتور لويس ستيفينك أستاذ طب الأطفال والكيمياء الحية في كلية الطب بجامعة ايوا أن ليس هناك أي محل اصطناعي، أو أي مادة أخرى، سليم كلياً وفي كل الأحيان ولكل الأشخاص وبجميع الكميات. ويضيف: "المسألة هي ما إذا كان المركب مؤذياً لدى استعماله على نحو طبيعي ولدى اساءة استعماله."

ووفقاً لهذه المعطيات العلمية فان الأسبارتام مأمون العاقبة، والسكرين مأمون على الأرجح، والسيكلاميت والسونيت يؤمل أن يكونا مأمونين.

ولتر روس ■

ببغاء الرئيس

أعيش وحيدة مع ابنتي وهي في العاشرة من عمرها، وأدرك أنها اعتادت الحرمان من كماليات كثيرة. ولكي أعوضها بعض ما تفتقده وعدتها قبل مدة بشراء دمى لها حالما أنال زيادة على راتبي. ثم ذهب رب عملي في اجازة وطلب مني أن أعتني بكلبه وقططه وببغائه في غيابه. وفي اليوم السابق لعودته ذهبت مع ابنتي لاطعام الحيوانات، وفيما هي تعنى بالببغاء سمعتها تمطر ذلك الطائر التعس بالقول: "أمي تحتاج الى علاوة... أمي تحتاج الى علاوة... أمي تحتاج الى علاوة."

وهكذا حصلت الام على العلاوة والابنة على الدمى.

ر.و.

اذا أعيتك الحيلة في جعل الآخرين يصغون الى ما تقول، أوح اليهم أن لديك سراً تريد أن تبوح به.

ف.د.

تسع نصائح من اختصاصي مرموق لابقاء جذوة الحب مشتعلة بعد ٢٠ أو ٤٠ أو ٦٠ سنة

أعطوا الحبّ أفضل ما لديكم

هناك لحظتا اثارة غير عادية يتذكرهما هنري وأليس. حدثت الاولى في بداية علاقتهما، عندما نظر واحدهما الى الآخر عارفاً تماماً أنه محبّ ومحبوب. حينئذ أحسّا بروعة الحياة.

وبعد سنوات نظر واحدهما الى عيني الآخر فرأى غريباً. فتصرفاتهما باتت مقولبة بالاذى والغضب.

وجاء الزوجان يستشيرانني لانهما أرادا معرفة ما اذا كان في الامكان احياء الشعلة التي اتقّدت بينهما يوماً. وكانا كلاهما خجلين وكأنهما عرفا أنهما ملكا مرة شيئاً ثميناً خاناه من غير ادراك.

طرحا علي سؤالا سمعته مراراً خلال ممارستي الاستشارية: "هل هناك طريقة معينة يتصرف بموجبها الازواج الذين يبقون سعداء معاً تختلف عن تلك التي يتصرف بها أولئك الذين لا يبقون سعداء؟"

وأجبتهما أن نعم. فالازواج الذين يبقون على حبهم وينعم أحدهم بالآخر لسنوات بعد الزواج لا يأخذون علاقتهم على علاّتها، بل يعبّرون عن مشاعرهم كل يوم بطرائق مختلفة.

© 1985 by Nathaniel Branden. Condensed from Redbook (August '85), New York, N.Y.

وتُبيّن أبحاثي الخاصة وأبحاث مستشاري الزواج الآخرين أن أي زوجين سعيدين يتصرفان كالآتي:

انهما يقولان: "أحبك." الزوجان السعيدان يعبران عن حبهما بكلمات. انهما لا يقولان: "لماذا هذا السؤال؟ هل احبّك؟ لقد تزوجتك، ألم أفعل؟"

قالت احدى النساء: "ان نطق هذه الكلمة نوع من الملامسة."

انهما يظهران الحنان. الزوجان المحبان يتماسكان بالايدي ويتعانقان ويتضامان.

قال أحدهم: "ان أولى ممارسات الطفل للحب هي من خلال اللمس. ونحن لا نكبر أبداً على هذه الحاجة."

انهما يعبران عن حبهما جسدياً. يبقى الجنس حيوياً بالنسبة اليهما حتى بعد انقضاء سنوات العاطفة المشبوبة. ولا يعني هذا أنهما ينظران اليه وكأنه الشأن الاهم في زواجهما.

انهما يعبّران عن اعجابهما وتقديرهما. الزوجان الناجحان يتحدثان عما يحب أحدهما في الآخر.

أخبرتني احداهن: "كان زوجي دائماً جمهوري الأفضل، سواء في حادث حصل معي في العمل أو في ملاحظة أبديتها في احدى الحفلات او بالطريقة التي أرتدي بها ملابسي او بوجبة اعددتها. انه يبدو وكأنه يلاحظ كل شيء. وهو يدعني أرى اعتزازه ورضاه. فأحس كأنني واقفة في أروع موضع تسلّط عليه الاضواء. وأملي الوحيد أن أعبّر عن اعجابي به. وسأخبرك سراً: أن تكون محبوباً هو ثاني أروع ما في العالم، أما أن تحب انساناً آخر فهو أروع ما في العالم."

الواحد يكشف نفسه للحبيب. الزوج السعيد يتقاسم حياته مع الشريك اكثر منه مع أي انسان آخر. انهما يتقاسمان الافكار والمشاعر والآمال والطموحات مثلما يتقاسمان الآلام والغضب والشوق وذكريات الاذى والاحراج.

وهناك غالباً شريك تعوزه الرشاقة في التعبير عن الافكار والمشاعر الحميمة. ولكن حتى الشخص الاقل كلاماً يأتمن شريكه وينتظر منه التفهم والعون أكثر مما يفعل مع أي انسان آخر.

انهما يقدمان السند العاطفي الى الشريك. الزوجان السعيدان حاضران دائماً في أوقات المرض والشدة. فهما أفضل الاصدقاء، وواحدهما يحضن الآخر ويرعاه.

والرعاية تعني دعم نمو انسان آخر والاهتمام لمشاعره ورغباته. واذا كنا نرى حاجاتنا ونعمى عن حاجات الشريك فعلاقتنا كعلاقة الولد بوالديه وليست علاقة أنداد. ولقد قال لي أحدهم: "ان أهم ما نفتش عنه في الحب هو شخص يكرّس نفسه بصدق لاجل سعادتنا. وطبيعي أن يكون هذا ما ينتظره الآخر في المقابل."

انهما يعبران عن الحب مادياً. يقدم الزوجان السعيدان هدايا في اكثر

من المناسبات التقليدية، ويؤديان مهمات استثنائية لتخفيف أعباء الشريك. والعبرة ليست في ثمن مثل هذه الهدايا، بل هي في النية المبيتة: منح المسرة للشريك. والمكافأة هي في تعابير البهجة والرضا على وجهه.

انهما يتقبلان الطلبات ويتجاوزان النواقص. المطالب والمعايب متممات لحل علاقه سعيدة. كذلك طيب الخاطر والعطف اللذين يتجاوب بهما الزوجان الناجحان. انهما لا يتعذبان ولا يعذبان الشريك بسبب النواقص. فكلاهما يعرف أنه غير كامل، وكلاهما يفهم أن فضائل الشريك ترجح معايبه. انهما يختاران أن يتمتعا بالايجابيات بدلا من اغراق علاقتهما في الانشغال بالسلبيات.

وهذا لا يعني أنهما لا يطلبان تغييراً في تصرفات غير مرغوب فيها يكتشفها أحدهما في الآخر، ويتحقق لهما أحيانا ما يطلبان. لكنهما لا يضخّمان الصعوبات.

انهما يجدان وقتاً للانفراد معاً. فالاستمتاع بعلاقتهما يجيء في رأس الاولويات. انهما يتفهمان أن الحب يتطلّب عناية ووقتاً، ولذا يقاومان ممارسة نشاطات تفرّقهما.

وفي ملاحظاتي أن أعظم ما يهدد الوقت الخاص ليس عمل الزوجين بل ما يسميانه "واجبات اجتماعية". فزيارة الاصدقاء والاقارب معاً قد تكون مدعاة سرور لكنها ليست بديلا من بقائهما وحيدين معاً. لا شيء بديلا. والازواج الناجحون يعرفون ذلك.

ان لم تكن علاقتكما على ما يرام، فكيف يمكنكما تحسينها؟

الطريقة الفضلى الى ذلك هي البدء باعتبار هذه القواعد المسلكية وممارستها. فاذا تصرفت مع شريك على نحو أكثر محبة واحتراماً، فسرعان ما تشعر بالرضا عن نفسك. وعندما تحسّ أنك أهل للحب ستدرك لذة التبادل والتكامل. ونتيجة ذلك ستنمو علاقتكما وتزدهر.

هذا ما شرحته للزوجين هنري وأليس. وأضفت: "أنتما تعلمان أن المأساة الحقيقية في معظم العلاقات هي أن الناس يخشون اعطاء افضل ما لديهم. انهم يخافون ألا يكون أفضل ما لديهم كافياً أو ألا يحظى بالتقدير، لذلك ينكمشون عن العطاء. فاذا شئتما أن تثابرا لفترة وتعطيا أفضل ما لديكما، فقد تكتشفان أن دواعي حسنة أوقعتكما في الحب أولا، وأن الحب لا يزال موجوداً."

ولديّ قناعة بأن لدى هنري وأليس فرصة جيدة لانقاذ زواجهما، وانهما هذه المرة سيعرفان كيف يصونان حبهما ويغذّيانه، وينميانه.

ناثانيل براندن ■

لم يأبه الصغار يوماً لنصائح الكبار، غير أنهم ما انفكوا يسيرون على خطاهم.

جايمس بولدوين، كاتب امريكي أسود

فوق المياه المتجمدة في خليج كوك في الاسكا كان مساح الاراضي مارف ميلام (٣٦ عاماً) يقود طائرته الـ"سيسنا ١٨٠" والى جانبه رئيسه وصديقه كين بروسار (٣٢ عاماً).

كان الرجلان عائدين الى مكتبيهما في أنكوراج بعد غداءٍ في استراحة بيغ ليك على بعد ٤٠ كيلومتراً شمالا. وقد جمعهما شغف بالصيد والطيران وبالجمال الراعب لبراري ألاسكا. وكثيراً ما وضعا خططاً لصيد الموظ في شمالها.

ونظر كين من النافذة فأدهشه منظر جبال تشوغاس المكللة بالثلج والمبقعة بغابات زمردية. ولم يكن فصل الشتاء انتهى، لكن الربيع لم يعد بعيداً.

صاح كين فوق هدير الطائرة: "سيكون الصيد عظيماً هذا العام."

لكنّ مارف الذي حال صوت مفاجىء في المحرك دون سماعه كلام رفيقه راح

Illustration: Paul Jennis

مأساة واقعية

طيّاران على طوفٍ جَليْدي

وسط المياه المتجمدة في ألاسكا رجلان يصارعان للبقاء ودقائق تفصل بينهما وبين الموت

يتفقد الاجهزة ثم قال: "اننا نفقد الارتفاع!"

اتصل مارف ببرج المراقبة في ميريل فيلد: "نحن على بعد ثمانية كيلومترات شمالا وعلى ارتفاع ١٨٠ متراً. اننا نسقط في الخليج ونحتاج الى مساعدة."

وراح يفتش عن مكان للهبوط. وبين كتل الجليد الطافية والمتواثبة في المياه غير المستقرّة وجد امتداداً رملياً. وبعد ثوان لامست الطائرة المنبسط الموحل. ارتجّت وانزلقت ثم ترنّحت وتوقفت. فقال مارف: "قاعدة المندورف الجوية تبعد ستة كيلومترات أو ثمانية. وسترسل الينا طوافة سريعاً."

فجأة أجفل الرجلان لسماعهما صوتاً غريباً. ومن شق تحت الباب تسللت حية من المياه العكرة الى وسط القمرة.

قال مارف وقد أحس ان الطائرة بدأت تغوص: "إنه المد يدخل الينا، وعلينا أن نخرج للحال."

كان يعلم أن خليج كوك يشهد إحدى أعلى حركات المد في العالم مما يسفر عن تيارات قوية وخطرة تحت سطح الماء. وقلما يستطيع انسان أن يعيش في الماء لاكثر من نصف ساعة.

الفرصة الوحيدة - أمسك مارف جهازي ارسال صغيرين للاستدلال في حالات الطوارىء، أحدهما رخيص الثمن اشتراه قبل ١٥ سنة وفكر في نبذه. ربما كان لا يعمل، لكنه دسّه في جيب سترة كين ودس الجهاز الاصغر الأجدّ في جيبه. وقال لرفيقه: "هـذان الجهازان سيـرسلان اشارات الى طائرة النجدة. فاحرص على ألا يغمر الماء جهازك، انه ليس مانعاً للماء."

رفس كين الباب فانفتح وخطا الرجلان خارجاً. كان كين يرتدي قفازين، أما مارف فنسي قفازيه في المكتب. وابتلعت موجة الطائرة والتوت ساقا مارف في التيار التحتي الجارف. وانقلب كين على ظهره في الماء المثلج، ثم برز الى السطح بعد لحظات ملوحاً بذراعيه.

وصاح والماء يتناثر من شفتيه ورئتاه تناضلان من أجل التنَفس: "مارف! أنا بردان وعاجز عن التقاط انفاسي..." واختنق صوته في نوبة من السعال.

وناداه مارف: "لا تسبح. تشبث بذاك الطوف الجليدي وحاول أن تخرج جسمك من الماء."

كان الماء في علو الخصر مزبداً كحيوان برّي. وشعر مارف بحذائه يغوص في الوحل. وفي لحظة أدرك الحقيقة: انها رمال متحركة. ومثل فخ فولاذي أطبق الطمي الجليدي على الرجل وسمّره في مكانه.

جذب ساقاً واحدة فلم تتزحزح. وراح يشدّها ويجذبها بهياج الى أن حررّها من الحذاء. ثم حاول بالرجل الاخرى الى أن تحررت هي أيضاً.

وكان الماء بلغ مستوى الصدر، فسبح مارف صوب كين ماداً ذراعيه عبر كتلة الجليد. وصاح فيه آمراً: "هات يديك! مدّهما!"

ودفع كين ذراعيه موهناً فوق الطوف الذي بلغ عرضه متراً.

وناداه مارف: "تمسك بياقة سترتي وسأتمسك أنا بياقتك. وسنشبك أذرعنا فوق الجليد. هذا سيبقينا عائمين وخارج الماء جزئياً الى حين. انها فرصتنا الوحيدة."

كانت حياة كل منهما في يدي الآخر. وكان كين بروسارد يعرف أن صديقه صلب العود، فوظفه مساحاً قبل سنتين. وقد جاء مارف الى ألاسكا من أريزونا عام ١٩٧٦ وعمل مهندس سفن وعامل بناء وطياراً في الادغال، وصادف مغامرات كافية وهو يطير في الشمال.

وصرخ كين: "قد يدفعنا المد الى الشاطىء." لكنَّ مارف كان يعرف نقيض ذلك تماماً. فقال لصاحبه: "ابق متمسكاً جيداً. ردد من ورائي: "انني متمسك كالفولاذ... كالفولاذ."

وبدأ كين يردد وأسنانه تصطك: "انني... متمسك... كالفولاذ."

الدقائق الطوال - كانت طائرة النجدة "كينغبيرد" في مهمة تدريب عندما وجه

اليها مركز تنسيق عمليات الانقاذ في قاعدة إلمندورف في انكوراج التي تبعد ١٧٧ كيلومتراً الى الشمال الشرقي أمراً بالتوجه الى الموقع: "هناك طائرة سيسنا على متنها شخصان سقطت في مكان ما من الخليج. حظهما في البقاء على قيد الحياة لا يزيد على بضع دقائق."

ما ان ادار القبطان فرانك مايسون وجهة الطائرة صوب انكوراج حتى بدأ عامل الراديو التقاط اشارات جهاز ارسال. واستطاع جهاز التعقّب المتطور تحديد مكان الطائرة المنكوبة. وتساءل مايسون: "ولكن هل ما زالا حيّين؟"

سرت رعشة في جسد مارف وتيبس فكّه من البرد. لقد لواه المد وجره فيما اصطدمت بجسده قطع هائلة من الجليد.

الرجلان غائصان حتى الابطين وأذرعهما متشابكة حول الطوف الجليدي. ان في استطاعتهما البقاء حيّين ٢٠ دقيقة أو ربما ٢٥. هذا ما قدّره مارف. وأنعم النظر الى عيني كين. كانتا كالزجاج، وبدت شفتاه أرجوانيتين. لقد أمضى الرجلان دقائق حسباها ساعات.

ومن خلال غمامة ألم فكر كين في زوجته دي المعلمة في مدرسة ابتدائية، وهي في السادسة والعشرين من عمَرها وقد تخرجت في الجامعة في بلدته لافاييت بولاية لويزيانا. وعندما غادر كين البيت ذلك الصباح كانت دي تعد للاحتفال بعيد ميلاده. كانا سيسافران بعد ثلاثة أسابيع الى هاواي في اجازة وُعدا بها قبل سنتين. وتساءل في نفسه: "هاواي! يا رب، هل سيعود اليّ الدفء ثانية؟"

وكان هوائي جهاز الارسال البارز من جيبه غائصاً تحت سطح الماء. وفكر مارف: "يجب أن يبقيه خارج الماء." وأمسك ياقة رفيقه بيده اليسرى ومد يمناه الى الهوائي.

وتمتم كين: "انك تنفصل عني، لا تدعنا ننفصل!"

- علي أن أرفع الهوائي.

قال كين خائراً: تشبث بي، ان أمل أحدنا هو في الاخر."

"ها هما!" - في قاعدة اطلاق الطوافات في إلمندورف لخّص قائد العمليات الوقائع لفريق انقاذ أرسله في طوافة.

شعر مارف بألم شديد في عينيه وأحس أن التيار يجرفه ورفيقه الى عمق الماء.

فجأة مال الطوف الجليدي بحدّة. وبدا البحر والسماء يترنحان ويترجحان بعنف. وتقيأ كين وسعل. وتمطّى مارف ليحسن التشبث. ثم راح يراقب الافق وما فوق في الجو. لمح طائرة لكنها تابعت طريقها. ونظر الى كين الذي رأى الطائرة أيضاً. وجاهد مارف ليتكلم، كان يحرّك فمه ويلوي قسماته ولكن لم يصدر عنه صوت. وقدر كين أن ٢٠ دقيقة مضت وهما في الماء.

أنزل القبطان بستر هامبتون طوافة النجدة الى علو ٩٠ متراً. وتحته كانت التيارات المتضاربة تتكسر الواحد على الآخر محدثة دوّامات رهيبة. وراح يفكّر: "يا للطريق المخيفة التي سنسلك!" وأجال نظره باحثاً عن الطائرة

"كينغبيرد". بحسب التعليمات، يجب أن تكون على اتصال به. إن هامبتون يحتاج الى توجيه.

في سكون قمرة الطائرة "س ١٣٠" أحس المقدم الطيار والتر ستيفنسون بالحر والتوتر. ثم اتصل بالطوافة وقال بحدة عبر مذياعه: "الى قوة النجدة ٨٠٧، هنا قوة النجدة ٩٨٦. لقد كشفنا جهاز الارسال الى الغرب من موقعكم. انكم تبتعدون شرقاً."

وجاءه الجواب: "حسناً، نحن نتجه الى هناك. سنصل في دقائق."

نظر مارف الى صديقه وهزه بكل قواه فلم يتلق جواباً. كانت عينا كين باهتتين ولا حياة فيهما. ثم لفتت مارف حركة فوقهما. انها طائرة! وشدّ قبضته على ياقة كين ونبهه بهزة خفيفة. ففتح كين عينيه وأغمضهما.

في قسم الحمولة من الطوافة كان المنقذ أليكس واسوتا يحاول أن يتطلع من خلال باب الطوارىء. ولرؤية أفضل دفع الباب فانفتح وجمع قواه في مواجهة هبة ريح مجمّدة وأطل برأسه خارجاً ونادى: "ما هذا؟ تحتنا تماماً."

وصاح هامبتون: "ها هما! الرجلان!"

بين الوعي والغيبوبة - كان مهندس الطيران الرقيب بوب هوك المكلف تشغيل رافعة النجدة يعرف أن هبات الهواء من شفرات الدوّار قد تدفع الرجلين بعيداً عن الطوف. وكانت البراعة في موازنة الطائرة فوقهما مباشرة، فذلك قد يخفف إضطراب الماء. وأدرك هوك أن عليهم النجاح في المرة الاولى، فنادى هامبتون الجالس أمام لوحة القيادة: "انزل متراً ونصف متر. حول الى اليمين متراً ونصف متر."

وكان واسوتا رابضاً الى جانب هوك يحدق الى الرجلين بين الوحول المتلاطمة. انهما بلا حراك.

وقال هوك: "يا للّه! انهما في حال سيئة. لنصل اليهما بسرعة. ثلاثة أمتار الى الامام. أربعة أمتار ونصف متر الى اليمين."

كان الجميع متوترين. وصاح هوك: "ابقَ محوماً." ورفع ابهامه مشيراً الى واسوتا للخروج من باب الحمولة.

عندما اقترب واسوتا من سطح البحر انزلق عن مقعد الرافعة وقفز الى الماء. لم يلتفت اليه أي من الرجلين. وبسرعة علق حزام أمان بسترة مارف. وتمطى من البرد ثم وضع كين في مقعد الرافعة.

وصاح واسوتا رافعاً صوته فوق هدير الطائرة: "سنسحبكما واحداً واحداً." ثم رفع ابهامه معطياً الاشارة الى هوك.

وفيما مقعد الرافعة يهتز في صعوده الى الطائرة انزلق عنه كين وهو على مسافة متر تحت الباب. وبات معلقاً برباط دقيق وراح يترجح وكأنه على مشنقة. وفكر واسوتا: "ربما وصلنا متأخرين جداً." ثم أُمسك كين من كتفيه وجُرَّ داخل الطوافة. ووضعت ضمادات ساخنة تحت ابطيه وفي حنيتي فخذيه. ثم رُفع مارف ووضع قرب جهاز التسخين في الطوافة.

"معنا ناجيان!" قال هوك متهللا عبر جهاز الاتصال.

وخلال الرحلة الى المستشفى في

انكوراج عانى مارف ارتجافات حادّة وراوح كين بين الوعي والغيبوبة فيما كان يعطى الاوكسيجين. وتدنت حرارة جسم مارف الى ٣٤ درجة مئوية وحرارة كين الى ٣٢، كانا على قابي قوس أو أدنى من الغيبوبة التامة. لقد دام عذابهما الفظيع في المياه الثلجية مدة ٤٢ دقيقة.

وبأعجوبة لم يصب أي منهما بما يستدعي علاجاً طويلا، وغادرا المستشفى بعد ثلاثة أيام، وهما عرفا لاحقاً أن جهاز الارسال الجديد ابتلّ وتوقف عن العمل، وأن الجهاز القديم البالي هو الذي أرسل اشارات حددت موقعهما.

وفي ٥ مارس (آذار) مَنْ كل عام يلتقي الرجلان وجمع من اصدقائهما ليحتفلوا بالنجاة ويشربوا نخب جهاز الارسال العتيق المعلق في سقف الفندق الذي يملكه مارف وزوجته جين.

ويسترجع الصديقان ذكرى تجربتهما المريعة. ويقول مارف ميلام: ألاسكا أرض قاسية تعلمك كيف تكون قوياً وغير متوكّل. ولكن قد تمر في بعض الاوقات بمثل ما مررت أنا وكين وتتعلم أنك مهما ظننت نفسك صلباً فسيجيء وقت تحتاج فيه الى مساعدة الآخرين."

مارغريت ريس ■

الخيال الجامح

قال المخرج الامريكي ستيفن سبيلبرغ الذي اشتهر بأفلامه العلمية الخرافية: تنتابني كل المخاوف التي تنتاب الصغار، فأتخيل أن تحت سريري يحتشد جمع من العفاريت وأن وحوشاً هائلة تقطن في خزانتي متربصة بي. وكانت غابة تمتد خارج نافذتي في ولاية نيوجرزي، وفي الليل تتراءى لي الاشجار كأنها سواعد ورؤوس وأذرع ومجسّات.

لكني كنت أحب ما ينتابني من رعب. وحتى في طفولتي كنت أهوى أن أدفع بنفسي الى شفا الهلع ثم أنكفىء. وفي الصباح كنت أجرأ الغلمان. وما زلت أرى ستيفن ابن السابعة يدور في غرفته الضيقة أو يخاطب الاشجار قائلا: "أنا لا أهابك." وما ان يهبط الظلام حتى يتراخى وتتلاشى شجاعته.

د.و.

كأس الصداقة

لا يمكننا أن نعرف في أي لحظة تنشأ الصداقة. فالكأس تمتلىء نقطة بعد نقطة، ولا بد من أن ينتهي الامر بنقطة تجعل الكأس تطفح. كذلك البادرات الكريمة المتلاحقة، تأتي أخيرا واحدة تجعل القلب يفيض.

جيمس بوسويل، كاتب سيرة المؤلف البريطاني صموئيل جونسون

لا ريب في أن أهم ابتكارات العصر هو قلم الرصاص "الشخصي" أو "البيتي". فهو أحدث سلسلة من التحولات ندعوها "ثورة قلم الرصاص". ولدى ظهور أقلام الرصاص غليظة غير ماضية في أول عهدها، لم يتكهن سوى القلائل بأثرها الكبير المحتمل. وهي لم تنتشر إلا مع توافر الأقلام السهلة الاستعمال التي تلازمها مبراة.

بادىء الأمر اقتصر استخدام أقلام الرصاص على التجارة لصنع الرقع التي تبين الأسعار. ولكن سرعان ما اكتشف لها الناس استعمالات أخرى. وضاعفت مهنة القانون مبيعاتها أربع مرات حين ابتكر أحدهم العَقْد المكتوب.

وبعد زمن قصير دخلت أقلام الرصاص مؤسسات التعليم العالي، ونشأ في الجامعات طلب للأداة المستحدثة. وثار لغط حول أهمية قلم الرصاص. وكان أحد الآراء الشائعة: "إن حيازة قلم رصاص لا تعني تثقيفاً حسن المستوى." ومع ذلك انضمت المدارس الكبرى الى المسيرة.

ويردّ كثيرون نقطة التحول هذه إلى المؤتمر الرابع عشر للعمداء والعلماء والكتاب الذي انعقد عام ١٢٤٨، حين استل العميد نيكولو من بادوا (ايطاليا) قلم رصاص من عباءته في احدى المآدب وسجل به عنوان كلود من نافار (فرنسا). وداخل الروعُ الحشد. ولا تزال تلك اللحظة تذكر، لا لأثرها في قلم الرصاص فحسب، ولكن ايضاً لما جاءت به من مؤتمرات إلى بادوا.

إثر تلك الواقعة باشر عدد من المدارس السباقة تزويد نخبة الصفوف أقلام رصاص شخصية. وأجرت جامعة ويتنبرغ دراسة شهيرة استغرقت ثلاث سنوات حول تأثير امتلاك قلم الرصاص في عادات الدرس والتفاعل

ثورة بطلها قلم

اختراع نقال مصحح للأخطاء أحدث تغييراً اجتماعياً كاسحاً يتعذر إبطاله

Condensed from Newsweek (March 19, '84), © by Newsweek, Inc., New York, N.Y.
Photo: Pierre Crevier

الاجتماعي والانجاز الاكاديمي العام. وجاءت النتائج مفاجئة حتى لغلاة المتحمسين لقلم الرصاص. وأضحى في وسع التلاميذ الحائزي الأقلام أن يحسبوا الأعداد ويشكلوا الكلمات أسرع من اندادهم الذين لا يملكون أقلاماً. وتمكن تلاميذ كثيرون من معرفة حاصل ضرب رقمين من فئة المئات في اقل من ٣٠ ثانية.

وبرز الأثر الكبير في اختبارات الذاكرة، اذ أورد التلاميذ اجابات عن اسئلة حول قصة رويت لهم أقل صحة من اجابات اولئك الذين استعملوا أقلام الرصاص لتسجيل القصة والبحث عن الأجوبة.

وفي ضوء نتائج تلك الابحاث عقدت غرفة التجارة في لشبونة (البرتغال) اتفاقاً مع عدد من الجامعات للمساعدة في دفع كلفة بناء محطات خاصة باستخدام اقلام الرصاص واحداث شبكات اعلامية للتلاميذ الذين يتقنون استعمالها.

ومع اتساع السوق ازدهرت صناعة أقلام الرصاص. وفي المكان المدعو "وادي الرور الرصاصي" تضاعف عدد شركات الأقلام. وكان أحد الابتكارات المهمة إلحاق ممحاة من المطاط بالطرف المنبسط للقلم، فأشرق عهد قلم الرصاص النقال مصحح الأغلاط. ومن الأمور الجديرة بالذكر اضافة الالوان بانتاج قلم الرصاص الأحمر. وقبل مضي وقت طويل نمت صناعات متكاملة وبدأت صناعة علب الأقلام والمساطر وملحقاتها.

وحالما تفشت أقلام الرصاص في المدارس استنتج عدد من الأهالي الواعين وجوب شراء أقلام بيتية كي يواكب أبناؤهم التطورات. لكن الكمية الهائلة من المنتجات المتنوعة وافتقار الاهل الى الخبرة أديا الى وقوع عدد منهم فريسة القلق. وقال أحدهم من كراكوف (بولونيا) متنهداً: "أحار في أمري، أسأل في محل بيع القرطاسية عن قلم رصاص رقم اثنين، أنا لم أستعمل هذه الكلمات في حياتي. أشتري الاداة، ثم يجيئني ابني من المدرسة قائلا ان كل رفاقه باتوا مهووسين بالغرانيت."

لكن الجدل الأكثر حدة انفجر حين تبين أن قلم الرصاص يشترى ظاهراً لأغراض تعليمية فيستخدم في الألعاب. وعبرت الجمعية الملكية للأساتذة عن قلقها من أن الأطفال الذين يقبعون وحدهم لاهين بالأقلام لا ينمّون المهارات الاجتماعية أو الذهنية الكافية. وانبرى أحد العلماء الأكاديميين قائلا: "إن العبث بالأقلام لن يفيد أحداً في اكتشاف طريق جديدة إلى الهند. (★)"

وكما في كل الابتكارات الجديدة وجد بعضهم في التغيير بذور كارثة. وتضرر آخرون اقتصادياً. ووفقاً لتصريح كليمنت من ساكسوني (ألمانيا) وهو المدير التنفيذي لنقابة الخطباء والقصاصين والمنادين في القرى: "الكل يرغب اليوم في المواد مكتوبة. لكني أعتقد أنها بدعة زائلة. فلا أحد يبدو مستعداً لطرح آلاف السنين من التقاليد الشفوية."

(★) هذه العبارة تذكّر باكتشاف كريستوفر كولومبس لامريكا خلال بحثه عن طريق جديدة توصله بحراً الى الهند (الملاحظة من التحرير).

وتم التعرف إلى عيوب أخرى. فقد عالج الاطباء اعتلالات جسدية ذات علاقة باستعمال اقلام الرصاص، ومنها العيون الحمراء المحتقنة وآلام الظهر وتشنجات الكتّاب. وباشرت الشرطة الأوروبية تبادل معلومات سرية حول طرائق كشف التزوير. وعمد المستشارون في الامن القومي في كل مكان إلى اعادة فحص وسائلهم على هدي حادث نابولي، حيث دوّنت مجموعة من الطلاب الثانويين تعليمات بقلم رصاص موجهة من الدوق إلى قائد عسكره يأمره بمهاجمة فلورنسا. وحدثت مناوشات عدة قبل فضح أمر الدعابة.

وكانت الطلبات الجديدة تظهر يومياً. واستعمل الناس أقلام الرصاص في تسوّقهم وفي معاملات المصارف وكتابة الملاحظات والملصقات. ونشرت في الصحف اعلانات عن "مخيمات أقلام الرصاص". وفي أحد هذه الاعلانات تقول بنت مفعمة بالحيوية: "الرياضيات والادب واللغات الأجنبية والفنون، كل هذه يمكنك أن تدرسها بقلم رصاص."

وفي المآل، فان العالم تقبل قلم الرصاص، بل اعتبر أن الحياة المتحضرة لا يمكن أن تعاش من دونه. لكن المؤرخين سيعجبون في المستقبل للوقت الذي أهدر قلقاً حول هذه الاداة التي تختصر الجهد، عوض التوقف للتفكير في الاشغال الواجب انجازها وتلك التي تحتمل الانتظار.

بيل لايسي ■

نصف عضو

كان أحد لاعبي كرة المضرب يعتبر نفسه "نصف نباتي". وحين اكتشف أن المطاعم التي تقدم أطعمته المفضلة تمنح حسومات لاعضاء جمعية النباتيين قرر أن ينضم الى الجمعية.

وحين ملأ طلب الانتساب أقر بأنه يتناول السمك والدجاج "في المناسبات." وبعد وقت قصير تلقى هذا الجواب الحذر: "تمت الموافقة على انتسابك، لكنك محروم من حق الاقتراع."

ب.ك.

زوجة خطيب

تأثرت زوجة أحد الخطباء لدى خروجها مع زوجها من منزل مضيفهما، اذ رأت جمعاً أمام البيت. وكانت رأت هؤلاء في احتفال ذلك الصباح، لذلك صافحتهم فرداً فرداً وشكرت لهم مجيئهم لوداعها مع زوجها. لكن حماستها خمدت حين وصلت الحافلة وصعد اليها الجمع الذي استبدت به الحيرة من تصرف المرأة.

س.غ.

"رامبرانت الراعي" بريشة غوفرت فلينك.
هنا صوّر فلينك معلمه كراع، وهو اختيار لرسم اللوحات كان رائجاً في امستردام عام ١٦٣٥.

مدرسة رامبرانت
Rembrandt

ذات يوم سمع الرسام الهولندي رامبرانت فان ريجن أحد تلاميذه يتفوه كلاماً مخلا بالآداب، فطرده من محترفه. ولا يخبرنا التاريخ ما اذا كان طرد هذا الشاب خسارة لنبوغ فني عظيم، لكنه كان بالنسبة الى رامبرانت خسارة أحد تلاميذه. فقد كان لديه ٣٥ تلميذاً فقط، وهم فنانون يافعون أو أولاد عائلات ثرية دفعوا له ١٠٠ غيلدر سنوياً ليعلمهم الفن.

Photos: Rijkmuseum, Amsterdam

"ارنست فان بيفرين" بريشة آرت دي غلدر. ان اسلوب دي غلدر، وهو نوع من فن معلمه أكثر تموجاً، جعله أحد أبرز الرسامين الهولنديين في أيامه. وهو في هذه اللوحة اعتمد أسلوب رامبرانت في رسم التطريز: اللون يطرح بكثافة ثم ينزع جزئياً بالجانب المسطح من الريشة.

اعتبر الفنان في القرن السابع عشر حرفياً، وكانت رابطة القديس لوقا توجب عليه أن يعمل ثلاث سنوات متدرباً على معلم، وخلال هذه الفترة يحق للمعلم أن يبيع لوحات تلاميذه باسمه. وكان المال الذي يقبضه رامبرانت من تلاميذه ذا أهمية قصوى لديه، اذ اشتهر بتقتيره الشديد. ويروى أن فناناً شاباً خدعه غير مرة برسم قطع نقدية على أرض المرسم، فكان المعلم ينحني ويحاول التقاطها.

وبلغ عدد تلاميذ رامبرانت سبعة أو ثمانية في كل دورة. وكان الكبار يعلمون الصغار أسرار المهنة: كيف تصنع الفراشي والاقمشة الممتازة وكيف تسحن الاصباغ وتمزج الالوان الزيتية. ولكن في ما يختص بفن الرسم كان المعلم يعطي دروساً فردية لكل تلميذ. كان يعطيهم تمارين ويراقب عملهم بانتظام، فيضيف هنا ظلا الى ثوب منسدل ويزيد هناك بلمسة من ريشته بريق قصب ذهبي على حواشي عباءة.

نادراً ما كان رامبرانت يجد الرضا في ما يرى، فيطلب من تلميذ أن يغير قسمات وجه مرة بعد مرة، وينصح تلاميذه

"قطع رأس يوحنا" بريشة كاريل فابريتيوس.
رسم الفنان هذه اللوحة عندما كان في العشرين من عمره
فيما رامبرانت يكمل رسم لوحته الشهيرة "الحراسة الليلية".
وتتشابه اللوحتان في ترتيب وضع الاشخاص،
غير انهما تختلفان بوضوح
في اظهار الضوء مما يميز الاسلوب الخاص لهذا التلميذ
الموهوب حتى في هذه المرحلة الباكرة.

"رسم ذاتي" بريشة جيرارد دو. أشهر ميزات لوحات دو تصويره الاشخاص كما يرون من خلال نافذة مما يعطي المشاهد انطباعاً عن حياة حقيقية. ومع اعتنائه بالتفاصيل في هذه اللوحة ضاعف دو تأثير خداع العين من طريق تثبيت ورقة مثلثة الشكل تحمل اسمه على عتبة النافذة وتعليق ستارة في المقدم كما لو كانت من أجل وقاية لوحة ثمينة من أشعة الشمس.

بالتمرن والممارسة الدائمين، فالنظريات تعقب الممارسة تلقائياً. وذات مرة سأله تلميذه صموئيل فان هوغسراتن كيف يمكنه أن يصبح رساماً جيداً، فأجابه: "تأكد من ممارسة ما تعرفه، وعندئذ تكتشف ما لا تعرف وما أنت تواق الى سماعه مني."

وبعد انتقال رامبرانت الى امستردام عام ١٦٣٢ افتتح أحد أوائل تلاميذه في لايدن مدرسة هناك، وهو جيرارد دو وعمره ١٨ سنة. وذاعت شهرة دو نظراً الى تقنيته الرائعة، غير أنه استبد به هوس التفاصيل. وهو جعل امرأة تجلس أمامه خمسة أيام ليرسم يدها. وبسبب طول الوقت الذي كان يستغرقه رسمه أخفق في فنه كرسام لوحات شخصية، لكن لوحاته عن المناظر والاشياء الساكنة حققت له ثراء.

ومع أن شهرة رامبرانت واصلت الانتشار في أنحاء أوروبا فان كثيرين من هواة الفن الهولنديين شرعوا مع العام ١٦٥٠ يتحولون عنه مفضلين الاتجاهات الجديدة في الفن. ولم يفرض رامبرانت نهجاً معيناً على تلاميذه، فانطلق كل

"عجوز تصلي" بريشة نيكولاس مايس.
على نقيض رامبرانت الذي لم يتردد في رسم أي شيء كان مايس يفضل المواضيع المألوفة في الحياة اليومية وذات النكهة الروائية. لكن استخدامه الضوء والظل، كما يتضح من هذه اللوحة، يكشف أثر رامبرانت.

منهم في طريقه. كان غوفرت فلينك من أوائل الذين أذعنوا للأذواق الجديدة لدى الرأي العام، مع أن ذلك اقتضاه "مقداراً كبيراً من الصعوبة والجهد" لكي ينسى ما تعلمه من رامبرانت. وكان نيكولاس مايس تلميذاً آخر نال من الشهرة ما جعل الجلوس أمامه كنموذج (موديل) للرسم منّة تسبغ على ذوي الحظوة. واعترضت سيدة مرة على الندوب والتجعدات في رسمها، فتناول مايس فرشاة وغطى الندوب بحمرة خجل على الوجنتين. ولم يضره عدم التزامه الدقة، تماماً كصاحبة اللوحة.

ولكن بقيت حفنة من أتباع رامبرانت على اخلاصها للمعلم. ويروى عن آرث دي غلدر انه كان يرسم الاشخاص على نحو مطابق للواقع الطبيعي، وفق تقاليد رامبرانت الفضلى، بحيث يمكن المشاهد أن يحدس ما يجري بينهم من حديث.

والاكثر موهبة بين تلاميذ رامبرانت كان كاريل فابريتيوس الذي قتل وعمره ٣٢ عاماً حين انفجر مخزن البارود في مدينة دلفت. ولو قدّر له أن يعيش لربما تفوق على معلمه. ولم يطبق تلميذ سواه طريقة رامبرانت الايحائية في الرسم بمثل هذا الكمال. وكان فابريتيوس حلقة الوصل بين رامبرانت وخليفته يان فيرمير آخر عظماء الفنانين الهولنديين في القرن السابع عشر.

وبصرف النظر عن الطريقة التي تطور بها تلاميذ رامبرانت فقد ساهم كل منهم بأسلوبه الخاص في ذيوع شهرة الطريقة التجديدية للمعلم في أنحاء هولندا وأوروبا. وهم أغنوا أجيالا من الفنانين والهواة الى مدى يقصر عنه كل تقدير.

إميل ليون ■

شَعْر عصري

كانت معلمة تسبل شعرها دائماً. وذات يوم قررت أن تصفّفه مجعداً. ورآها تلميذ صغير عرف بطبعه المرح غير انه بدا مهموماً ومدهوشاً لدى رؤيتها، فسألته: "ما بالك؟ هل يزعجك شيء؟"

وتمتم الطفل: "شعرك."

قالت: "هل لاحظته؟ اني جعلته مجعداً، ولقد أحببته هكذا كثيراً."

فرد الطفل بصوت خفيض: "أحببته؟ وهل رأيته حقاً؟"

م.ب.

ما أجمل قيادة سيارة في الليل حين تسير درر الالماس في اتجاه ودرر الياقوت في اتجاه آخر.

ج.و.

الضحك خير دواء

"صحح وضع ربطة عنقك أيها الغبي، فجهاز المراقبة يلتقط صورتك."

م.ت.

زوج نابوليون

قال الطبيب النفساني لمساعدته بعدما غادر المريض العيادة: "هذه حال مؤسفة جداً وغير عادية، فهذا الرجل يظن أن زوجته هي نابوليون بونابرت."

ب.ف.

شاعر "حي"

أرسل شاعر ناشىء الى محرر صحيفة قصيدة عنوانها "لماذا أنا حي؟" ويقال ان المحرر كتب اليه الجواب الآتي: "انك حي فقط لانك أرسلت قصيدتك بالبريد ولم تحضرها الي بنفسك."

هـ.ب.

لص غبي

دخل لص مصرفاً بقصد السلب، ودفع بورقة الى أمينة الصندوق كتبت عليها العبارة الآتية: "ضعي الأموال في الكيس أيتها الغبية ولا تتحركي."
وقرأت أمينة الصندوق الرسالة ثم اعادتها الى اللص مع العبارة الآتية:

واحدة بواحدة

نظرت امرأة بعبوس الى فتى يدخن في الشارع وسألته: "هل تعرف أمك أنك تدخن؟"
فاجابها على الفور: "قولي لي يا سيدتي، هل يعرف زوجك أنك تتحرَّشين بالفتيان في الشوارع؟"

ج.م.

سائح أمريكي

في مطار كينيدي بنيويورك سئلت امرأة عائدة من أوروبا عما اذا كان كلبها أخضع للمعاينة وسمحت له دائرة الصحة العامة في المطار بالدخول. فأجابت بكبرياء: "أود أن تعرف يا حضرة المفتش أن لا ضرورة لذلك. فهذا الكلب مواطن أمريكي!"

ل.س.

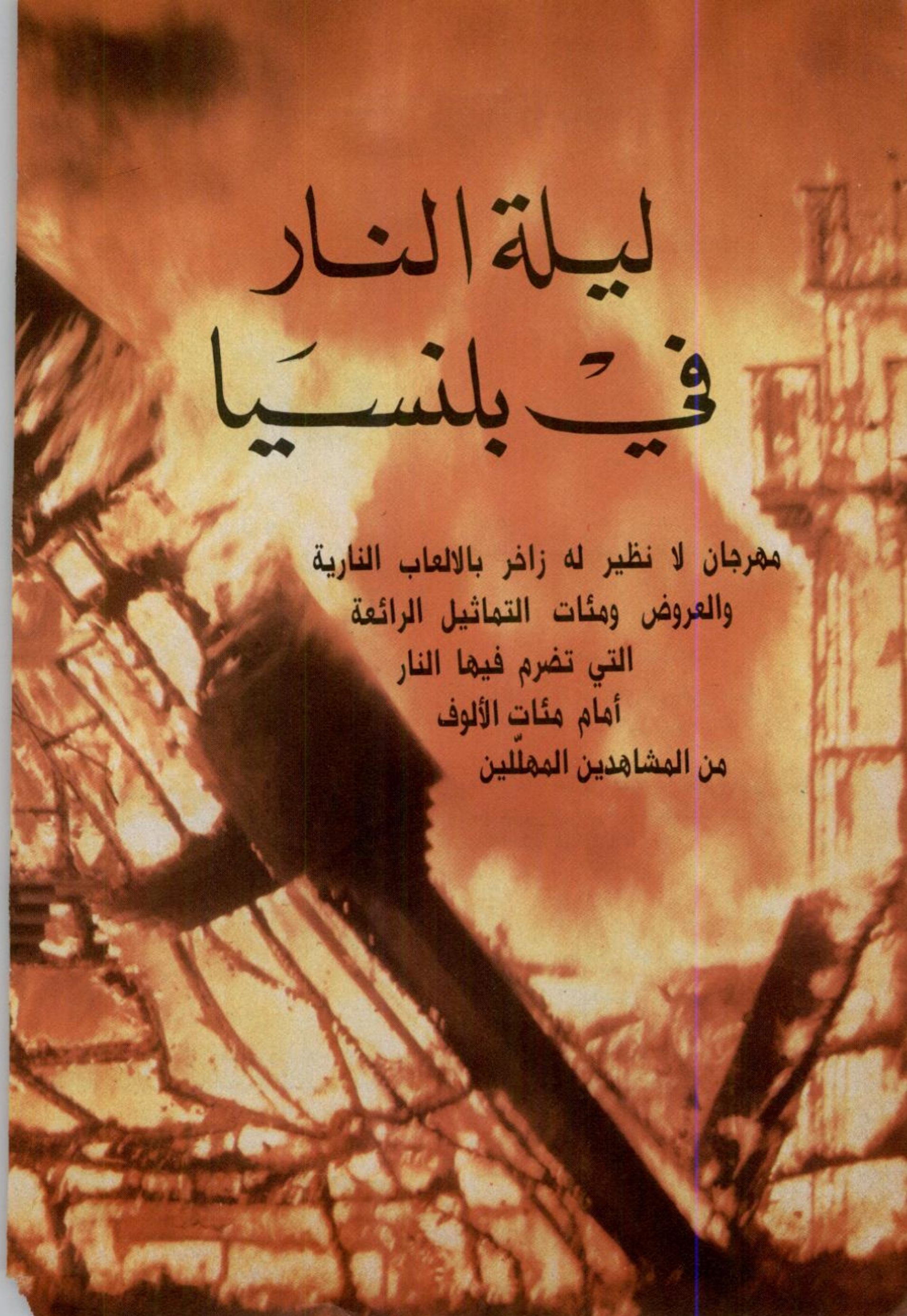

ليلة النار في بلنسيا

**مهرجان لا نظير له زاخر بالالعاب النارية
والعروض ومئات التماثيل الرائعة
التي تضرم فيها النار
أمام مئات الألوف
من المشاهدين المهلّلين**

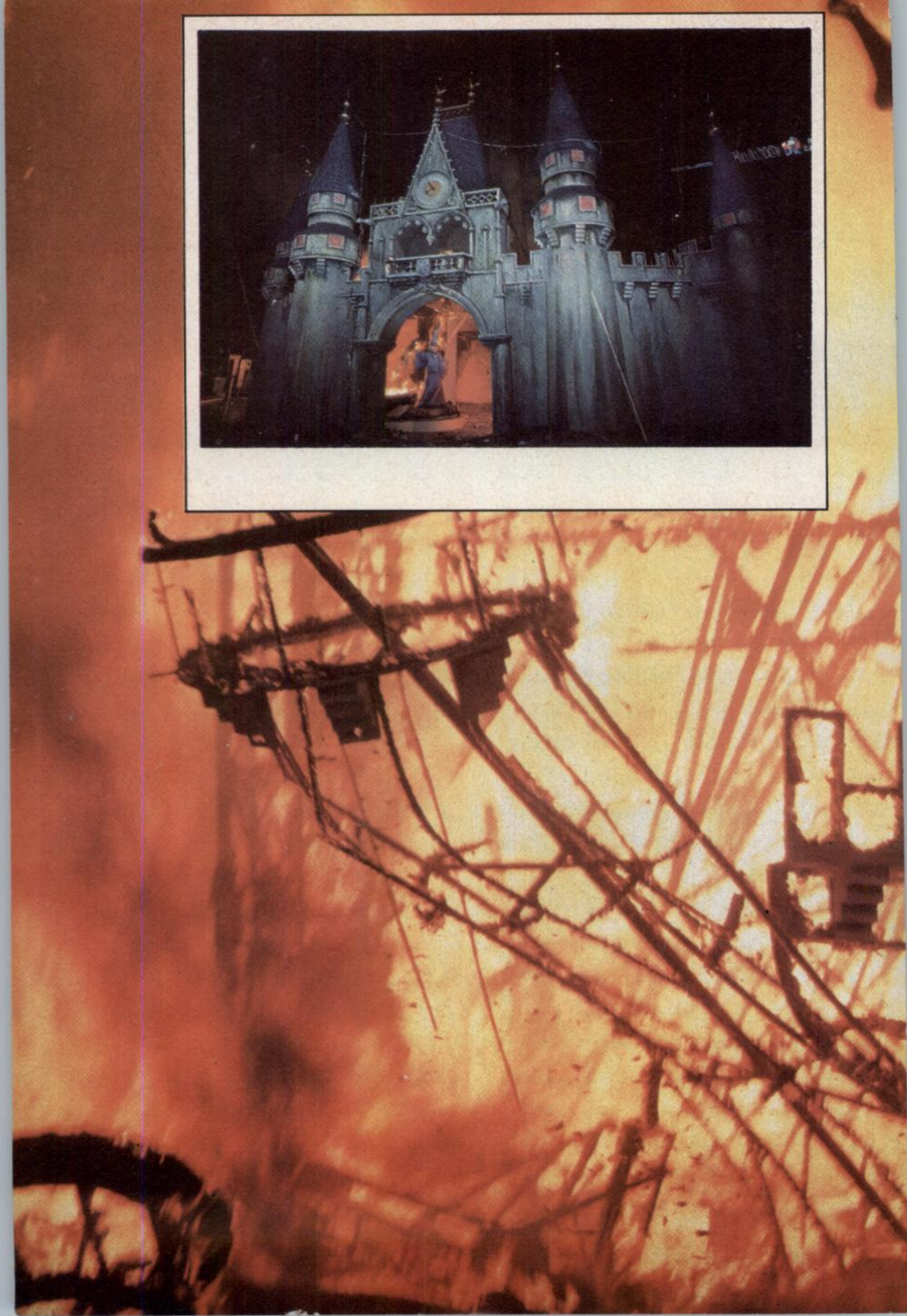

ليلة النار في بلنسيا

يتعالى هيكل مصنوع من الخشب والكرتون في شكل غليون بارتفاع بناء من ثلاث طبقات، شامخاً فوق رؤوس الناس المحتشدين في الجادة العريضة. وموضوع المهرجان: "الرذائل والأهواء".

وعلى قمة الهيكل رجل متنكر برداء أحمر يتراقص وهو ينفخ في قصبة الغليون الصفراء فيقذف حجار نرد وأوراق لعب (كوتشينة) فتنهال من وعاء في شكل رأس انسان. وعلى مستوى الشارع ينتصب نحو خمس وعشرين دمية في حجم الانسان تمثّل النواحي المختلفة من موضوع الاحتفال: مدمن مخدّرات يبحث عن ابرة حقن، زوجان هرمان الى مائدة يراقبان مضيفاً تلفزيونيا يقدّم جثثاً وتوابيت.

وقال أحد المارة معلقاً على هذه المشاهد: "عمّا قليل ستحترق كلها في منظر رائع."

في ربيع كل سنة توقد النيران في أنحاء أوروبا في احتفالات طقسية يعود عهدها الى قرون عدة. ولكن في التاسع عشر من شهر مارس (آذار) في مدينة بلنسيا الاسبانية تبقى "ليلة النار" هي الأروع بين كل هذه الاحتفالات. انها ذروة مهرجان سنوي يدوم خمسة أيام وتتخلّله الموسيقى والالعاب النارية والعروض ومصارعة الثيران. وفي كل ناحية تتأجج النار في الساحات وزوايا الشوارع وتلامس ألسنتها الشرفات وتقفز فوق السطوح وتضرم في ٣٦٠ هيكلا أو أكثر تمثل أنواع حماقات البشر.

هذه العادة متأصلة في التقاليد القديمة لنجّاري بلنسيا الذين يحتفلون بعيدهم في التاسع عشر من مارس (آذار) فيوقدون النار في بقايا أخشاب النجارة. وقد باتت هذه المناسبة مسرحاً للنقد الاجتماعي والتنديد في طقوس ربيعية تجتذب زهاء مليون زائر.

ويعمل نحو ٨٠ ألفا، أي واحد من كل عشرة من سكان بلنسيا، لتمويل هذا المهرجان وتحضيره من طريق "اللجان" المحلية. وهم يعيشون هذا الحدث كتجربة اجتماعية وثقافية تدوم طوال السنة.

هدف كل لجنة أن تربح علماً من الحرير لهيكلها. وتتنافس الهياكل في نحو ١٢ فئة تصنّف وفقاً لتكاليفها، بدءاً بفئة المئة ألف بيزيتا المتواضعة (نحو ٦٥٠ دولاراً امريكياً). لكن "صراع الجبابرة" هو الذي يستحوذ على اهتمام الجميع. والفائز بين هذه الهياكل الضخمة التي يراوح ارتفاعها بين ١٥ و٢٠ متراً وتصل كلفتها الى بضعة ملايين من البيزيتا، يعتبر البطل المطلق.

وهناك قرابة ٢٠٠ فنان يكرسون كامل وقتهم لهذه الهياكل. وهم يحضّرون المخططات لتقديمها الى اللجان والموافقة عليها في منتصف ابريل (نيسان). ويبدأ البناء في أوائل الصيف في "مدينة الهياكل" وهي مجمع مبني

Photos: White Star / Hamburg

أعلى اليمين: الارض المعذبة ترتكز على كعك الجرائم والعنف، والنسر فرّخ عقباناً.
أعلى اليسار: الالعاب النارية تفتتح ليلة النار.
تحت: النار تضرم في الهياكل.

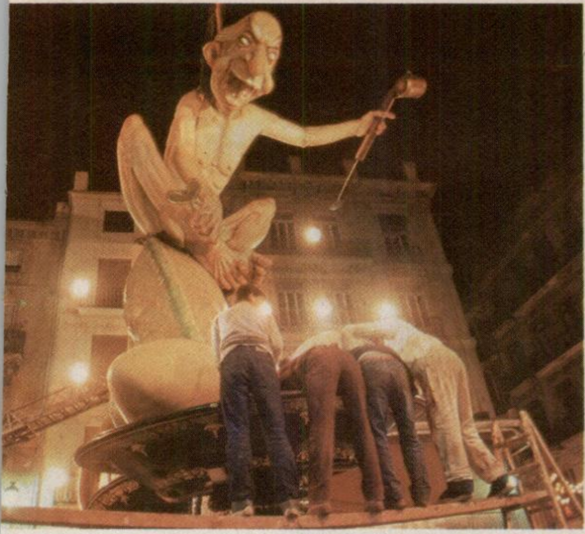

اعلى اليمين: الالعاب الاولمبية في لوس انجلس عام ١٩٨٤.
اعلى اليسار: هيكل ضخم يمثل زوال السلطان وانقضاء الزمن.

بالقرميد الاحمر يضم ٦٢ مشغلا كبيرا ويقع في الطرف الشمالي للمدينة. يصنع النجارون الهيكل الاساسي من الخشب، وهو الشكل الاولي للتمثال المجوف. وبعد ذلك يمد الفنانون الطين على الهيكل ويبدأون النحت. وتصنع قوالب الجص وتبطّن بألواح من كرتون منقوعة في الماء، وحين تجف هذه تُغدو ناتئة وسريعة الاشتعال فتثبت على الهياكل الخشبية ثم تدهن بطلاء لمّاع.

وفي أوائل يناير (كانون الثاني) تمتلىء المشاغل الواسعة بـالاشكال المضحكة، ومن بينها دمى مهرّجين ترتفع ستة أمتار وأشكال طيور في حجم طائرات مروحية. ويحمل الهيكل العادي نحو عشر دمى صغيرة عند قاعدته، لكن بعض الهياكل الضخمة قد يحمل أكثر من ٥٠ دمية. وتصنع هذه الهياكل الجبارة قطعاً منفصلة لكي يسهل اخراجها من بوابات المشاغل، ثم تجمع في الخارج.

عبر السنين عكست هذه الهياكل أذواق الناس وميولهم المتبدلة. وتمثل هياكل هذه الايام غالباً مناحي مستقاة من القضايا العامة التي تشغل الناس، كالجرائم والمخدّرات والتلوّث والبطالة. ويقول بيري ماروتو الامين العام لمجلس الهياكل المركزي الذي ينظم المهرجان وينسق أعماله: "ان رموز الجور والشر والحماقة تمحق كلها في اللهب."

في الخامس عشر من مارس (آذار) أول أيام المهرجان يستيقظ سكان بلنسيا ليجدوا مدينتهم وقد غزاها جيش من الهياكل الهازجة. واعتباراً من ذلك الصباح لا تنفك المدينة تنبض بالاثارة. فتحتشد الناس في مقاهي الارصفة ويتمشى المحتفلون بين الهياكل. وبعد الظهر تدوي الهتافات في حلبات مصارعة الثيران، وتزين الشوارع أقواس من المصابيح الملونة، وتقام الولائم في الهواء الطلق ويتواصل الرقص حتى ساعة متقدمة من الليل، وينهمك نحو ألف اختصاصي بالالعاب النارية في ملء جو المدينة دوياً وارتجاجاً وتوهجاً.

وأخيرا تأزف ليلة النار. وبدءاً من منتصف الليل تطلق الألعاب النارية التي تخطف الابصار في سيل من الصواريخ والاضواء المتوهجة، فتلهب سماء المدينة بدفق غزير من الألوان المتفجرة والشرر المتطاير. ثم تهدر أولى النيران المتأججة.

ولا يني المسؤولون في المدينة عن اتخاذ كل الحيطة اللازمة. فثمة ٤٠٠ اطفائي يقفون على أهبة حول الهياكل المنصوبة في الشوارع الضيقة وتقاطعات الطرق والأزقة. ويصب خبراء الالعاب النارية الوقود من دلاء كبيرة على الهياكل ويفتحون بقضبان حديد منافذ للهواء في الاغطية الورقية.

ثم يشعل فتيل. وخلال ثوان تلف ألسنة اللهب أحد الهياكل الضخمة وفيه تماثيل ترمز الى "الاعراق الخمسة على الارض" وتحمل كوكباً في شكل يقطينة. انه انتقام جماهيري وحل حاسم لكل معضلات العالم. ويبتهج الجمهور المحتشد في الساحة، فهذه المشاكل عينها ستعود في اليوم التالي، لكنها في هذه الليلة على الاقل حُلّت في نفوس المتفرجين.

وخلال ساعة ينتهي كل شيء. يوجه الاطفائيون خراطيم المياه الى الجمر المتّقد بينما ينصرف الجمهور بهدوء والجميع يشعر بالتعب والرضا. وسرعان ما يشرع عمّال التنظيف في كنس الشوارع وجمع الرماد من انحاء بلنسيا. ومع انبلاج الفجر لا يبقى أثر لتلك المحرقة المثيرة. لكن الوقت لا يتسع للحنين، فبالنسبة الى عشرات الألوف من المشاركين يوشك مهرجان السنة المقبلة على البدء.

روي فرغسون ■

الانتظار أسوأ من المعرفة. فالحزن يمزق القلب بنظافة متيحاً له ان يلتئم، أما الانتظار فيمزق الروح.

م.ل.

روح الجبال

تخترق عقلنا وعضلاتنا
وعظامنا وتصل الى صميم روحنا

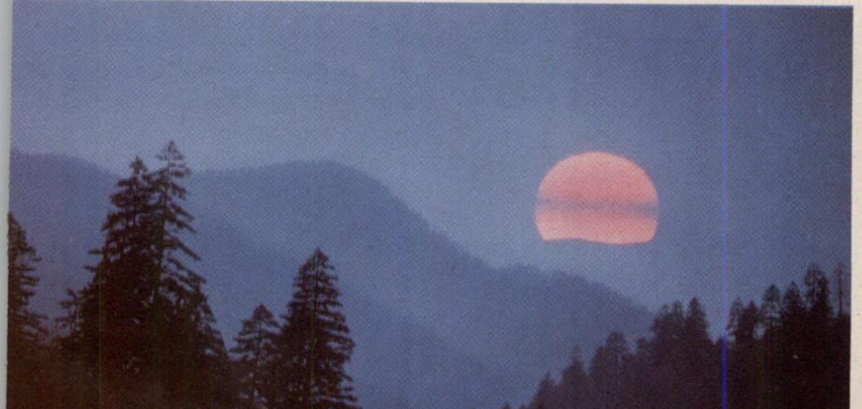

أمر غريب ينتابك في الجبال. تتحرر من رائحة الاحتراق المخدرة وتنتعش بعبير عفن الخشب والصنوبر. وتجد أشياء جديدة رائعة. يهزك الرعد حتى عظامك ويفلق الجليد الصخر الاصم. وتهدر الشلالات ويغرغر ماء الثلج الذائب. واذ

© 1984 by Peter Steinhart. Condensed from Audubon (September '84), New York, N.Y.
Photo: Comstock, Inc.

ترى هذه الاشياء وتسمعها تحس التجدد فتبدأ حياتك ثانية.

نحن قوم نحب الجبال. حين نتقوقع في المدن تغدو الجبال البديل الاخير من حياتنا المكتظة. ففي حين تقطّع الاراضي المنبسطة لتتحول شبكات من الطرق والحقول والملكيات المخصصة لأغراض مزعومة، تبقى الجبال سليمة. يدعها الناس وشأنها لأنها لا تصلح للزراعة، فالجليد يغطيها في الشتاء والبناء فوقها باهظ الكلفة.

الجبال صورة الصيف في عقولنا. نختزن ذكرياتنا الشخصية عنها متعة ورجاء. هناك المنحدرات المغطاة بالنبت والمتألقة بأشعة الشمس والنابضة بتغريد العصافير. هناك الجرف العالية من الصوّان الأسود تتوهج بروعة بيضاء في ضوء القمر. هناك المروج الفسيحة المغطاة بالجليد والغابات الكثيفة من أشجار السرو والضباب يتعالى كالاشباح فوق الأنهار عند بزوغ الفجر. هذه كلها تبعث في النفس لحظات حيوية وراحة.

اننا نكتسب قوة وصفاء رؤية في سكنى الجبال. حين تحتك مناكبنا في شوارع المدن يظهر زيف أخلاقنا، أما في الجبال فالأخلاق تنمو من قلوبنا.

ولا يقتصر الامر على أن الجبال غير مأهولة. فالجبال مفعمة بالأحاسيس. انك تجد علائم واضحة وبنية حية ودفئاً في الشمس التي لا يشوبها غيهب. عليك أن تجهد نفسك، ان لم يكن من أجل الدفء فلكي ترى ماذا يمتد وراء الاكمة التالية. حين ترتقي الصخور وجذوع الاشجار تشعر ببهجة تحكم العضل بالعظم وتستعيد مرح الطفولة حيث الجسم يقود العقل. عندئذ ترى في تسرب أشعة الشمس خلال أغصان الصنوبر قوة سحرية مخدرة.

ينطلق عقلك التحليلي ويتولى جزء أكبر سناً في دماغك تحديد نقلة قدمك أو مدى بسط ذراعك لحفظ توازنك. وتصبح عاجزاً عن التدقيق في دفتر حسابك المصرفي أو كتابة الرسائل. واذا تماديت في حض نفسك أوغل عقلك في التبدل. الهواء الاقل اوكسيجيناً يوقف دورات تفكيرك العقلي. ويضخ دماغك الأندورفينات، وهي العناصر الكيميائية التي تشعرك بالخفة. متسلقو الجبال يدمنون هذه الخفة التي تشعرهم بأنهم مخلوقات من خارج هذه الارض. والصيادون الواقفون ساعات في مجاري المياه الباردة يشعرون بشيء من هذه السعادة.

يتيه العقل في عالم الخيال. هناك الصمت بليغ. الغيوم تغطي القمم. والخيال الذي يحفزه نقص الاوكسيجين يفقد معالمه الحادة. وتمتطي أفكارنا صهوات الرياح فنرى حولنا أشباحاً هائمة.

كان الناقد جون راسكين يعتبر أن الناس يجب أن يُصدموا بين حين وآخر ليفقدوا توازنهم فيتاح لعواطفهم أن تغدو "على جانب من القوة للانتصار جزئياً على العقل." وأي وسيلة تصدم وتفقد التوازن خير من السير في الجبال؟

وفيما كان الكاتب المسرحي جون دنيس يعبر جبال الألب عام ١٦٨٨ تحدث عن شعور من "الرعب البهيج" و"الفرح المرعب".

يسعى الرحالة الى الجبال ليحظوا

بالاحاسيس المهيبة السامية التي تبعثها الطبيعة. وهي ملامح العظمة في الانسان. لقد أصبحت الجبال الاماكن التي تستكشف فيها النشوة. قال توماس جفرسون ثالث رؤساء الولايات المتحدة الامريكية في الجسر الحجري الطبيعي بولاية فرجينيا: "يستحيل أن نشعر بالأحاسيس النابعة من الروعة أكثر مما نفعل ازاء ما يتمثل امامنا هنا. فنشوة المُشاهد تبلغ حداً يفوق الوصف."

ولا تزال الجبال جزءاً من الوسيلة التي تكشف لنا من نحن. انها فرصة متاحة لنا لنجهد أنفسنا، لنشعر بالاشياء التي لم نحسها من قبل، لنكتشف ذُرى لمّا ترسم بعد على خرائط. وهذا يضفي علينا الفرح. من أجل ذلك نزحف على الصرود ونهبط الشعاب ونتحرى أسرار الوهاد المكسوة بالغابات وهامات الذرى الشاهقة. نود أن نفتح قلوبنا للشمس ونرى العاج في صلب الغمام. نود أن ننظر الى الأشياء فنرى فيها ملامح من ذواتنا.

بيتر شتاينهارت ■

فلسفة صغيرة

تشارلز شولتز مبدع شخصيات "بيناتس" الفكاهية (تشارلي براون وسنوبي وسواهما) يلقي الضوء على الناحية الفلسفية في شخصياته الصغيرة في كتابه "أمور تعلمتها بعد فوات الاوان - وحقائق أخرى تافهة":

الثقافة الجيدة هي أفضل شيء يأتي بعد الام القديرة.

لا تنم في فراشك ليلا وأنت تسأل نفسك أسئلة لا تستطيع الاجابة عنها.

أفضل الرحلات تلك التي تسمح لك بالعودة الى البيت ظهراً.

أنا دائماً واثق من الاشياء التي تتحمل أكثر من رأي واحد.

تكون الحياة أسهل اذا خشيت من أيامها واحداً واحداً.

الصيف يطير والشتاء يمشي الهوينا.

ي.ف.

جواب مناسب

أخذت امرأة والدتها العجوز المصرّة على العيش وحدها الى دار للعجزة آملة أن تقنعها بفوائد الاقامة هناك بدلا من البيت العائلي القديم الواسع. وقالت الابنة: "الا ترين كم يستمتع هؤلاء الناس هنا بلعب الورق؟ حين أتقدم في السن سيبهجني أن أعيش هنا."

فأجابت الام بجفاء: "وسآتي لزيارتك بلا ريب."

ا.د.

انه ضرب تجاري بدائي ومكلف.
الا ان الديون المستفحلة على الدول النامية،
والفيض العالمي في الانتاج،
تجعله خياراً وحيداً لا بد منه

نظام المقايضة للدّول المفلِسَة!

• اشترت الحكومة السويسرية مقاتلات من طراز "ف – ٥"، وفي المقابل تعهدت شركة "نورثروب" الأمريكية التي تنتج هذه المقاتلات زيادة حجم الصادرات السويسرية بقيمة مئتي مليون دولار أمريكي. وهكذا وجدت نورثروب شارياً للمصاعد السويسرية في مصر، كما وجهت السويسريين الى مشروع انشاء مصنع للاسمنت في أندونيسيا. وقد أفاد نحو مئتي شركة سويسرية من معونة نورثروب.

• بعد منافسة حامية فازت شركة "جنرال الكتريك" الأمريكية بعقد لتقديم محركات توربينية الى رومانيا تبلغ قيمته ١٥٠ مليون دولار. وهي نالت هذا العقد في مقابل موافقتها على تسويق بضائع رومانية بالقيمة نفسها. وتمكنت جنرال الكتريك من استعمال بعض الصلب الروماني ووضعت برامج تسويقية لبيع مواد أخرى في الشرقين الاوسط والأقصى.

ويقدر الخبراء في وزارة التجارة الأمريكية أن نحو ١٥ في المئة من المبادلات التجارية الدولية تخضع الآن لاحد أشكال التجارة بالتبادل (countertrade) وهي امتداد للمقايضة (barter) التي كانت شائعة قديماً.

عبر آلاف السنين استمرت المقايضة وسيلة أولية للتجارة. ففرضت القوى

الاستعمارية مقايضات ثنائية على الدول الخاضعة لها، ملزمة اياها شراء بضائع مصنعة باهظة الثمن في مقابل مواد أولية تؤخذ بأثمان زهيدة، ومحظرة عليها المبادلات التجارية مع الدول الأخرى. وبات لزاماً تحرير التبادل التجاري الدولي من القيود المفروضة على المقايضات. ففي يوليو (تموز) ١٩٤٤ عقد مؤتمر الأمم المتحدة للنقد والمال في بريتون وودز بمقاطعة نيوهامشاير، وتوصل رجال الاقتصاد والديبلوماسيون المجتمعون الى اتفاقات وضعت الأسس لصندوق النقد الدولي وأدت الى تنظيم تسعير العملات عالمياً.

ودخل التبادل التجاري بين الأمم حقبة جديدة، فانحلت الربط التي قيدت التجارة بين القوى الاستعمارية والدول الدائرة في فلكها. وانفتحت الأسواق العالمية على جميع الدول فازدهرت التجارة المتعددة الجنسية. وغدا من الطبيعي أن تسوّق البلدان انتاجها في أفضل مكان يلائمها، وتبتاع حاجاتها من المصادر الأبخس ثمناً. واذ أصبحت العملات قابلة للتحويل غدت الصفقات تتم بأموال تدفع نقداً. وتحولت المقايضة ممارسة بالية تخطاها الزمن، أو هكذا بدت ظاهرياً.

تدبير احتياطي - خلال السنوات القليلة الماضية بدأ النظام النقدي الدولي يرزح تحت متغيرات اقتصادية عدة. وأحد أهم الاعباء الديون الهائلة المترتبة على دول العالم الثالث والتي تقدر بثمانمئة مليار دولار أمريكي. ويقول ديفيد يوفي الاستاذ في كلية ادارة الاعمال في جامعة هارفرد: "الحقيقة المجردة هي أن كثيراً من الدول يعاني حالا من الافلاس."

أما البلدان الرازحة تحت عبء الديون الضخمة، كالمكسيك والبرازيل والأرجنتين، فاضطرت الى تكريس معظم عائدات صادراتها لدفع فوائد الديون المترتبة عليها، مما تركها من دون فائض لتغطية المستوردات. لكن المقايضة تتيح للدول المدينة مواصلة استيراد حاجاتها مع كتم حقيقة صادراتها عن الدائنين.

لكن تجارة التبادل ليست حكراً على الدول المدينة. وفي هذا الموضوع يرى ديفيد يوفي "ان الدول القوية بميزانها التجاري، مثل أوستراليا وكندا واندونيسيا، باتت تصر على تجارة التبادل في مجالات عدة. فمن الثابت أن ربط الواردات بالصادرات هو من وسائل الضغط على الشركات العالمية. والدول التي تفتقر الى الخبرة في التسويق العالمي تلجأ الى تجارة التبادل كوسيلة فاعلة للتعامل مع الشركات الكبرى."

وتستخدم الدول تجارة التبادل كوسيلة مموهة لدعم الصادرات. ويقول يوفي انه اذا شاءت احدى الدول أن تزيد صادراتها النفطية مثلا، ففي امكانها اللجوء الى خفض الاسعار. لكن خطوة كهذه لا بد من أن تضعف اتحاد منتجي النفط. أما اذا باعت دولة نفطها بحسب تسعيرة منظمة "أوبيك"، ورتبت في صفقة لا ضجة فيها أن تدفع علاوة من نفطها في مقابل بضائع مستوردة، فإن طرفي الصفقة لا بد منتفعان، وذلك حتماً على حساب منتجي

النفط الآخرين. ان أكثر من ربع صفقات دول أوبيك هذه الايام يتضمن نوعاً من تجارة التبادل كتدبير احتياطي ملحق.

ان المقايضة في شكلها التقليدي، أي التبادل المباشر للبضائع المتعادلة القيمة، باتت نادرة نسبياً. اما أنواعها العصرية فهي:

الشراء بالتبادل (١)، ويشمل عادة طرفاً يبيع البضائع أو الخدمات ويطلب في المقابل بضائع أخرى تعادل قيمتها بالضرورة كلفة المشترى. فمثلا، حين باعت شركة "ماكدونيل دوغلاس" طائرات مدنية الى يوغوسلافيا في الستينات وافقت على شراء بضائع من تلك الدولة، بما فيها شرائح اللحم التي قدمت في مطاعم الشركة. كما وافقت على تسويق بضائع يوغوسلافية في الولايات المتحدة. وشجعت الشركة موظفيها على تمضية عطلاتهم في يوغوسلافيا. وساهمت دولارات السياح في ايفاء التزامات الشركة.

اتفاقات التعويض (٢)، وتعتمد أحياناً للفوز بعقود انشاء المصانع. فعندما باعت شركة "ليفي شتراوس" مصنعاً لألبسة الجينز الى هنغاريا (المجر) وافقت الشركة الأمريكية على تسويق نحو نصف مليون سروال جينز سنوياً في ألمانيا الشرقية وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا.

اتفاقات المقاصة (٣)، وهي في معظم الأحيان مواثيق ثنائية بين الحكومات وعبارة عن تبادل بضائع تعادل قيمتها رقماً متفقاً عليه. إن كميات كبيرة من البضائع الغربية تدخل الاتحاد السوفييتي عبر اتفاق مقاصة بين الاتحاد السوفييتي والهند. فالهند تحتاج الى زيادة صادراتها الى الاتحاد السوفييتي كيما تعادل وارداتها. لذا شرعت الأبواب أمام بعض الشركات الغربية التي، لولا ذلك، ما استطاعت غزو الاسواق السوفييتية.

شركة "زيروكس" البريطانية مثلا لاقت صعوبة في بيع ناسخاتها (فوتوكوبي) الى الاتحاد السوفييتي لأن موسكو رفضت التخلي عن بعض عملتها الصعبة. ففتحت معملا مشتركاً لتجميع أجزاء الناسخات في الهند التي تصدر الناسخات الى الاتحاد السوفييتي. وهكذا وجدت "زيروكس" منفذاً الى تلك السوق.

ويخشى المسؤولون في الحكومة الأمريكية أن يؤدي النمو السريع للتجارة بالمقايضة الى ضعضعة أسس النظام التجاري العالمي. ويقول أحد ممثلي الهيئات التجارية الأمريكية انه باخفاء حقيقة الأسعار في الصفقات فان المقايضات قد تخفي الضعفات الاقتصادية وتثبتها في الأسواق.

ويمكن أن تكون المقايضة أيضاً عملا محفوفاً بالخطر. ويلاحظ ديفيد يوفي: "ان كثيراً من الشركات يخسر لأنه يبلى ببضائع سيئة النوعية أو ذات مواصفات خاطئة."

---

(١) Counterpurchase
(٢) Compensation Agreement
(٣) Clearing Agreement

خيار وحيد - كثيراً ما يكون تنظيم صفقات التبادل عملية معقدة. وفي العام ١٩٨٢ شرعت شركة "كرايزلر" في بيع شاحنات الى دولة جمايكا التي خنقتها الديون. ولانجاز الصفقة اتفق الطرفان على أن تتولى شركات التعدين الأمريكية والكندية التي تستخرج البوكسيت وتنقيه ليصبح ألومينا (أوكسيد الالومينيوم) تسليم نحو ٥٠ ألف طن من المعدن المنقى الى شركة تجارة البوكسيت والالومينا التابعة للحكومة الجمايكية.

وصدرت هذه الشركة الألومينا الى "متالغزلشافت"، وهي شركة معادن ألمانية باعت المعدن الى معمل تكرير حوّله ألومينيوم. وذهبت الأموال التي قبضتها شركة المعادن الى المصرف الذي تتعامل معه كرايزلر، وهو المصرف الأوروبي الأمريكي الذي دفع قسماً من هذه الأموال الى شركة تجارة البوكسيت والألومينا الجمايكية.

أما بقية المبلغ فموّلت اعتماداً لشركة كرايزلر التي بدورها أرسلت الشاحنات الى جمايكا. وتولت شركة حكومية أخرى في الجزيرة بيع الشاحنات الى وكيل كرايزلر المحلي. فدُفع ثمن الألومينا الى شركات التعدين وبات في امكان المستهلك الجمايكي شراء شاحنات أمريكية.

والحقيقة أن المقايضة في التجارة الدولية هي عملية غير فعالة فضلا عن كونها مكلفة بالمقارنة مع التجارة بالمال. ويلفت ديفيد يوفي الى "ان الشركات العالمية تلجأ الى رفع أسعار منتجاتها لتغطية التكاليف الاضافية التي تتحملها اذا ما أجبرت على الاخذ بمبدأ المقايضة." ويرى في المقايضة وسيلة لحماية الانتاج الوطني.

ومن ناحية أخرى يؤكد دانيال سكشين مدير قسم التبادل التجاري في شركة "بنك أمريكا للتجارة العالمية" أن زيادة التجارة بالمقايضة تؤمن حلولا عملية لمشاكل الديون في النظام النقدي العالمي. "وبالنسبة الى عدد متزايد من الدول العاجزة عن الحصول على تسليفات بالعملة الصعبة، فان التجارة بالمقايضة هي الخيار الوحيد." أما ديفيد يوفي فيسلم بأن هذه التجارة باقية في المدى المنظور، ويضيف: "من دونها يتعذر على دول كثيرة استيراد أي شيء. وهي بالنسبة الى آخرين أداة فاعلة لدخول أسواق متخمة."

جاي ستولر ■

تخطيط غذائي

عادت الزوجة الى البيت من عملها. وكانت متعبة ووقتها ضيقاً فأعدت طعاماً من بقايا وجبات سابقة. وحين جلست مع زوجها الى المائدة قالت له: "يرهقني جداً التخطيط لوجبات الطعام."

وحدّق اليها زوجها سائلا: "وهل خططت لهذا؟"

ن.هـ.

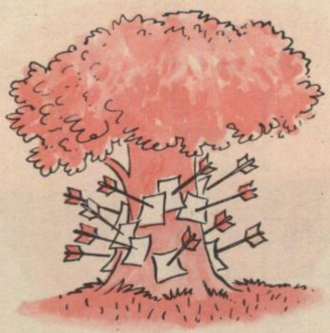

حكايات من العالم

الى طلاب الزواج

نشر قسم الاعلام الاقتصادي والاجتماعي التابع للامم المتحدة وثيقة يمكن أن تفيد الرجال والنساء الباحثين عن النصف الآخر. وقد جاء في هذه الوثيقة: "ان أفضل مكان للنساء البالغات اللواتي يردن الزواج هو غرينلاند، حيث هناك ستة بين كل عشرة رجال مستعدون للزواج. وأفضل مكان للرجال هو جزيرة ريونيون الفرنسية شرق مدغشقر في المحيط الهندي، حيث تبلغ نسبة النساء المستعدات للزواج ٦٩،٨ في المئة."

صحيفة "نيويوك بوست"

الحيتان الخجولة

احتجز نحو ٣٠٠٠ حوت، أي نحو خمسة في المئة من مجموع الحيتان في العالم، وراء جدار ضخم من الجليد في مضيق سنيافينا في بحر بيرنغ (بين سيبيريا وألاسكا). وأمرت السلطات في موسكو كاسحة الجليد "موسكفا" بفتح منفذ، لكن الحيتان الخجولة لم تخرج من هناك.

ومر في بال أحد البحارة أن الحيتان تهوى الموسيقى، فأخذ وزملاءه يبثون موسيقى مسجلة بأعلى صوت ممكن من على متن الكاسحة. ولم تلق الحيتان بالا لموسيقى الجاز الصاخبة. ولكن حين أديرت أسطوانة موسيقى كلاسيكية انتفضت الحيتان حماسة وأخذت تتعقب السفينة المنقذة خارجة الى عرض البحر.

مجلة "لايف"

أنوار سياحية

اذا تجولت في دنكلسبول بألمانيا الغربية بعد الساعة التاسعة مساء فلن تستطيع تمييز المعالم الاثرية، وذلك لانك لم تضع مالا في صندوق النقود. ففي مقابل ١،٧٠ دولار تعطيك البلدة ساعة من الانارة لمشاهدة تماثيلها.

ج.أ.

رسالة إلى صديق

لماذا لا نجد متسعاً من الوقت لابقاء الاتصال مع من نحب؟

لا بد من أن سائق سيارة الاجرة كان مستغرقاً في القراءة اذ تعين علي أن انقر على زجاج سيارته لألفته الى وجودي.

وسألته عندما انتبه أخيراً: "هل سيارتك جاهزة للانطلاق؟" فأومأ برأسه ايجاباً وجعل يعتذر الي بعدما جلست في المقعد الخلفي: "آسف، كنت أقرأ رسالة." وبدا لي من لهجته كأنه مصاب بزكام.

قلت: "الرسائل من الاهل تعني الشيء الكثير."

وقدرت أن عمره يراوح بين ٦٠و٦٥ سنة فحدست: "هل هي من ولد لك أو حفيد؟"

- انها ليست من أحد أفراد عائلتي، مع أن اد قد يعتبر من الأهل. كان أخلص أصحابي. وكان أحدنا يدعو الآخر "يا صديقي" عندما نلتقي. غير اني لست ممن يكتبون كثيراً.

"لا أظن أحداً منا يواصل المراسلة كما ينبغي. أعتقد أن صداقتكما دامت فترة طويلة."

- في الواقع دامت طوال حياتي. كنا رفاق صف في سنوات الدراسة.

"قلة من الناس تحتفظ بصداقتها مدة طويلة كهذه."

- لم نكن نلتقي الا مرة أو مرتين في السنة خلال السنوات العشرين الماضية لاني انتقلت بعيداً عنه وفقد الاتصال بيننا. كان رفيقاً مدهشاً.

© 1985 by Foster Furcolo. Condensed from Boston Magazine (July '85), Boston, Mass.

"لاحظت أنك قلت "كان." هل يعني ذلك انه...؟"

- أجل، توفاه الله قبل أسبوعين.

"آسف. ان فقد صديق صدمة قاسية."

لم يجب، وران الصمت بيننا بضع دقائق. وحين تكلم أخيراً بدا كأن كلامه موجه اليه أكثر مما هو الي: "كان ينبغي أن أحافظ على الاتصال بيننا."

وقلت مؤاسياً: "علينا جميعاً أن نحافظ على الاتصال بأصدقائنا القدامى أكثر مما نفعل حقاً. ولكن يبدو أننا لا نجد الوقت لذلك."

وهز كتفيه: "بل كنا نجد الوقت، وهذا وارد في الرسالة." ثم ناولني الرسالة وأضاف: "ألق نظرة عليها."

قلت: "شكراً، لكني لا اود أن أقرأ رسالتك. انها قضية شخصية."

- صديقي مات. وليس في الرسالة شيء شخصي. هيا اقرأها.

كانت الرسالة مكتوبة بقلم رصاص وتبدأ بالتحية: "يا صديقي القديم." وذكرتني الجملة الاولى بنفسي: "كنت مزمعاً على الكتابة منذ مدة، لكني أرجأت ذلك مرات عدة." كتب الصديق انه يتذكر الاوقات السعيدة التي قضياها معاً. وأشار الى حوادث تخص السائق والى قصص عن عبث الشباب وذكريات حميمة لزمن انقضى.

وسألت: "هل عملتما معاً؟"

- لا. غير اننا كنا نقضي الوقت معاً في زمن العزوبة. وبعد زواجنا دأبنا على تبادل الزيارات. ولكن بعد ذلك اقتصر الامر على تبادل بطاقات المعايدة في المناسبات. وكنا طبعاً نضيف الى البطاقة عبارة شخصية نتحدث فيها عما يفعله الاولاد وسوى ذلك. لكننا لم نتبادل رسائل حقيقية.

"ثمة شيء مهم هنا حيث يقول: ان صداقتك عبر كل هذه السنين ظلت تعني لي الكثير، أكثر مما يمكنني أن أعبر عنه لاني لست بارعاً في التعبير عن مشاعر كهذه."

ووجدتني أهز رأسي موافقاً وأقول للسائق: "لا بد من أن هذا القول أسعدك."

وتمتم السائق كلاماً لم أفهمه فتابعت: "كم أود أن أتلقى رسالة كهذه من أعز أصدقائي."

واقتربنا من المكان الذي قصدت، فتجاوزت النص الى الجملة الاخيرة وقرأت: "أعتقد أنك تود أن تعرف أني ما زلت أفكر بك دائماً." وبعد ذلك، التوقيع: "صديقك القديم توم."

وحين توقفنا أمام الفندق أعدت الرسالة الى السائق وقلت له وأنا أخرج حقيبتي من السيارة: "شكراً لك، كانت محادثتنا ممتعة."

توم؟ وخاطبت السائق: اعتقدت أنك قلت لي ان اسم صديقك هو إد، فلماذا وقع الرسالة باسم توم؟"

أجاب السائق: "الرسالة ليست من إد الي. أنا اسمي توم. وهذه رسالة كتبتها اليه قبل أن أعرف بوفاته. غير أني لم أرسلها قط. كان ينبغي أن أرسلها اليه قبل ذلك."

حين دخلت الفندق لم أفتح حقائبي من فوري. لقد وجب علي أن أكتب رسالة وأضعها في البريد.

فوستر فوركولو ■

السّكتاتُ القلبيَّة يُمكِن تفاديهَا قبْل فوات الأوانْ

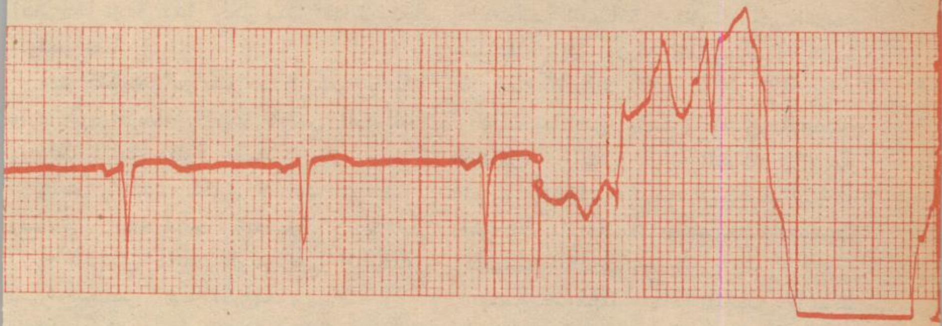

اختصاصي شهير بأمراض القلب
يروي لنا كيف امكنه ان يتعافى من سكتة قلبية

حدث ذلك في الثالث عشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧. الاختصاصي الامريكي الشهير بامراض القلب الدكتور ارفين بايدج (٧٦ سنة) بدأ نهاره كالعادة. في الخامسة صباحاً جلس يتابع كتابة عدد من المؤلفات والمقالات الطبية اذ انه اعتاد العمل على مؤلفات مختلفة في آن. وبعدما امضى ثلاث ساعات في الكتابة تناول الفطور مع زوجته ثم توجه الى العيادة حيث يعمل في مدينة كليفلاند، ولاية اوهايو.

والدكتور بايدج مدير سابق للعيادة وهو الآن متقاعد ويعمل مستشاراً فنياً لقسم الابحاث فيه. وهناك يقضي تسع ساعات كل يوم يستقبل المرضى ويشرف على الابحاث العلمية ويلقي المحاضرات ويرد على الرسائل والمكالمات التي ترد عليه من اطباء في اقطار العالم.

"بدأت اشعر بالتعب في الساعات الاولى من بعد الظهر. واذ اعتدت اللجوء الى كرة المضرب (التنس) لاتغلب على الارهاق فاني اقبلت على هذه الرياضة بعد العمل. ولم

احسن اللعب يومئذ، لكني طمأنت نفسي الى اني سأجد كوباً من الشراب ينتظرني لدى عودتي الى البيت، اضافة الى وجبة عشاء لذيذة وحديث شائق مع زوجتي بيا. لكني ما ان تناولت الشراب حتى سقط الكوب من يدي وتحطم على الارض. وكنت قد رأيت اعراضاً مشابهة في السابق، فادركت للحال اني فريسة سكتة قلبية."

واذ ادرك الدكتور بايدج ما اصابه توجه الى غرفة النوم في الطابق الاعلى من منزله، لكنه تعثر على السلم فهتف

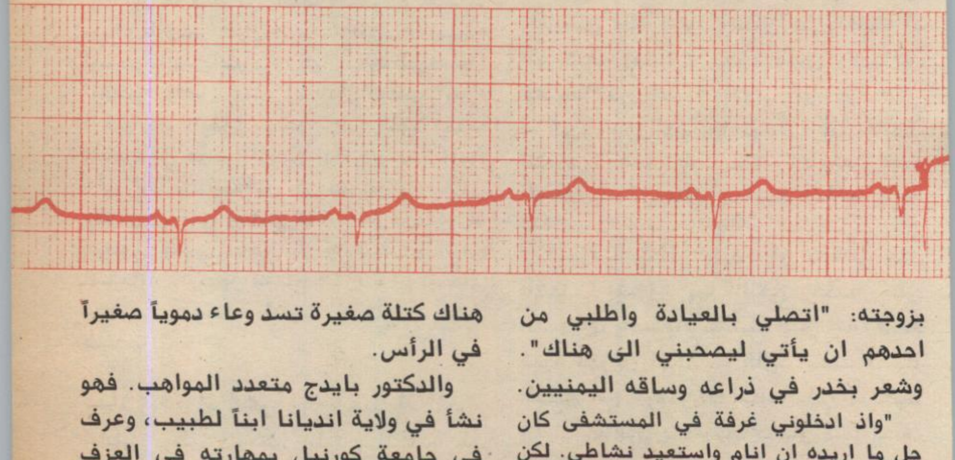

بزوجته: "اتصلي بالعيادة واطلبي من احدهم ان يأتي ليصحبني الى هناك". وشعر بخدر في ذراعه وساقه اليمنيين.

"واذ ادخلوني غرفة في المستشفى كان جل ما اريده ان انام واستعيد نشاطي. لكن رهطاً من الاختصاصيين والاطباء المقيمين والممرضات اقبلوا علي يجسون نبضي ويفحصون استجابات اعضائي اللاارادية ويأخذون عينات من دمي ويطرحون اسئلة لا نهاية لها."

تحركي! - شاءت سخرية القدر ان يصاب الدكتور بايدج بعَرَضٍ طبي كان قد كرس وقته لمكافحته. فهوَ عانى ازمة قلبية في العام ١٩٦٧، وها هو الآن يصاب بسكتة. وكان هم الاطباء ان يكتشفوا سبب السكتة، فمن المعروف ان هناك اربعة مسببات للتلف الدماغي تنتج من عطل في الدورة الدموية: الجلطة الدموية او الخثر، وكتلة من الغلاف الداخلي لوعاء دموي تنطلق نحو الدماغ فتسد مجرى الدم في احد شرايين الرأس، وانفجار في انسجة شريان معطوب، ونزف من شأنه اتلاف قسم كبير من انسجة الدماغ.

واثبت الامتداد البطيء للشلل في جسم الدكتور بايدج انه لا يشكو نزفاً بل هناك كتلة صغيرة تسد وعاء دموياً صغيراً في الرأس.

والدكتور بايدج متعدد المواهب. فهو نشأ في ولاية انديانا ابناً لطبيب، وعرف في جامعة كورنيل بمهارته في العزف على آلة البانجو وكان يقود فرقة موسيقية لحفلات الرقص الشعبي. ولاحظ عدد من الاساتذة ابعاداً اخرى في طاقات الطالب الشاب ووجهوه نحو دراسة الطب. وبعدما عمل كطبيب مقيم في مدينة نيويورك دعي الى تأسيس دائرة لكيمياء الدماغ في معهد كايزر فيلهلم في ميونيخ، المانيا الغربية. وهناك تعرف الى بياتريس آلن وهي راقصة امريكية قدمت الى ميونيخ للاشتراك في مؤتمر دولي

للباليه، فتودد اليها وفاز بقلبها. ولدى عودته الى الولايات المتحدة انصرف الى ابحاث ضغط الدم وامراض الكلى. في ذلك الحين، اي في بداية الثلاثينات، كان معظم الاطباء يعتقدون ان ضغط الدم المرتفع هو وسيلة يستخدمها الجسم لتوزيع التغذية. وما لبث الدكتور بايدج ان نقض تلك النظرية اذ اوضح ان ضغط الدم المفرط قد يؤدي الى تلف في الاوعية الدموية تنتج منه سكتة مميتة.

"اول ما خطر لي عندما افقت هو ما كنت رددته للمرضى طوال سنوات: الجلطة القلبية ليست قاتلة بالضرورة، كما ان معظم اعضاء الجسم يواصل عمله الا اذا انعطب الجزء الاكبر من الدماغ. صحيح اني كنت فقدت الحس في جانبي الايمن، لكني بقيت قادراً على الكلام والتفكير. ورحت اناجي اناملي وقدمي وذراعي وساقي فاشجعها كي تتحرك وتتلوى وتلبي حاجة ما. وايقنت ان ادنى استجابة قد تكون مفتاح شفاء ذراع او ساق بكاملها. وهكذا باشرت برنامج تأهيل شخصياً."

مبادىء الرقص – عندما اقترح الاطباء على الدكتور بايدج الافادة من خدمات اختصاصي بالمعالجة الطبيعية (التدليك والتمارين الرياضية وسواها) رفض هو قائلا: "انا وحدي استطيع ان اكشف بصيص استجابة في عضل ما". ولكن عندما سمح له بمغادرة المستشفى بعد عشرة ايام خرج بكرسي متحرك اذ لم يكن احرز تقدماً يذكر ولم يستعد حركة ذراعه وساقه اليمنيين.

"اهم ما في الامر ان بيا كانت تنتظرني في البيت. واذ كانت راقصة فانها المت بأهمية تناسق العضلات. وقالت لي مؤكدة: لسنا في حاجة الى اثقال وآلات. ان الراقصين يسيطرون على عضلاتهم بتمارين بسيطة في المرونة والجمباز.

"في الاشهر الاولى ركزت على تمييز عضلات قليلة في ذراعي وساقي تستجيب لارادتي، وعملت على تمرينها. واذ نجحت في استخدام يدي لاقبض على الاشياء وفي رفع عقب قدمي عن الارض، شجعتني بيا على تنسيق حركات كهذه مع حركات عضلات اخرى متاخمة. وكنا نواصل التمرين على حركات بسيطة حتى اتمكن منها."

ومر الدكتور بايدج بفترات تقاعس. ولم يكن ذلك مجرد اهمال من ناحيته اذ انه شعر بفترات تعب مضنٍ ولامبالاة، خصوصاً في السنة الاولى من مرضه.

"بيد اني كنت اعلم ان ادنى وقف للتمرين، مهما قصرت مدته، قد يتعذر بعده الشفاء. فاذا اهملنا استخدام عضلاتنا فانها تتقلص وتفقد مرونتها."

اخيراً استطاع بايدج ان يتغلب على التعب بفضل بيا التي حثته على التمرين، واستعاد نشاطه حتى انه اعتمد فترة تمرين اضافية. قال: "كنت اضبط المنبه في غرفتي ليوقظني في منتصف الليل، فأقوم بتمارين جمباز مدة نصف ساعة". لماذا منتصف الليل؟ لانه كان، على رغم ما اعتراه، عاد الى عمله يداوم طوال النهار. حتى انه كان يشارك في مؤتمرات طبية خارج كليفلاند.

طفل كبير – لم يكن تعافي الدكتور بايدج امراً يسيراً. قال: "بعد ١٨ شهراً من التمارين اليومية المضنية لم اتوصل الى تناسق بين ذراعي وساقي اليمنيين." لكنه اخذ يمارس العدو البطيء على الشاطىء قرب منتجع

يملكه، ويرد بمضربه كرة يرميها اليه احد الاصدقاء.

"اذا ما عملتَ على استعادة مهاراتك البدنية بعد ازمة قلبية فانت في ذلك تشبه طفلا رضيعاً، اذ عليك ان تتعلم بعض الامور من جديد. فقبل اصابتي بالسكتة كان خطي كبيراً وسيالا، ولكن بعد مضي عامين قضيتهما اتعلم الكتابة من جديد، اصبح خطي صغيراً وغير متقن. وحدث الامر ذاته في لعبة كرة المضرب، اذ كان علي ان اتعلم كل حركة من جديد."

اما اليوم، وقد بلغ الدكتور بايدج عامه الرابع والثمانين، فلا اثر يذكر عنده للسكتة التي اصابته قبل نحو ثماني سنوات. وهو يؤكد انه متقاعد الآن، لكنه ما زال يستيقظ في الخامسة صباحاً ويعمل ثلاث ساعات في مكتبه حيث تتراكم الكتب والاوراق. وهو ما زال يمارس لعبة كرة المضرب نصف ساعة كل يوم ويمشي ٣،٥ كيلومترات ويفيق في منتصف الليل ليقوم بتمارين الجمباز مدة نصف ساعة.

"اذا فكرت في الماضي ادركت ان بعض الامور كانت ساعدتني في تفادي ما اعتراني لو اني اعرتها الاهمية الكافية، وأهمها معالجة ضغط الدم المفرط. فمع اني كنت اعلم اني لم اتمتع بضغط طبيعي، الا اني لم احاول معالجة الامر. ونصيحتي لمن يشكو ادنى ارتفاع في ضغط الدم ان يحاول خفضه بالامتناع عن تناول الملح وان يعمل على تخفيف وزنه ويثابر على التمارين الرياضية والعلاج.

"امر آخر تعلمته من خبرتي هو ان اكون اكثر حذراً في نمط معيشتي. فبعد اصابتي بأزمة قلبية عام ١٩٦٧ امتنعت عن التدخين وتناول المأكولات الدهنية فخففت وزني، وواصلت رياضة كرة المضرب. وانا متأكد من ان هذه ساهمت في شفائي وخففت من وطأة السكتة. ولكن لا يسعني الا ان اتساءل عما اذا كان في وسعي تفادي الكثير لو اني فعلت ذلك قبل سنوات."

ويخلص الدكتور بايدج الى القول: "ابسط ما في الامر ان احداً لا يمكنه ان يساعدك. عليك ان تساعد نفسك. انت وحدك يمكنك ان تلتزم برنامجاً حياتياً وقائياً. ومع ان الشفاء يتطلب جهوداً مشتركة بين الطبيب والمريض وافراد عائلته، فانت وحدك يمكنك ان تستعيد حركة عضل او طرف اذا تعرضت لازمة قلبية."

الدكتور ارفين بايدج
بالاشتراك مع ستانلي انغلبارت ■

زلزال البندورة

ذهبت وزوجتي الى متجر بقالة ووقفنا أمام ثمار البندورة (الطماطم) الباهظة الثمن. فجأة وقع زلزال من الدرجة ٥،٨ بمقياس رختر. وحالما مدت زوجتي يدها الى ثمار البندورة ارتجت الارض واهتزت مناضد المتجر وتساقطت القوارير والعلب وتخلعت النوافذ.

وبعدما عدنا الى البيت وأخذنا نوضب مشترياتنا لاحظت أن زوجتي لم تشتر البندورة. وحين سألتها عن السبب قالت: "وحي داخلي قال لي لا تشتري."

ل.ب.

المحامي الصالح

كانت من الفرص التي تسيل لعاب محامين كثيرين، لكنه رفضها

قبل نحو ست سنوات تلقى ديفيد مورفي، وهو محام من شيكاغو كان آنذاك في الثلاثين من عمره، اتصالا هاتفياً من زنجية مسنة في كاليفورنيا.

ارادت الأرملة آني سوسيير انجاز بعض المعاملات القانونية المتعلقة بصفقة عقارية بسيطة في شيكاغو. ودلَّها على المحامي الشاب أحد زملائه أيام الدراسة في كلية الحقوق.

وقبل مورفي المهمة، اذ لم يكن مشغولا ذلك اليوم. وكوَّن انطباعاً أن العجوز معدمة، فأخذ منها جزءاً بسيطاً من أجره العادي.

وفي وقت لاحق اتصلت به المرأة مجدداً. وعرضت له مشكلتها المتعلقة بسند ملكية بيت متداع في ضاحية شيكاغو الجنوبية. وتولى مورفي الأمر من دون أن يرسل اليها فاتورة. ثم توفي أخوها في شيكاغو عن واحد وتسعين عاماً. فاتصلت بمورفي سائلة اياه أن يتولى ترتيبات المأتم ويعنى بالميراث الضئيل لأخيها.

وأعجب مورفي بالسيدة العجوز المفعمة بالنشاط والحيوية على رغم كبر سنها، فأنجز ترتيبات الدفن من دون أن يأخذ منها شيئاً.

وفي صيف ١٩٨٤ رجعت سوسيير الى شيكاغو ولها آنذاك اثنان وثمانون عاماً. ولم يمض وقت طويل حتى فاجأتها نوبة قلبية.

Condensed from Chicago Tribune (March 22, '85),
© 1985 by The Chicago Tribune / Tribune Media Services, Orlando, Fla.

وذهب مورفي الى المستشفى ليعودها. وذهل حين وجدها تتشبث بدفتري توفير في أحد المصارف يضمان حساباً بقيمة ٣٥ ألف دولار وشهادة ايداع بقيمة ١١٠ آلاف دولار. والى ذلك كان لها خمسة آلاف دولار في حساب توفير آخر وعقارات تزيد قيمتها على مئة ألف دولار. وبادرته سوسيير أنها تشعر بقرب النهاية وتريده أن يخط وصيتها.

لم يكن لها أولاد، فأرادت أن تترك العقارات وبعض المال لعدد من أولاد اخوتها الذين احسنوا التصرف معها. ولم تشأ أن تعطي أقرباءها الآخرين شيئاً، اذ لم يحسنوا معاملتها. ثم أعلنت رغبتها في ترك بقية أموالها للمحامي مورفي تقديراً منها لما فعله من أجلها.

كانت تلك من الفرص التي تسيل لعاب الكثير من المحامين. لكن مورفي رفض قائلا انه ليس من الأقرباء. ولم تكن سوسيير لتتزحزح عن موقفها. أرادت أن تكتب وصيتها، وأصرت على ترك أموالها لمورفي.

لم يكن مورفي غنياً، بل يسعه استخدام المال في أمور كثيرة. فأمه مصابة بمرض مقعد، وهو أدخلها داراً للعناية مرتفعة التكاليف.

وبعد نقاش طويل قبل مورفي أن يأتي بمحام آخر ليحرر الوصية.

ونقلت سوسيير الى منزلها، وفارقت الحياة في نوفمبر (تشرين الثاني). وكما أوصت، ورث مورفي معظم التركة التي بلغت مئة وأربعين ألف دولار.

وتباحث مورفي في أمر الوصية مع محامين متخصصين بشؤون العقارات، فأكدوا له أن الوصية ثابتة قانونياً كالصخر. وفي ما يختص بالنواحي الانسانية من القضية قالوا ان العجوز أرادت بقواها العقلية الكاملة أن تمنح مورفي أموالها، لذا عليه قبول المنحة.

واذا كان هناك من مغزى لهذه القصة فهو انه لا يضر أن تحسن الى الناس وان لم يكن لك في ذلك منفعة مباشرة. ومن يعلم؟ فقد تصيب نجاحاً باهراً كما حصل مع مورفي.

انه مبلغ محترم، ١٤٠ ألف دولار. تبتاع به سيارة فخمة وتذهب في رحلة حول العالم وتشترك في ناد مرموق وتحقق أمنيات أخرى عزيزة على قلوب الكثير من المحامين الشباب.

ولكن قبل أن تحسد مورفي دعني أخبرك سراً صغيراً: انه لم يحتفظ بشيء من هذه التركة لنفسه. فهو وزع المبلغ كله على أقرباء سوسيير القلائل المخلصين.

هو ليس من النوع الواعظ، لكنه يقول: "يُنظر الى المحامين كلصوص ووحوش، وهي نظرة حقة في كثير من الأحيان. لكن معظمهم ليس كذلك. ولو قبلت الهدية لربما عززت هذه السمعة السيئة. فالمحامي الصالح يجب أن يتحلى بمبادىء أخلاقية. والمسألة لا تنحصر في ما هو قانوني."

كثيراً ما نقرأ عن السماسرة والمحامين الذين يعاونون العصابات المنظمة في تخطيط عملياتها، لذا رأيت من الجيد أن نلفت الى وجود محامين من أمثال ديفيد مورفي.

مايك رويكو ■

واحد من كل خمسة راشدين
في أغنى الدول وأقواها لا يعرف القراءة والكتابة.
وهذا المقال عن الامية في الولايات المتحدة
نقدمه نموذجاً الى الدول العربية
التي فاتها قطار التعليم الالزامي ونقول:
اذا القطار فات فان فرصة اللحاق به لا تزال متاحة.
فالعلم نور والامية عار

عار أمريكا

الآفة الاجتماعية الأكثر انتشاراً في الولايات المتحدة مخفية عن الأبصار. لماذا؟ لأن الأفراد الأكثر تضرراً، وهم البالغون الاميون، يختبئون وراء ستار من الخوف والخجل. وبين الفينة والفينة، يبرز خبر ليرفع هذا الستار ويكشف الحقيقة المروعة:

• في شيكاغو أفنى عامل قطيع مواشٍ لانه اميّ لم يستطع قراءة كلمة "سم" على كيس ظن انه يحوي علفاً.

• في سيراكوز بولاية نيويورك نقلت طفلة الى المستشفى لأن أمها التي تجهل القراءة حسبت مسحوق تنظيف قرنفلي اللون دواء مضاداً للحموضة.

• خرب أحد رجال البحرية معدات بقيمة ٢٥٠ ألف دولار لانه عجز عن قراءة كتاب التعليمات.

واليوم يعتبر ٢٧ مليون أمريكي بالغ - أي نحو واحد من كل خمسة - أميين فعلا. قد يجيدون كتابة أسمائهم، لكنهم عاجزون عن قراءة اشارات السير والتفتيش عن رقم هاتف وتعبئة طلب عمل والاخذ بالارشادات المدونة على علب الأدوية، فضلا عن عجزهم عن عد النقود. انهم تائهون في مجتمع أصبحت فيه ملكة القراءة ضرورية جداً.

وهناك ما هو أبعد المآسي الشخصية المترتبة على هذه الآفة. فالعبء الاقتصادي الناتج من الأمية مذهل. وقدرت دراسة أجراها مجلس الشيوخ

الامريكي عام ١٩٧٢ أن "التعليم غير الكافي"، بما فيه الأمية، سيكلف الولايات المتحدة ٣٠٨ مليارات دولار كتحصيل انتاجي وعائدات ضرائب غير محققة، إضافة الى مليارات أخرى من أموال الانعاش الاجتماعي وعواقب الجريمة (واحد من كل اثنين من نزلاء السجون أمي).

والربح الناجم عن خفض عدد الاميين يلخص بوضوح قصة زنجي في السادسة والاربعين من مدينة فيلادلفيا. كان باتريك قارئاً بطيئاً في المدرسة. وأخذ يتأخر في دراسته حتى صنف "متخلفاً عقلياً". فطرد من المدرسة واصبح عالة على الانعاش الاجتماعي. وقبل سنوات لجأ الى مركز محو الامية في المدينة، اذ خجل أن يعترف لابنته بأنه يجهل القراءة. وأخضعت مديرة المركز مارلين ديويت الرجل "المتخلف" لاختبار ذكاء خاص بالاميين. وصعقت للنتيجة وقالت: "ان معدل ذكائه ١٤٤، أي أعلى من معدل ذكائي!"

وبعدما ساعده مدرس متطوع على تعلم القراءة والكتابة نال باتريك شهادة ثانوية. وهو اليوم موظف في السلك التعليمي في المدينة، وقد استغنى عن اعانة الانعاش. كما أصبح مدرساً متطوعاً مفعماً بالحماسة في مركز محو الامية في فيلادلفيا.

حياة جديدة - كيف انزلقت الولايات المتحدة في هذه النقطة الحساسة؟ ليس السبب انها بخيلة، فالانفاق العام على المدارس ارتفع من ٣،٤ في المئة من الانتاج الوطني الاجمالي عام ١٩٥٠ الى ٨ في المئة عام ١٩٧٥. ولكن في غضون الفترة ذاتها انخفض النجاح في امتحانات دخول الجامعات الى مستوى "أدنى وأدنى وأدنى" كما جاء على لسان الرئيس الامريكي رونالد ريغان.

ويعزو بعض المراجع ارتفاع معدل الأمية الفعلية الى التلفاز، فيما يلقي آخرون اللوم على تدفق المهاجرين الجدد أو على التساهل التربوي في الستينات أو على التدني في نوعية الاساتذة أو على النسبة العالية للتغيب عن الصفوف والانقطاع عن الدراسة أو على اهمال الاهل واجباتهم نحو أولادهم. لكن أحداً لا يملك الجواب الأكيد. وعلى كل حال فمن العبث أن نضيع وقتنا في توجيه أصابع الاتهام، كما يقول لستر بوفورد الرئيس الأسبق للاتحاد التربوي الوطني. ويضيف: "حري بنا أن نستنفر كل طاقاتنا ونواجه هذا الواقع الأليم."

والحق ان اهتمام الناس بهذا الموضوع في ازدياد. فهنالك حالياً ٦٥٠٠ برنامج لمحو الأمية في الولايات المتحدة، ومعظم البرامج التطوعية منضو تحت لواء احدى المنظمتين الرئيسيتين في هذا الحقل: "لاوباخ لمحو الأمية" و"متطوعو أمريكا لمحو الأمية". وتمارس هاتان المنظمتان نشاطهما في معظم الولايات وتعلمان طلاباً من جميع الأعمار دونما مقابل.

والمتطوعون في البرامج التي زرتها شديدو الحماسة. فالطلاب والمدرسون يلتقون مرة أو مرتين أسبوعياً لمدة سنة أو أكثر. وغالباً ما تتوطد علاقاتهم حتى يصبحوا كأنهم أفراد عائلة واحدة. ويسود

الجميع جو من المثابرة والتصميم على الانجاز.

نالت جين الشهادة الثانوية ولها من العمر ٣٦ عاماً. وهي عملت طوال سنوات موزعة للبريد في إحدى ضواحي مدينة مينيابوليس. وعلى رغم جهلها القراءة تدبرت أمرها، اذ كانت تعمل في الأحياء التي ترعرعت فيها حيث تعرف كل بيت وكل ناحية. وطوال هذه الفترة عاونها في فرز الرسائل أصدقاء لها في مكتب البريد عرفوا سرها.

وجاء يوم نقلت جين الى منطقة جديدة. وعلى رغم وجود اشارات وأرقام واضحة ضلت طريقها. وهنا صممت على الخروج من دوامة الجهل فقصدت مركزاً لمحو الأمية كانت سمعت عنه. وعُهد الى المتطوعة بيت فينتون في تعليم موزعة البريد التعسة. ونظراً الى تلهفها الى العلم تقدمت جين بسرعة فائقة.

وتقول بيت: "لن أنسى أبداً الفرحة التي غمرتني حين قررنا أخيراً أن نضع ما تعلمته جين موضع الاختبار. قدت السيارة في أنحاء منطقتها الجديدة واستطاعت هي قراءة كل الاشارات. ولشدة حماستها كانت تقفز عن كرسيها. أما أنا فأحسست بالابتهاج نفسه الذي اختبرته لدى انجابي طفلي الاول."

نحن في حاجة الى ملايين المتطوعين أمثال بيت فينتون. وعلينا اقناع ملايين الاميين أمثال جين بالسعي الى المساعدة من دون خجل.

قصص نجاح - في ولاية كنتاكي استهلت شارون دارلينغ أحد أفضل برامج محو الأمية في الولايات المتحدة. استعانت بالصحف والاذاعة والتلفاز والمحاضرات والهاتف وحتى باللافتات في المطاعم لجذب المتطوعين والطلاب الى مشروعها. وهي تؤمن السرية التامة لجميع الطلاب، لكنهم عادة يتكلمون عن تقدمهم فور مباشرتهم البرنامج. وفي لويزفيل تحدثتُ الى أحد ألمع طلابها.

إدي رجل أبيض في الرابعة والأربعين من عمره قضى سني رشده في محاولات دائبة لكتمان أميته. فتعلم الحيل كلها: حمل الجريدة اليومية تحت إبطه، وتظاهر بقراءة لوحة البلاغات، وتذرع بنسيان نظاراته في البيت. وبعيد زواجه وظف في شركة كبرى. ولما كان حاذقاً وجاداً في عمله تقدم في رتبته. وأخيراً عين مسؤولا عن خمسمئة شخص. لكنه كلما ارتفع في منصبه زادت أعماله الكتابية.

ولدى تسلمه رسائل كان يختلق الأعذار كي لا يقرأها، فيستدعي سكرتيرته لتهتم للأمر. وفي المنزل كانت زوجته تنجز الأعمال المكتبية التي يأتي بها كل ليلة.

وفي أحد الأيام وصلت حيلته الى طريق مسدود. ففيما سكرتيرته خارج المكتب وصل مديره فجأة ودفع اليه برسالة عاجلة طلب منه قراءتها ومناقشتها واياه للحال. وشعر ادي بأنه على شفير انهيار عصبي، فقدم استقالته. ولكن بعد دراسة متواصلة لفترة ١٤ شهراً مع متطوع في مركز لويزفيل لمحو الامية أصبح إدي جاهزاً لوظيفة جديدة.

وتكثر قصص النجاح المشابهة لقصة إدي بفضل الاهتمام المتعاظم للأوساط

الاقتصادية. وأحد الرواد في هذا المجال هارولد ماغرو الابن رئيس ادارة شركة النشر العملاقة "ماغرو - هيل". فقبل سنتين صعق ماغرو للاهتمام القليل الذي توليه الاوساط الاقتصادية لمشكلة الامية. فأسس "مجلس الاعمال لمحو الامية" بهدف توعية الشركات على المشكلة وتجنيد كل امكاناتها لمعالجتها، كما ساهم في تحريك الحملة الاعلانية الوطنية الناشطة لمحو الامية. وحالياً تقدم ثلاثون في المئة من كبرى الشركات في البلاد برامج لتعليم القراءة الى موظفيها.

انجاز مؤثر - في شركة "برات ووتني" في ولاية كونتيكت اشترك أكثر من ثلاثة آلاف موظف في برامج تعادل الصفوف الثانوية في المدارس وفي برامج أساسية لمحو الامية. وحقق المشروع نجاحاً باهراً وباتت العودة اليه رهناً بالحاجات المستجدة.

وهناك شركة أخرى تساهم في هذه الجهود هي "ب. دالتون" الشهيرة لتوزيع الكتب. وقد خصصت الشركة مبلغ ثلاثة ملايين دولار لتشجيع برامج محو الأمية ومساعدة مؤسسات وطنية مختلفة في أنحاء البلاد. وتشجع دالتون موظفيها الذين يبلغ عددهم ٨٥٠٠ على التطوع كمدرسين، وتغطي تكاليف دروس محو الامية التي يتابعها الموظفون وعائلاتهم.

وابتكر نورمان منسى مدير مشروع واشنطن التربوي أسلوباً مشوقاً لتجنيد المتطوعين. فحين كان طالب بكالوريوس في جامعة ميامي كان يتدبر منحاً للطلاب الراغبين في التعليم في المدينة والسجون ومخيمات المهاجرين ومؤسسات المعاقين. ويعتقد منسى بأن برنامجه يمكن ان يلاقي النجاح نفسه على مستوى وطني أشمل. ويقول: "الأمر كله غير مكلف للطلاب وللمدرسين على السواء. والمؤكد أن المدرسين يساهمون في نشر البحبوحة اذ ييسرون العلم والمعرفة لجماعة هي في أمس الحاجة اليهما."

والمواطنون المسنّون مصدر آخر غير مستغل للمدرسين المتطوعين. ويقول اينز وارويك وهو مدرس متقاعد في بلاسنتيا بولاية كاليفورنيا: "يفرح قلبك حين ترى ذلك النور يشع في عيونهم."

ونتيجة الشعور بضرورة تحريك الشعب الأمريكي في هذا الاتجاه على نطاق واسع، تشكل عام ١٩٨١ ائتلاف لمحو الامية من أحدى عشرة مؤسسة تتصدرها مؤسسة المكتبة الأمريكية. ونظمت لهذا الغرض حملة إعلانية مجانية رفعت شعارات مثل "الشهادة الوحيدة المطلوبة هي شهادة عطف واهتمام." وعين الائتلاف مركز الاتصال العلمي في لينكولن بولاية نبراسكا مقر استعلامات للمدرسين المتطوعين والطلاب.

إن ٢٧ مليون أمي يطرحون مشكلة هائلة تبدو معها جميع الجهود الفردية عديمة الجدوى. لكن هذا غير صحيح. فكما يلاحظ جوناثان ماكاليب من متطوعي أمريكا لمحو الامية: "ان تعلم شخصاً واحداً القراءة انجاز يؤثر كثيراً، على الاقل بالنسبة الى ذلك الشخص."

وسيكون مؤثراً في حياتك أنت أيضاً.

راول تانلي ■

صور من الحياة

دعاية مجانية

كان أستاذ الاعلان في الجامعة يشدّد دائماً على قيمة الدعاية المجانية. وذات يوم دخلت حرم الجامعة شاحنة لتسليم بضائع، وكانت مكسوة بالغبار. ويبدو أن موضوع محاضرة الاستاذ في ذلك اليوم لم يذهب عبثاً. فعند خروج الشاحنة من حرم الجامعة ظهرت على أحد جانبيها العبارة الآتية محفورة بحروف ضخمة في طبقة الغبار الكثيفة: "دراجة سوزوكي طراز ٧٥٠ صنع العام ١٩٧٨ معروضة للبيع. الثمن ١٠٠٠ دولار، الاتصال برقم الهاتف ٨٤٣٠ - ٧٢٩ بين السادسة والتاسعة مساء." ولم ينل كاتب هذه العبارة العلامة القصوى من أستاذه فحسب، بل تمكن من بيع الدراجة أيضاً.

ن.ر.

بريد منزلي

اعتاد رجل أن يترك لزوجته رسالة يطلب منها أن تقوم بعمل ما في غيابه. وكان يستاء حين لا تلقي بالا لهذه الرسائل. وذات صباح رأت الزوجة ورقة نقدية على طاولة المطبخ. وحين حدقت اليها رأت تحتها رسالة جاء فيها: "حبيبتي، لا تنسي أن تلصقي الاشعار بدفع الرسم على زجاج السيارة. ملاحظة: الورقة النقدية لجذب انتباهك فقط."

ل.ف.

الكاتب وقسم البقالة

يروي المؤلف ثيو آرونسون القصة الآتية:

"جلست في متجر كبير منهمكاً في توقيع نسخ من كتابي الاخير. وكانت أكوام من الكتب واللافتات تحوقني من كل جانب حين تقدمت مني زبونة ظانة اني الموظف في مكتب الاستعلامات وسألتني أن أدلها الى قسم البقالة في المتجر.

وهرع اليها أحد الموظفين وقال لها: "لا، هذا هو المؤلف ثيو آرونسون. وهو يتكرم بتوقيع نسخ من كتابه الجديد." ونظرت المرأة الى الكتاب ثم الي وقالت: "اذاً أنت لا تعرف الطريق الى قسم البقالة؟"

س.ت.

قسم من واجهة
المحطة المركزية.

ميلانو عروس ايطاليا

المشوق في ميلانو ذلك الاحساس الغريب بأنها مكان غير عادي

عندما يسألني الناس: "أتعتقد أن ميلانو جميلة أم بشعة؟" أجيب انني لا أستطيع الحكم بذلك على مدينة ولدت وترعرعت فيها. أنا لا أعتقد أنها جميلة مثل روما أو البندقية أو باريس، لكنها ممتعة. والوقوع في حب امرأة "ممتعة" اخطر من الوقوع في حب امرأة جميلة، اذ لا يمكنك التغلب على شعورك حينذاك

Condensed from Milano è Milano, text by Carlo Castellaneta, photos by Enzo Pifferi, copyright © 1983 by Editrice E.P.I., Como

لانك تكون أحببتها أيضاً لصوتها غير المأنوس ولتجعدها.

حتى الواجهة "الاشورية - البابلية" في المحطة المركزية، والتي بنيت قبل خمسين عاماً، أصبحت مقبولة. وحينما كنت عائداً الى ميلانو وأنا في العشرين من عمري في اجازة من امبريا حيث أديت خدمتي العسكرية، ترك مشهد تلك القناطر الحديد الخمس من نافذة القطار جفافاً في حلقي.

ميلانو قدر مذيبة وجبّالة ضخمة للاسمنت حيث يمتزج الجمال بالبشاعة ويتجددان. انها عجّانة تنتج الكعك الميلاني "بانيتوني" والمنصات والانصاب وناطحات السحاب.

مهرجان في ساحة بريرا.

ميلانو كتومة، متواضعة، غير خجولة، لكنها حذرة وحريصة على الاّ تكشف ذاتها. انما تكون سعيدة اذا ما اكتُشفت، وهي تستسلم تدريجاً لمن يحبونها حباً جماً. ان وقفة أمام مدخل بناء في شارع بورغونيوفو أو سانت أندريا او بيغلي كافية لمشاهدة ساحات ظليلة خلابة تشهد على المعالم المميزة للمدينة.

المشوّق في ميلانو هو الاحساس الغريب بان الاشياء تحدث هنا قبل حدوثها في أي مكان آخر. ولادراك ذلك يكفي تصفح أي كتاب تاريخ. هنا ولدت حركة التنوير الايطالية كما ولدت أولى الاتحادات العمالية. ثم نشبت الثورتان الشعبيتان: الاولى ضد النمسويين عام ١٨٤٨ والثانية ضد البييمونتيين بعد ٥٠ سنة. وفي أوائل القرن العشرين ولدت "الحركة المستقبلية" الفنية والموسيقية والادبية في غاليريا على موائد مطعم سافيني. وبعيد ذلك برزت الفاشية في غرفة التجارة في بياتزا سان سيبولكرو. وهنا تمركزت قيادة المقاومة، وبدأت "استراتيجية التوتر" بانفجار في بياتزا فونتانا نشر الرعب في كل ايطاليا. واخيرا خطا "الارهاب الاحمر" خطوته الاولى في ميلانو.

مسرح الاحداث - ميلانو تغيرت، ومع ذلك فانها لم تلتهم ذاتها ولا ماضيها. قلبها القديم ما زال ينبض في المنطقة المحمية المجاورة لقناة نافيليو وعلى طول ضفاف القناة المكللة بالضباب وفي متاجر الحي القديم وفي الساحات المحاذية لأرصفة الشواطىء وعلى الشرفات الحديد للمنازل. والشواهد الحسية على المدينة القديمة لا تزال قائمة هنا كالحانات والتعريشات (١)

(١) ممشى مظلل تلتف النباتات والزهور حول أعمدته.

متنزه سامبيون.

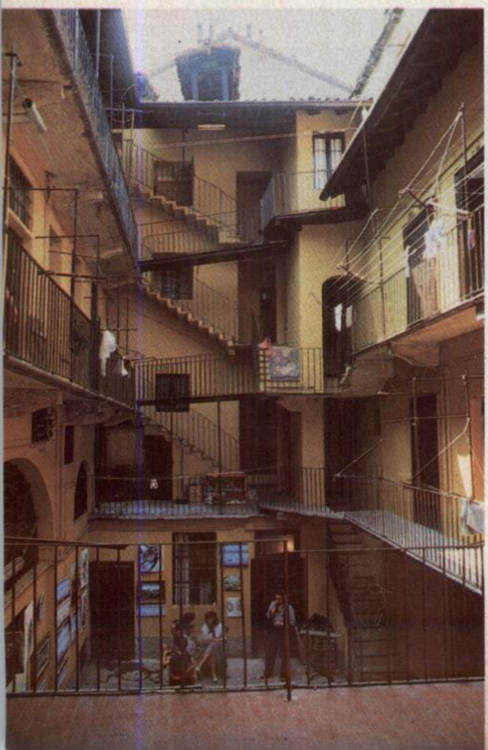

ولافتات متاجر القرن التاسع عشر وصالات العرض الملأى بنبتات الخبازى وبالحرفيين الذين يتكلمون لهجة عامية.

في تاريخ المدينة مظاهر حياتية اختفى بعضها ثم عاد بعد سنوات، ولم يعد البعض الآخر أبداً. ومن هذا، لسوء الحظ، المقاهي الكثيرة الشهيرة التي أدت حتى القرن التاسع عشر دوراً اجتماعياً مهماً. فهي كانت مسارح لاحداث مدنية وسياسية ولمباريات فنية ايضا. ولا ننسَ "مقهى الطرب" الذي كان يتباهى بتقليده العظيم في ميلانو حتى العشرينات من هذا القرن.

وذكريات طفولتي ملأى بمقاهي الهواء الطلق حيث الطاولات في الشوارع والساحات. واذا كان ثمة ما أشكو منه في مسقط رأسي فهو ابدال دكاكين الحلوى

باحة نموذجية مسقوفة لبناء على ضفة قناة نافيليو.

Amedeo Vergani

مطعم سافيني حيث يلتقي المشاهير.

بمصارف كثيرة والمقاهي بمتاجر كبيرة. وان نجاح الحانات على حساب المقاهي مرده الى تأثير امريكا الشمالية وليس الى تأثير أوروبا الوسطى. فميلانو من هذه الناحية أشبه بنيويورك منها بباريس، فما لك الا أن تتناول فنجان قهوة "كبوتشينو" من امام منضدة امين الصندوق في حانة وتشربه بسرعة ثم تتابع طريقك.

عاصمة الازياء والتجارة - أفضل مكان بقي للتجول هو حي بريرا. انه شبيه بصالة العرض التي أعطته اسمها، يدعو المارة الى التمهل في الخطو كما يفعلون في صالة. انه مساحة صغيرة خارج المدينة، فيه حانات تفتح ليلا

داخل مسرح سكالا ذي الشهرة العالمية.

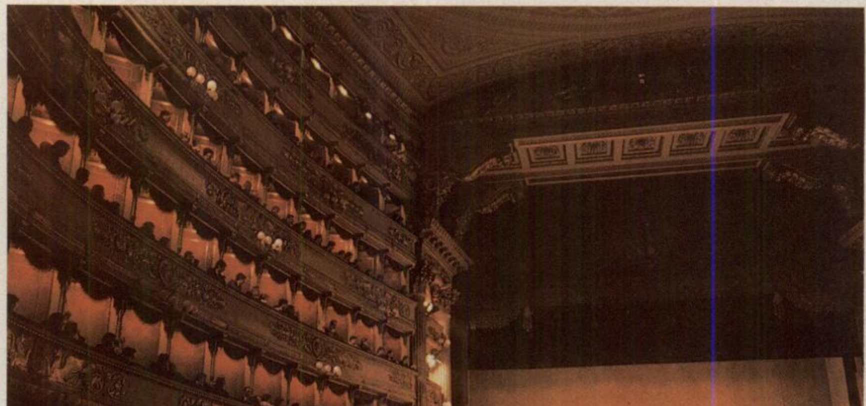

شارع ديلا سبيغا الانيق.

وفيه حلقات ثقافية ومكتبات متخصصة.

ان اختيار هذه المنطقة العمالية مقراً للمتاجر الانيقة التي يمكنها ان تزدهر أيضاً في شارع ديلّا سبيغا هو طبعاً لمسة استكبار. لكن وضعها هذا أظهر جاذبيتها بحيث تجد محلا لبيع الالبسة الى جانب مطعم وحانوتاً لبيع الخردة الى جانب محل للاثريات وحانة يلتقي فيها أهل الفن قرب زاوية مكتظة بمدمني المخدرات.

وأهم ميزات المدينة حبها للحرف والتجارة والنشاط العملي. ولولا هذا الاندفاع الى العمل لما ولد معرض ميلانو التجاري، وهو ليس رمزاً لصناعة المدينة فحسب، بل ثمرة جهد الشعب اللومباردي نفسه (٢). انني اتكلم هنا عن العناد

واجهة محل أنيق في شارع مونتي نابوليون.

---

(٢) لومبارديا مقاطعة في شمال ايطاليا، عاصمتها ميلانو.

القوي وحب الانتاج المتقن اللذين جعلا من دوقية ميلانو في العصور القديمة مركزاً لافضل النصال والمهاميز والدروع في أوروبا، واليوم يجعلانها عاصمة لصناعة الازياء.

وتفتخر المدينة بواجهات متاجرها التي تبيع السلع الممهورة بتواقيع كبار المصممين، وبالمتاجر التي بدأت في شارع مونتي نابوليون والشوارع القريبة منه ثم امتدت الى بوند ستريت في لندن أو الجادة الخامسة في نيويورك.

ما الذي يجعل متجراً في ميلانو ركناً بارزاً؟

أعتقد انها طريقة عرض البضائع وجذب الانظار من دون أي ابتذال. رشاقة من غير مباهاة، تحفظ، حصافة، زي سيدة حقيقية، كل هذه تجدها في عرض المجوهرات والالبسة والسيارات.

ميلانو الفخورة بكونها عاصمة الاعمال والمؤتمرات والمعارض التجارية والمتباهية بالاحتراف والاتقان في صناعتها، لم تلتفت أبداً الى وجهها الثقافي كما ينبغي. فالثقافة هنا تأتي في المرتبة الثانية، تجرها عجلة التكنولوجيا.

ربما من أجل هذه الطبيعة العنيفة الدينامية ينشأ حب ميلانو ويكبر مع الوقت في الذين ولدوا في أماكن أخرى واختاروا السكن في هذه المدينة. اما أنا الذي ولدت هنا فلا أستطيع العيش في أي مكان آخر من هذا العالم.

كارلو كاستيلانيتا ■

تاجر بالفطرة

انعزل فريق من البائعين في فندق خلال عاصفة ثلجية قاسية. وراحوا ينتظرون بفارغ الصبر انحسار الثلج عن الطرق ليتمكنوا من اجراء بعض الاتصالات. وكانوا يتألبون على كل قادم جديد يدخل الفندق صباحاً ليسألوه عما اذا كانت الطرق فتحت مما يسمح لهم باجراء بعض الصفقات. وطرحوا هذا السؤال على رجل عركه الدهر، فصمت برهة منعماً النظر في ذلك الفريق المتجمع هناك ثم قال: "الامر يتوقف..."

وقاطعه البائعون بلهفة: "يتوقف على ماذا؟"

– على ما اذا كنتم تعملون براتب أو بعمولة.

د.ر.

خاربة البيوت

دعي زوجان الى حفلة أقامها الجيران. وحين وصلا استقبلتهما مضيفتهما على الباب مرحبة وأبدت اعجابها بثوب الزوجة. فقالت هذه باستخفاف: "هذا الثوب القديم؟ انه عندي منذ الرابعة والنصف بعد ظهر اليوم."

ج.ل.

كم وَحَدَة حراريّة في القبْلة المتوسّطة؟

هذا اختبار معلومات في الطعام والغذاء والحمية

س. عليك أن تقبّل ٣٨٩ مرة لتنقص وزنك نصف كيلوغرام. صواب أم خطأ؟

ج. صواب. يقول أحد خبراء الحمية ان القبلة المتوسطة الحرارة تستهلك نحو تسع وحدات حرارية.

س. هل تحوي الخضر المجلدة مغذيات أقل مما تحويه الخضر الطازجة، ام اكثر ام انهما متوازيتان؟

ج. من المدهش أن الخضر المجلدة والخضر الطازجة تحوي المقدار عينه تقريباً من المغذيات. وثمة خضر كثيرة تبرّد بسرعة في الحقل وترسل مباشرة الى مخازن البقالة، وهكذا تفقد القليل من المغذيات.

س. أي منهما يحوي وحدات حرارية أكثر: الزبدة أم السمن النباتي؟

ج. كلاهما يحوي المقدار عينه. فكلاهما مادة دهنية، والمواد الدهنية تحوي قرابة تسع وحدات حرارية في كل غرام وزناً. لكن معظم أنواع السمن النباتي يصنع من دهون نباتية، وهو خال من الكولسترول.

س. هل ينبغي وضع الدجاجة النيئة المرزومة في الثلاجة كما هي؟

ج. لا، بل يجب اخراجها من الرزمة وغسلها وتجفيفها ثم وضعها في أكياس التبريد واحكام صرها. فاذا وضعت كما هي وكان في غلاف الصر ثقب فقد تفقد بعض محتواها الغذائي، كما قد تتغير نكهتها ويتغير ملمسها كذلك.

س. هل يحتاج البالغون الى الكلسيوم بمقدار ما يحتاج اليه الصغار؟

ج. نعم. معظمنا يعتقد خطأ أن المرء متى اكتمل نمو أسنانه وعظامه لا يعود في حاجة الى الاطعمة الغنية بالكلسيوم. غير أن الكلسيوم يؤدي وظائف أخرى، منها تعويض أي نقص في العظام.

Condensed from a WCBS-TV program. © 1985 by Scimed Ltd., Inc., New York, N.Y.

س. الفيتامينات مصدر جيد للطاقة. صواب أم خطأ؟

ج. خطأ. الفيتامينات في ذاتها لا تعطي أي طاقة، مع أنها تساعد جسمك على تحويل الاطعمة التي تتناولها الى طاقة.

س. هل الفيتامينات المتوافرة في الاطعمة أفضل من الفيتامينات التي تؤخذ في برشامات (كبسولات)؟

ج. لا انها مماثلة لها تماماً.

س. تناول التفاح والخس والحبوب وسواها من الاطعمة الغنية بالالياف يمكن أن يقلل من خطر الاصابة بأي من هذه السرطانات: سرطان المعدة، سرطان القولون، سرطان الكبد؟

ج. انه يقلل خطر الاصابة بسرطان القولون. لقد بينت أبحاث المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة ان الذين يتناولون أطعمة ذات محتوى عال من الالياف هم أقل تعرضاً، الى حد بعيد، للاصابة بسرطان القولون.

س. ان نشويات كالخبز والبطاطا والمعجنات هي فقيرة بالوحدات الحرارية. صواب أم خطأ؟

ج. صواب. فالنشويات التي تحوي الكربوهيدرات ليست كلها مسمنة، وفيها مقادير مهمة من المغذيات. والمشكلة في الكربوهيدرات تكمن في ما يترافق معها.

فثمرة البطاطا مثلا تحوي قرابة ٩٠ وحدة حرارية، لكن مقدار ملعقة من الزبدة أو الزيت معها قد يضيف اليها ١٠٠ وحدة.

س. أي مكان أفضل لاذابة الجليد عن الاطعمة: طاولة المطبخ أم البراد؟

ج. البراد. فعلى طاولة المطبخ قد تتكاثر الجراثيم وتسمم الطعام، والطهو لا يقضي دائماً على الجراثيم.

س. انك تستمد غذاء أكثر من طعامك اذا مضغته جيداً. صواب أم خطأ؟

ج. خطأ. ان مضغ الطعام جيدا له تأثير ضئيل في مقدار الغذاء الذي يمتصه الجسم، لان معظم عملية الهضم تتم في المعدة والمعي الدقيق. ولكن اذا مضغت طعامك على مهل فانك تستغرق وقتاً أطول في تناوله مما يقلل احتمال افراطك في الاكل.

س. اخترعت الشطائر (السندويش) من أجل النزهات الاسبوعية في القرن الثامن عشر. صواب أم خطأ؟

ج. خطأ. لقد اخترعت الشطائر لتخدم هوى أحد المقامرين. ففي القرن الثامن عشر كان دوق ساندويتش البريطاني يحب المقامرة ٢٤ ساعة يومياً. وكان يطلب أن تصنع له لفائف من الخبز واللحم لكي يأكل وهو يلعب الورق (الكوتشينة).

فرانك فيلد ■

Ironbridge Gorge Museum Trust

تلاميذ يراقبون العمل في مطبعة بليستس هيل التي تعود الى القرن التاسع عشر.

آلاتٌ من الماضي

عام ١٩٥٨ زار عالم تاريخ بريطاني شاب يدعى نيل كوسونز وادي نهر سيفيرن في شروبشاير غرب بريطانيا حيث تم انتاج حديد رخيص ووافر للمرة الأولى عام ١٧٠٩. وفيما هو يخطو بين الشجيرات الكثيفة الخضراء تعثّر بفتات أفران آجر وآلات لف بالية كانت تستعمل في المناجم ومستودعات مهجورة قبالة النهر. ومشى كوسونز على أول جسر حديد بني في التاريخ، وهو الذي بقي سليماً

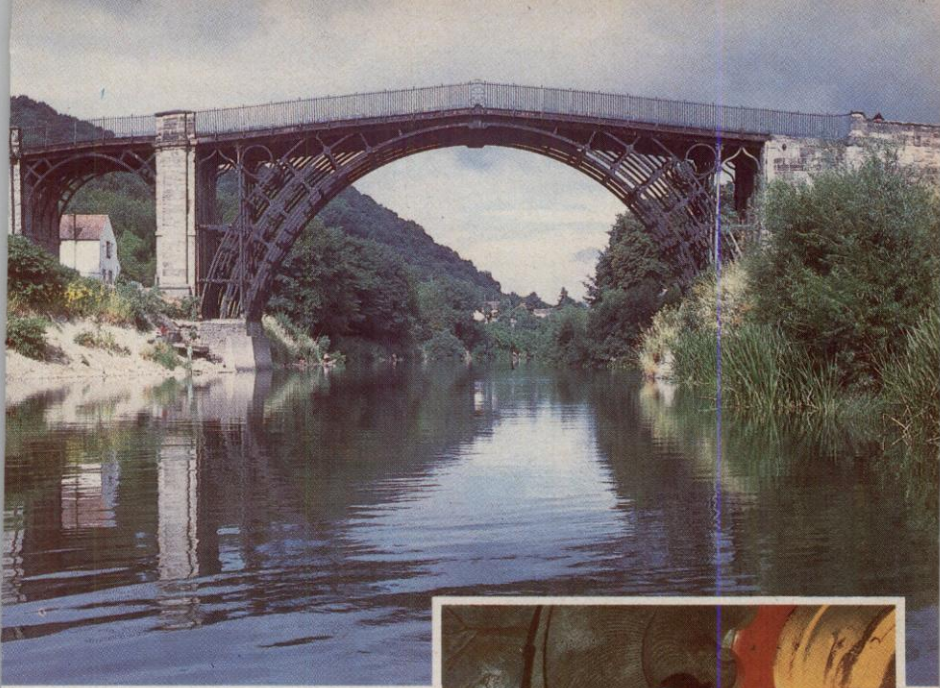

ronbridge Gorge Museum Trust

جسر الحديد الاول في العالم في متحف آيرونبريدج في شروبشاير ببريطانيا.

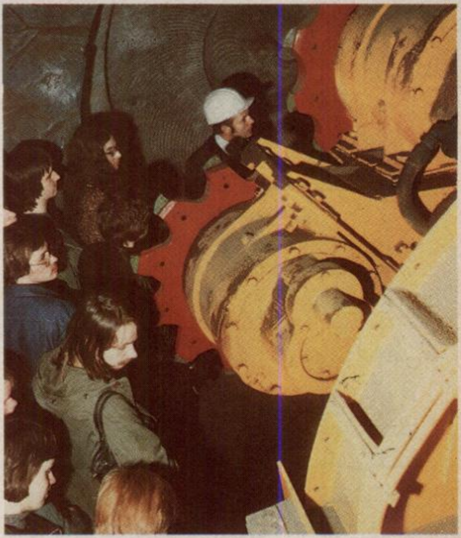

Deutsches Bergbau — Museum Bochum

آلة لشق الانفاق في منجم متحف بوكم.

بعد قرنين وأطلق اسمه على البلدة المجاورة: آيرونبريدج (الجسر الحديد). ويعتقد أنه في هذا المكان جرى تطريق قضبان السكك الحديد والقاطرات والزوارق الحديد للمرة الاولى.

يقول كوسونز: "أخذت أحدق مسحوراً الى هذا الكنز التاريخي. وأذكر أني فكرت في أن هذه البقايا يجب أن تستعيد مجدها التليد."

أما اليوم فان هذا الشغف بالماضي الصناعي وبأهمية المصانع الريادية ومحطات السكك الحديد المهجورة ومحركات البخار المعطلة والزوارق

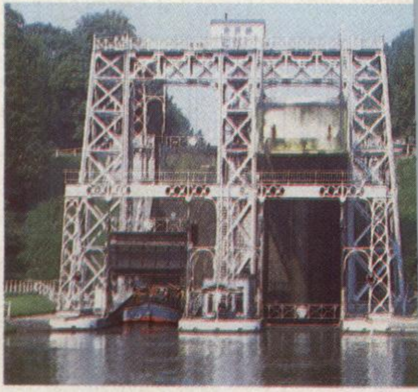

J.P. Gailliez

مركب يغادر احدى الرافعات المائية الاربع في قناة سنتر في بلجيكا.

البخارية الصدئة، انتقل إلى ألوف المتحمسين في أرجاء العالم. وفي رأي بيتر شيرمبيك مدير متحف بلدة روسلشايم في المانيا الغربية "ان آلات القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هي اكثر عوناً على فهم الانسان العصري من هيكل قديم."

"قنبلة" الامان – ازداد الاهتمام بجذور الصناعة في الستينات حين عمدت اعداد متزايدة من العلماء إلى نشر كتب عن علم الآثار الصناعية. وفي العام ١٩٦٨ عين نيل كوسونز أول مدير لاتحاد انشىء بهدف دراسة منطقة الجسر الحديد وصونها. وفي ١٩٧٥ انتخب رئيساً لجمعية علم الآثار الصناعية التي هدفت إلى تنسيق الابحاث البريطانية. وظهر الاهتمام بهذا الشأن في أماكن أخرى في اوروبا الغربية والولايات المتحدة وكندا واوستراليا واليابان. وفي العام ١٩٧٨ تشكلت اللجنة الدولية لصيانة التراث الصناعي بعضوية مندوبين من ١٧ بلداً وهي اليوم تضم ممثلين من ٢٧ دولة.

ان الافتتان بالثورة الصناعية، ذلك الازدهار المذهل للمنجزات التقنية والطفرة الاقتصادية التي تفجرت عالمياً في القرن الثامن عشر، أمر مفهوم. ومع ان عباقرة التقنية ظهروا قبل ذلك، وقد وضع ليوناردو دا فنشي تصميم طائرة في بداية القرن السادس عشر، لكن أفكار التقدم من طريق التقنية نادراً ما تجاوزت دفاتر الرسم، إلى أن أحدث ابراهام داربي تغييراً أساسياً في انتاج الحديد وأتم جيمس وات تحسين المحرك البخاري وابتكر ريتشارد آركرايت غزل القطن.

وفي حقبة النمو الاقتصادي السريع هذه الايام حيث يتوانى المصنع التقليدي عن اللحاق بالعصر ما بعد الصناعي، عصر سيادة الرجل الآلي والدماغ الالكتروني، فان الناس ما زالوا تواقين إلى رموز الثورة الصناعية. ويقول مايكل ستراتون وهو خبير بريطاني محاضر في بلدة الجسر الحديد: "هذه الرموز ينبوع أمل والهام، فهي تدل على ان الانسان استطاع تغيير عالمه آنذاك، كما تومىء إلى قدرته على ذلك ثانية."

ان متاحف الصناعة تفتح في أنحاء أوروبا. وقد أضحى متحف آيرونبريدج مجمعاً تبلغ مساحته ١٠،٥ كيلومتراً مربعاً ويجتذب ربع مليون زائر سنوياً. وفي أحد مواقعه الستة منشآت أعيد تشييدها لتحاكي العصر الفيكتوري

بشوارعه المضاءة بالغاز وحوانيته ومصانعه الصغيرة.

وشُيد في بلجيكا ما يزيد على ٨٠ متحفاً صناعياً، ومنها متحف في بلدة هاسلت مخصص لعرض عمليات التقطير. وهناك يمكن الزائر ان يستقطر الشراب المحلي.

والأكثر مدعاة الى العجب متحف التعدين العملاق في مدينة بوكم في وادي الرور بألمانيا الغربية. ويجوب نحو ٤٠٠ ألف زائر سنوياً قاعاته الملأى بآلات الثقب الضخمة والمضخات المائية والتروس الجاذبة للأسلاك التي ترقى إلى الخمسينات من القرن الماضي. لكن الاثارة تتبدى بأروع مظاهرها حين يهبط المرء إلى نفق منجم الفحم الحجري.

هتف دليلي فيلي شميت: "غلوكوف!" (أي "حظاً سعيداً!") وهي التحية التقليدية للمعدِّنين وهم يدخلون الحفرة. وأجبته بمثلها: "غلوكوف!" فيما نحن نتجه إلى ظلام النفق. وزعقت آلة الثقب التي اخترعها الالماني كروب: "يييااااووو!" حين ضغط فيلي زراً ليديرها. ثم غمغم ضاحكاً: "هل أنت خائف؟ ان المكان آمن هنا الآن، ولكن تخيل كيف كان في الأيام السالفة." وأومأ برأسه نحو أنبوب فولاذ غليظ مربوط إلى قضيب طويل وأخذ يشرح: "انها قنبلة دالبوش. ففي حال انهيار صخري كبير، كان في وسع المعدِّن أن يصعد داخل الانبوب (أو "القنبلة") حتى يتم سحبه."

رائعة كيركالدي - قام الفرنسيون بعمل رائد اذ ابتكروا نوعاً من المتاحف سموه "متحف البيئة" (ecomusée) وهو من بنات أفكار المتحفي الشهير جورج هنري ريفيير. وثمة ٢٧ من هذه المتاحف اليوم. ويشتمل متحف لو كروزو على كوخ للحارس يقع على قناة. وهو يركز على آثار القنوات وعلى المعارف المتصلة بها، ويتعهده سكان احدى القرى القريبة.

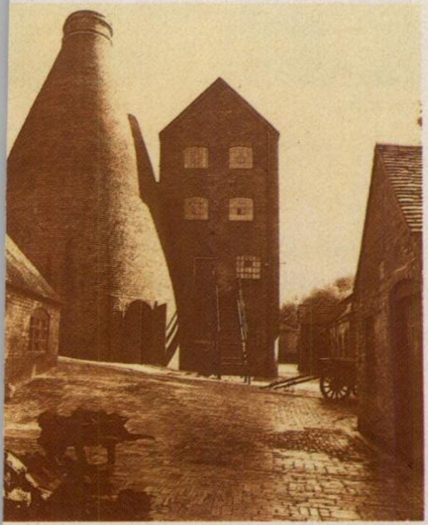

Ironbridge Gorge Museum Trust

معمل خزف (فاخورة) في متحف آيرونبريدج.

وفي بوفيه ينظم المتحف المحلي للبيئة معارض جوّالة في القرى المجاورة، مركزاً على الصناعات التقليدية والمعاصرة في المنطقة كالفراشي والفخار والصوف. والمتحف الموجود في بلدة فورمي الشمالية هو معمل نسيج مهجور. ويتولى مهندس نسيج سابق هناك اسمه هنري زامبيني ترميم الأنوال

التي يقدر عمرها بمئة عام، وذلك لتبيين طريقة تحويل الصوف ملابس جاهزة.

وفيما يفسح القديم في المجال للجديد بين ليلة وضحاها، فإن المنادين بصيانة التراث هم في عجلة من أمرهم للحفاظ على رميم العصر الصناعي. وقد اكتشف آدريان لنترز مدير المتحف الاقليمي للتراث الصناعي في مقاطعة ليمبورغ ببلجيكا مصنعاً قديماً لحياكة السجاد في كنيسة عتيقة. وأظهرت الأبحاث أن السلطات الباريسية عمدت ابان احتلال الفرنسيين للبلاد بعد الثورة الفرنسية، الى بيع عدد من ابنية الكنائس إلى الصناعيين المستقلين الذين هدموا شرفات الخورس لوضع أفران صهر المعادن.

ولربما كان مصنع السجاد الذي اكتشفه لنترز آخر نموذج ماثل عن "الكنيسة الصناعية". ويا للأسف، فقبل أن يحصل على اقرار رسمي باعتبار المصنع أثراً تاريخياً بيعت الانوال للكسر. ويتنهد لنترز قائلا: "انها كارثة."

وكان دنيس سميث أفضل حظاً، وهو حامل شهادة دكتوراه في الهندسة ورئيس جمعية الآثار الصناعية في لندن الكبرى. فقد قادته إحدى الملاحظات التي أفضى بها أحد أعضاء الجمعية عام ١٩٧٤ إلى اكثر اكتشافاته اثارة. فقد سأله أحد زملائه: "أرأيت ذلك البناء المهجور في الرقم ٩٩ من شارع ساوثوارك؟ على بابه لافتة كتب عليها: كيركالدي، فحوص واختبارات."

وصعق سميث لما سمع، وهو يتذكر اليوم: "كان اسم كيركالدي وارداً في نصف الهوامش التي تذيّل كتبي الهندسية."

كان ديفيد كيركالدي خبيراً في فحص قوة مواد البناء. وهو ابتكر في القرن التاسع عشر آلة تسحب القضبان المعدنية وتمدها وتفتلها (الى حد تدميرها) وتسحق الصوّان وكتل الاسمنت والآجرّ والخشب. وكان الزبائن، بمن فيهم شركة كروب، يتزاحمون للتعامل معه.

هرع دنيس سميث إلى البناء الواقع في شارع ساوثوارك ووجد داخله معدات من العام ١٨٦٠، وفي وسط الغرفة لاحت له الآلة الضخمة. وهو يقول: "كانت لحظة أوقعت في نفسي رهبة." وشكل اثر ذلك اتحاد من المتاحف، وشيد معرض دائم حول رائعة كيركالدي.

تحف معمارية – ومن بين عشاق البقايا الصناعية يعتبر هواة المحركات البخارية الاكثر عدداً وحماسة. "كان البخار في قلب الثورة الصناعية،" هذا ما يقوله الهولندي يان فيربروغن الذي يعمل محللا للدماغ الالكتروني، وله ولع خاص بأكبر محرك بخاري للضخ في العالم في محطة كروكيوس القديمة لضخ المياه قرب هارلم وهي غير بعيدة عن منزله.

استخدم المحرك البريطاني الصنع في العامين ١٨٤٨ و١٨٤٩ للمساهمة في تفريغ بحيرة كبيرة أغرقت قرية بعد أخرى ووصلت مياهها الى أطراف امستردام وهارلم ولايدن. وهو لم يتوقف عن العمل إلا عام ١٩٣٣.

وها هو يقف اليوم في مكانه ساكناً، وقد تم الحفاظ على كل شيء فيه الا

المراجل. ويتوافد الى المكان نحو ٣٠ ألف زائر سنوياً، ويحدقون فاغري الأفواه إلى هذا التذكار المعبر عن صراع هولندا المستمر ضد البحر.

ولما كانت أسعار العقارات في ارتفاع فان صيانة البقايا الصناعية تتوقف على ايجاد استعمالات تطبيقية لها. وفي قرية رولاندسك ذات المشاهد الخلابة والمشرفة على الراين جنوب بون في ألمانيا الغربية شيد أثرياء القرن التاسع عشر محطة فخمة للسكة الحديد يمتد منها خط خاص يصل قصورهم بالمكاتب الواقعة في كولونيا. وفي العام ١٩٧٠ تخلت مصلحة السكك الحديد في المانيا عن مبنى المحطة. غير أن يوهان واسموث، وهو فنان ومدير فرقة موسيقية، عزم على انقاذها. وبفضل جهوده ودعم المستشار الألماني الغربي هلموت كول الذي كان آنذاك وزيراً ورئيساً لمقاطعة راينلاند - بالاتينات، تستخدم هذه التحفة المعمارية لاقامة المعارض الفنية والحفلات الموسيقية.

رافعات المراكب - ترى كيف يولع الناس بالآثار الصناعية؟

يحدث ذلك مصادفة في غالب الاحيان. وهذا ما حصل مع جان - بيار غاييز، وهو بلجيكي في الاربعين يدرِّس اللغة الانكليزية، حين اصطحب تلاميذه عام ١٩٧٧ في جولة على غرب المناطق الوسطى في بريطانيا متنقلين بمركب في محاذاة قناة ترنت ومرسي. واذ دنت المجموعة من قرية آندرتون في شيشاير لاحظ غاييز سلسلة من أعمدة الحديد شديدة الشبه بأربع منشآت ضخمة على قناة سنتر قرب مسقط رأسه لورول. واستفسر عن الامر فعلم أن رافعة المراكب في اندرتون التي تم تركيبها عام ١٨٧٥، صممتها الشركة البريطانية ذاتها التي أعدت خطط النماذج البلجيكية بعد ١٣ سنة.

ولدى عودة غاييز إلى بلجيكا علم أن الرافعات الأربع ستباع خردة. وارتاع لذلك، فالآلات قادرة على أن ترفع مركباً وتخفضه ١٧ متراً من مستوى في القناة الى مستوى آخر خلال ١٢ دقيقة، وهذا أسرع كثيراً من أي مجموعة من الهويسات (★). والأمر الأكثر أهمية هو وجود أربع رافعات منها فقط في العالم. لذا شكّل غاييز جمعية محلية لادارة حملة لصيانة هذه المنشآت البلجيكية. ونجحت الحملة في انقاذ الرافعات موقتاً على الاقل. وحينما زرت المكان برفقة غاييز صعدت إلى إحداها منتشياً. وكأن ما رأيت حلماً من أحلام دعاة المحافظة على البيئة، فلا ضجة ولا دخان ولا أبخرة غازية. كما أنها آمنة.

أي مهارات هندسية عجيبة أبدعت آلات كهذه قبل قرن من دون استعمال أي من أجهزة القياس الدقيقة المتوافرة اليوم؟ أوَلا يحق تصنيف الجسور ومخارط الخشب والأنوال التي خرجت بها الثورة الصناعية مع المسلّات المصرية وجسور روما القديمة؟

ادوارد هيوز ■

(★) الهويس (Lock) آلة ترفع المراكب أو تخفضها من مستوى الى آخر.

زرع الأعضاء: عفن يُروِّضُ المناعة

مئات المرضى قضوا في التجارب الاولى لزرع الاعضاء. أما اليوم فقد باتت عمليات الزرع تجرى كل يوم وفي معظم المستشفيات الكبرى. ويعود هذا التقدم الى عقار استخرج من عفن نروجي!

بعيد منتصف ليل ٢١ فبراير (شباط) ١٩٨٤ رن جرس الهاتف في بيت جراح القلب الشهير (اللبناني الاصل) الدكتور مايكل دبغي في هيوستن بولاية تكساس. وكان على الطرف الآخر من الخط زميل في المستشفى الميثودي بالمدينة الذي قال له: "هناك قلب صالح في طريقه الينا." فطلب منه دبغي ان يباشر اعداد المريض "وسأكون هناك في غضون ٢٠ دقيقة."
وبحلول الساعة الثالثة فجراً بات المريض، وهو رجل في الثانية والأربعين من فلوريدا يعاني مرضاً في القلب بلغ مرحلته النهائية، صاحب قلب جديد تبرعت به أسرة شاب في السابعة عشرة من عمره قضى في حادث.

كانت هذه أول جراحة زرع للقلب أجراها دبغي منذ العام ١٩٧٠ حين توقف عن اجراء هذا النوع من الجراحات لان "النتائج لم تسوغ كلفة العملية وصعوبتها." وآنذاك كان قرابة ٨٠ في

المئة من المرضى المزودين قلوباً مزروعة يموتون خلال السنة الاولى بسبب رفض نظام المناعة في اجسامهم قبول عضو جديد. وما يزيد على ٥٠ في المئة من الذين بقوا على قيد الحياة أصيبوا خلال سنتين بنبذ مميت أو بعدوى جرثومية.

فما الذي حدث وبدّل رأي الدكتور دبغي في إجراء جراحات زرع القلب؟

يجيب الجراح الكبير: "انه عقار جديد يدعى سايكلوسبورين(١)" يوقف عمل الخلايا التي تسبب نبذ العضو المزروع من دون أن يؤثر أبداً في الخلايا التي تحمي الجسم ضد الجراثيم. وبالنسبة الى جراحات زرع الاعضاء، خصوصاً الكلية والكبد ومخ العظم والرئة والقلب، فيعتبر ذلك العقار من مآثر العلم العظيمة.

العفن الشافي - منذ العام ١٩٧٨، تاريخ بدء استعمال سايكلوسبورين "أ" في زرع أعضاء في جسم الانسان، شهد معدل بقاء العضو المزروع سليماً لمدة سنة واحدة ارتفاعاً مذهلا. وللمثال فإن نجاح زرع الكلية قفز من نسبة راوحت بين ٤٥ و٥٥ في المئة في نهاية السبعينات إلى نسبة تراوح بين ٧٥ و٨٥ في المئة حالياً، وارتفع معدل بقاء مرضى الكبد المزروعة على قيد الحياة لسنة واحدة من ٣٠ في المئة إلى ما ينوف على ٦٠ في المئة. ويشفي زرع مخ العظم قرابة ٨٠ في المئة من اصابات فقر الدم اللاتقويمي (aplastic anemia) وهو في العادة من أمراض الدم المميتة. كما ان معدل البقاء على قيد الحياة سنة واحدة بعد زرع القلب يناهز اليوم ٨٠ في المئة.

ان العقار الذي أتاح كل ذلك يمثل نكوصاً إلى حقبة كانت فيها غالبية الأدوية متوافرة في الطبيعة. وبعد اكتشاف البنسيلين في العفن مصادفة عام ١٩٢٨ انطلقت شركات الأدوية تبحث عن منتجات جديدة عبر الاختبار المنتظم لكل أصناف العينات "القذرة". وفي حين تم اكتشاف بعض المضادات الحيوية المهمة بهذه الطريقة، شهدت أواخر الستينات تخلياً عن معظم هذه الابحاث لمصلحة تصاميم الدماغ الالكتروني والتركيب الكيميائي لعقاقير جديدة. وعلى رغم ذلك كان قسم علم الأحياء المجهرية في شركة "ساندوز" في بال بسويسرا، يذكّر موظفيه بانتظام بألّا ينسوا ان يجلبوا معهم تراباً ولحاء شجر وفتات صخور (وهي الأماكن التي يرجَّح نمو العفن فيها) لدى أوبتهم من رحلاتهم إلى الخارج. وفي العام ١٩٦٩ أوتي هذا الجهد ثماره فأفضى إلى اكتشاف مفيد.

فبين ألوف أكياس النايلون المتراكمة على رفوف قسم علم الأحياء المجهرية في الشركة ثمة كيس أحضره تقني مساعد في المختبر أمضى عطلته في جنوب النروج. وجاءت نتائج الاختبارات الأولية على جزء من العينة النروجية غير ذات أهمية، اذ كان العفن ينتسب إلى طائفة من الفطريات تعرف باسم توليبوكلاديوم انفلاتوم(٢). ولم تُظهر خلاصة نصف مطهرة سوى فاعلية هامشية مضادة

(١) خلال الفترة الاختبارية عرف العقار باسم Cyclosporin A . أما اسمه الحالي الذي أقرته منظمة الصحة العالمية فهو Ciclosporin.

(٢) Tolypocladium inflatum Gams

للفطريات، غير أن تركيبتها الكيميائية بدت استثنائية، لذا ألصقت عليها رقعة كتب عليها "المركّب ٢٤ - ٥٥٦" واستبقيت لاختبارات لاحقة.

خطوة عملاقة – وجد البحاثة عام ١٩٧١ متسعاً من الوقت لاجراء سلسلة ثانية من الاختبارات، وهذه المرة على القوارض المخبرية. ويثورِ هنا سؤال: لمَ الاستمرار في اختبار مركّب سبق اطراحه؟

يجيب الاستاذ جان فرنسوا بوريل: "لأننا كنا نبحث أيضاً عن عقاقير تقاوم نبذ الجسم الأعضاء المزروعة أو السرطان." لقد أبطلت الخلاصة عمل جهاز المناعة، وهي خاصية ترتبط عادة باتلاف الخلايا. وحار بوريل عندما حقن الفئران المصابة بالسرطان، فقد أوقف المحلول عمل جهاز المناعة لدى تلك الفئران لكنه لم يترك أثراً في نمو الخلايا.

ويقول بوريل في ذلك: "لم نصادف أمراً كهذا في ساندوز على الاطلاق. وفي آخر الامر ثبت أن فاعلية المحلول استثنائية."

وفي الفترة الواقعة بين يناير (كانون الثاني) ١٩٧٢ وربيع ١٩٧٦ أجرى العلماء الاختبار تلو الاختبار، بالعقار "٢٤ - ٥٥٦" بادىء الامر ثم بالمركّب المطهر سايكلوسبورين "أ". واحرز كل اختبار على الحيوان نجاحاً. وكما في الاختبارات السابقة كان عمل العقار انتقائياً على نحو غير معقول، فقد عطل خلايا الدم البيضاء التي تنبذ الأنسجة الدخيلة، لكنه لم يؤثر في الخلايا البيضاء التي تكافح الجراثيم الممرضة.

وما لبث بوريل أن عرض مشاهداته على مجموعة من علماء المناعة البريطانيين، وبينهم الدكتور ديفيد وايت من دائرة الجراحة في جامعة كامبريدج الذي أعد عينات لاستعمالها في زرع الأعضاء في الحيوانات. وهو يقول في ذلك: "لقد جاءت النتائج واعدة إلى حد بعيد." ففي حين أن العقاقير التقليدية المعطلة للمناعة أبقت الحيوانات حية مدة معدلها ستة أيام بعد عملية زرع القلب فإن حقن سايكلوسبورين "أ" أبقتها حية مئات الأيام. وسجلت نتائج مماثلة في تشكيلة من الأعضاء المزروعة من رئات وكلى وأكباد.

وكانت الخطوة التالية عملاقة: اختبار العقار على البشر. ويقول بوريل: "واجهنا مصاعب من فورنا." فالعقار كان يعطى كمسحوق في برشامة هلامية فلا يذوب في الماء، مما يعني أنه يمر عبر الجهاز الهضمي من دون أن يمتصه الجدار المعوي إلى مجرى الدم. وقد وجد العلماء في التجارب المخبرية السابقة ان سايكلوسبورين "أ" قابل للذوبان في مزيج صابوني مؤلف من مطهّر وكحول إثيلي (سبيرتو) بنسبة ٩٥ في المئة.

ولكن من سيبتلع المحلول؟

تطوّع بوريل وازدرد العقار في جرعة واحدة. ولبرهة وجيزة لم يحدث شيء. ثم انتابه تحول جلي في الشخصية واصيب بدوار، لكن ذلك لم يكن بسبب سايكلوسبورين "أ" بل من جراء الكحول في المزيج. وفي هذه الاثناء كشفت اختبارات الدم كمية كافية من العامل

المضاد للمناعة تم امتصاصها إلى مجرى دمه.

محاولات ناجحة – بقيت خطوة أخيرة، ففي يونيو (حزيران) ١٩٧٨ قرر روي كالن أستاذ الجراحة في جامعة كامبريدج زرع كلية لمريض يخضع لعملية غسل الكليتين (٣). وكانت الكلية ممنوحة من شخص غير ملائم ولا قرابة تربطه بالمريض. فاستخدم الطبيب هذه المرة مزيجاً سائغاً غير مسكر من زيت الزيتون وعقار سايكلوسبورين "أ". واختير زرع الكلية بالذات لأنه أقل خطراً من اي عملية زرع أخرى، ففي حال عدم نجاح العقار تمكن إزالة الكلية ومعاودة علاج المريض بغسل الكليتين. غير أن العقار حال دون نبذ الجسم للعضو المزروع، وأدت الكلية وظيفتها واستأنف المريض حياته الطبيعية.

واذ ذاع نجاح كالن راح جراحو زرع الأعضاء يتهافتون على العقار الجديد. وفي العام ١٩٨١ نظمت شركةساندوز اختباراً على مرضى اوروبيين يخضعون لغسل الكلى اشتركت فيه ثمانية مراكز لزرع الأعضاء في بريطانيا وألمانيا الغربية والنمسا وسويسرا. وشمل الاختبار ١١٧ مريضاً أجريت لهم جراحة زرع الكلى وتناولوا العقار و١١٥ مريضاً تلقوا العلاج "التقليدي" المضاد للمناعة. وبعد انقضاء سنة واحدة بقيت الكلى سليمة لدى ٧٣ في المئة من أفراد المجموعة الاولى بالمقارنة مع ٥٣ في المئة من أفراد المجموعة الثانية.

وفي محاولة لزيادة معدل البقاء على قيد الحياة أجرى الجراح الكندي الدكتور كالفن ستيلر اختباراً ضخماً رعاه المجلس الكندي للبحوث الطبية في ١٢ مركزاً لزرع الكلى، وذلك باستعمال عقارين اثنين وجرعات مختلفة. وقد تناول قرابة ٢٠٠ مريض جرعات خفيفة من سايكلوسبورين "أ" مع كميات أقل من عقاقير الستيرويدات القشرية (٤). وفي نهاية العام بقيت ٨٠ في المئة من الكلى المزروعة تعمل على نحو ممتاز. وقبل مضي وقت طويل تمت تجارب زرع أعضاء أخرى مع تناول العقار في مراكز طبية عدة مما أدى إلى زيادات كبيرة في معدل البقاء على قيد الحياة.

صورة مشرقة – ان فكرة ابدال الأعضاء المصابة أو التالفة بأخرى سليمة قديمة قدم الطب نفسه. لكن البحاثة لم يدركوا قبل منتصف القرن العشرين كيف تهاجم الخلايا البيضاء في جهاز المناعة النسيج الدخيل على الجسم وتبيده. فالمسألة في الجوهر هي تمييز "الذات" عن "الغير". وأول عملية ناجحة لزرع الكلية تمت عام ١٩٥٤ بين توأمين متطابقين (٥) لديهما نوع الأنسجة نفسها. ولكن لم يكن من سبيل لمساعدة غالبية المرضى الذين كانوا في حاجة الى زرع أعضاء جديدة، اذ ان نسبة العثور على واهب لديه النوع نفسه من الانسجة الحية ضئيلة جداً (واحد في المليون) وبدلا من ذلك عمل العلماء على استنباط وسائل تعطل

---

(٣) الديلزة أو dialysis
(٤) Corticosteroid drugs
(٥) Identical twins

استجابة جهاز المناعة. وفي البدء استخدموا مقادير كبيرة من الاشعة. ثم استخدم كالن عام ١٩٦٠ دواء مضاداً للسرطان، وسرعان ما أصبح العقار الثلاثي، المكون من ذلك الدواء وعقار ستيرويد ومصل، الطريقة النموذجية لمنع نبذ الجسم العضو المزروع.

وفجأة تصدرت عمليات الزرع عناوين الصحف. ولعل اكثر الانباء اثارة جاء من جنوب افريقيا حيث أجرى الدكتور كريستيان برنار أول عملية لزرع قلب عام ١٩٦٧. لكن ثمة منجزات سابقة لا تقل أهمية عن ذلك: أول زرع للرئة والكبد عام ١٩٦٣، وأول زرع للبنكرياس عام ١٩٦٦، وأول جراحة في سلسلة طويلة من جراحات زرع القلب أجراها عام ١٩٦٨ أحد رواد جراحة القلب وهو الدكتور نورمان شوموواي من جامعة ستانفورد في كاليفورنيا.

وفي معظم هذه الحالات فسحت العقاقير القوية المضادة للمناعة في المجال لعمل الأعضاء الجديدة، لكنها أيضاً أضعفت قدرات المرضى على مقاومة الجراثيم والفيروس والفطر. وتسببت هذه النقيصة في وفاة معظم المرضى الاوائل الذين أجريت لهم عمليات الزرع. وقد أدى ابتكار عقار سايكلوسبورين إلى جعل الصورة أكثر اشراقاً (٦).

وما دام المريض يتابع تناول العقاقير من طريق الفم، وبعض أصحاب الاعضاء المزروعة يتلقون هذا العلاج منذ أكثر من سبع سنوات، فإن جسده يستطيع تقبّل العضو الجديد من دون أن يقع فريسة لكل داء عارض.

غير أن السايكلوسبورين ليس دواء عاماً لجميع الأمراض، وهو باهظ الثمن إذ تبلغ كلفته نحو أربعة آلاف دولار في السنة الواحدة، وما زالت مدة تناوله غير محددة. وقد لوحظ بعض التلف في كلى المرضى الذين يستعملونه لأمد طويل، وان يكن معظم جراحي زرع الأعضاء يعتقدون بإمكان اجتناب ذلك عبر تخفيف الجرعات وتناول عقاقير أخرى اضافية. وفي ذلك قال أحد الاطباء: "إننا نزيد معرفتنا بالتجربة والمثابرة."

أما اليوم فان الجراحين يستخدمون السايكلوسبورين في اجراء تجارب على جميع أنواع الزرع، بما فيها زرع القلب والرئة. وهم يتوقعون نسب نجاح عالية.

وما زالت أعداد المرضى الذين يخضعون لعمليات الزرع قليلة، وبعضهم لا ينجون. غير ان ابدال الاعضاء بلغ مرحلة النضج. ويقول الدكتور دبغي: "اننا ننقذ أناساً لم يكن لهم حظ في الحياة قبل سنوات قليلة. وهذا هو المهم."

ستانلي إنغلبارت ■

---

(٦) يتوافر السايكلوسبورين اليوم في أوستراليا والنمسا وبلجيكا وكندا والدانمرك وفنلندا وفرنسا وألمانيا الغربية وبريطانيا وايطاليا وهولندا ونيوزيلندة والفيلبين وجنوب افريقيا وسويسرا وتايوان والولايات المتحدة، وبرخصة خاصة في النروج وأسوج (السويد).

لا تشترِ المنزل، بل اشترِ الجار.

مثل روسي

قَامُوسُ عقاريّ

العبارات المغرية المستخدمة في ترويج العقارات تخفي حقائق مرعبة. وهذا ما يكتشفه كثيرون بعد فوات الاوان!

الاثاث: فرصة تتيح لك شراء طاولة مطبخ وستائر نوافذ مهترئة بسعر باهظ جداً.

الانكشاف: كلمة مبهمة غالباً (خذ معك بوصلة).

الباحات: كلما كانت موحشة وصفت لك بأنها تحد من الضوضاء.

التوقيع (الخاتمة): نهاية المطاف حين تكتشف كل الالتزامات التي يمكنك التخلص منها اذا كنت بائعاً ولا يمكنك التخلص منها اذا كنت شارياً.

الثمن: يخضع دائماً للمساومة وتصل اليه بعد موازنة المبلغ الذي أنت على استعداد لدفعه مع ما يأمل البائع اقتناصه ثم اضافة عمولة الوسيط ورسوم التسجيل.

الجدار: فاصل بين غرفتين ينهار اذا قرعته بكلمة حادة.

الجمال: نقيض المركز والمقام والاعتبار. لا يقدر بثمن.

الجيران: لن تلتقيهم قط لانهم متحفظون جداً أو مرضى أو غائبون في اجازة.

الحديقة: كلمة قد تعني أي شيء بدءاً بمرجة خضراء واسعة وانتهاء بكومة من الحصى.

© 1983 by Philippe Bouvard. Condensed from Figaro Magazine (2/19/83), Paris

الحرّاق: عملي أكثر حين يكون وقوده نفطياً، واقتصادي أكثر حين يحرق الغاز، وأقل تلويثاً للهواء حين لا يكون له وجود.

الخزائن: جزء من البيت ذو قيمة ضئيلة لكن الجميع يتحدثون عنه على الدوام. يقولون ان بيتاً خالياً من أي جاذب يحوي خزائن مدهشة مثلما يتحدثون عن شخص قبيح الوجه له عينان ساحرتان.

الشمس: كانت تغمر المكان بأشعتها قبل أن تأتي. وستعود بعد أن ترحل.

الضوضاء: حين تسمعها يقال لك انها غير مألوفة هناك.

العليّة: جزء لم يستخدم منذ انشاء البناء، لكن بعض التعديلات الطفيفة يمكن أن تحيله "غرفة خدم" مدهشة.

غرفة الاستقبال: غرفة جلوس مصممة لتترك انطباعاً جيداً لدى مدير المصرف الذي تطلب منه القرض الذي لولاه لما استطعت استقباله. ويا لها من حلقة جهنمية.

القبو: يُسمى أيضاً "قاعة الاحتفالات" اذا أصر الشاري على عدم اعتباره غرفة.

المرأب: يمكن تحويله غرفة للضيوف عند الحاجة، خصوصاً اذا كان الضيوف لا يضيرهم النوم في سيارة.

المركز: نقيض الجمال. لا يقدر بثمن.

المساحة السكنية: مساحة مربعة تشمل السلّم والخزائن والمراحيض وعتبات النوافذ.

المنتفعات: كلمة تطلق من دون تمييز بحيث يشمل معناها المراحيض وموقف الحافلات القريب.

المنطقة السكنية: جزء من الارض في نطاق المدينة ليس فيه متجر واحد.

فيليب بوفار ■

لولا كيسينجر...

كانت صديقتي تجلس في ردهة فندق في سان فرنسيسكو حين رأت وجهاً مألوفاً. وكانت واثقة من أن الرجل هو أحد زملائها القدامى، فنهضت وسارت نحوه. وفي تلك اللحظة دخل هنري كيسينجر وجلس في المقعد الذي توجهت اليه. وهكذا أنقذها من ورطة. فهي أرادت ان تباشر حديثاً مع هلموت شميت والمستشار السابق لألمانيا الغربية بقولها: "ألم نعمل معاً في مكتب فلان؟"

غ.ب.

Fred Mayer / Magnum

سْيبيريَا حُلم الرُّواد

يعمل السوفييت على إنماء هذه الاصقاع النائية الزاخرة بالخيرات. فهل تشوه التكنولوجيا جمال الصحراء الثلجية الحالمة؟

ليل نهار، في صيف سيبيريا القصير وشتائها الذي لا ينتهي، تتوافد قوافل قطارات الشحن التي تنقل الآلات والاخشاب والحديد الخام والنفط الى محطة إركوتسك. وهذه البلدة الرابضة على ضفاف نهر أنغارا في منتصف الطريق بين جبال أورال غرباً وفلاديفوستوك شرقاً، تثير ذكريات المغامرة العظيمة الاولى التي تمت عبر سيبيريا.

بدأت المغامرة عام ١٨٩١ عندما قرر القيصر الكسندر الثالث ان يمد خطاً حديداً طوله ٧٥٠٠ كيلومتر من الاورال الى بحر اليابان. وبعد ثلاث عشرة سنة افتتح

١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤: القطار الاول ينطلق من تيندا الى موسكو. والعبارة الظاهرة على القطار ترجمتها: "تيندا - موسكو، رحلة سعيدة."

مد خط بيكال - أمور ماجسترال.

Malishev / Tass

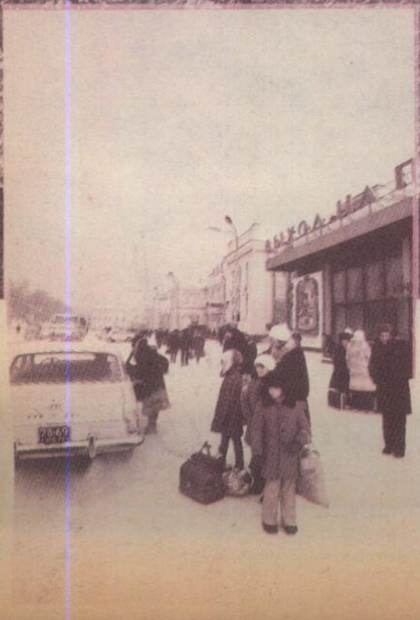

G. Carde / Explorer

محطة إركوتسك.

هذا الخط الذي غذا، وما يزال، حزاماً حيوياً وحساساً يلف الحدود مع الصين على امتداد ألوف الكيلومترات.

واليوم في محطة إركوتسك يضغط المسافر زراً فيضيء مصباح كهربائي يدله على وجهة السفر التي يختارها الى احدى المحطات الست والتسعين المنتشرة على طول الخط. لكن حركة قطارات الركاب في هذه المحطة سكنت، اذ ان معظم السياح هذه الايام يأتي في الطائرات والزوار الذين اختاروا رحلة الايام الثلاثة ونصف اليوم في القطار خاب املهم من فرط ما شاهدوا من سهول وغابات لا حد لها. والسيبيريون يعرفون من دون شك أن أمتع مراحل الرحلة وأقلها تكراراً للمناظر هي الرقعة الممتدة بين إركوتسك وفلاديفوستوك.

وأنجز السوفييت مغامرة كبيرة أخرى هي مد خط حديد آخر. فعلى بعد ٤٠٠ كيلومتر شمال الخط القديم مد خط طوله ٣١٤٥ كيلومتراً يتصل بخط سابق بحيث يبلغ طول الخطين معاً ٤٣٤١ كيلومتراً. ويسير هذا الخط في موازاة الخط القديم، ولكن في حين يتاخم هذا الطرف الجنوبي لبحيرة بيكال، يلتف الخط الجديد حول طرفها الشمالي ثم يتجه نحو أمور والمحيط الهادىء. لذلك سمي الخط بيكال - أمور ماجسترال (★).

كنوز حدودية - ان اعتبارات سياسية واقتصادية واستراتيجية أملت مد هذا الخط، تماماً كتلك التي أملت مد سلفه. فسيبيريا تحتاج الى سكان، والرواد الذين عاشوا على طول الخط الحديد لم يفعلوا أكثر من نكش جزء بسيط من

G. Carde / Explorer

بحيرة بيكال.

سطح هذه "الارض النائمة" التي تفوق مساحتها مساحة الولايات المتحدة الامريكية. والسوفييت عاقدون العزم على

(★) Magistral في الروسية تعني "الخط الرئيسي".

Condensed from Le Monde (September 24, 25 and 27, 1982),
© 1982 by Le Monde, Paris

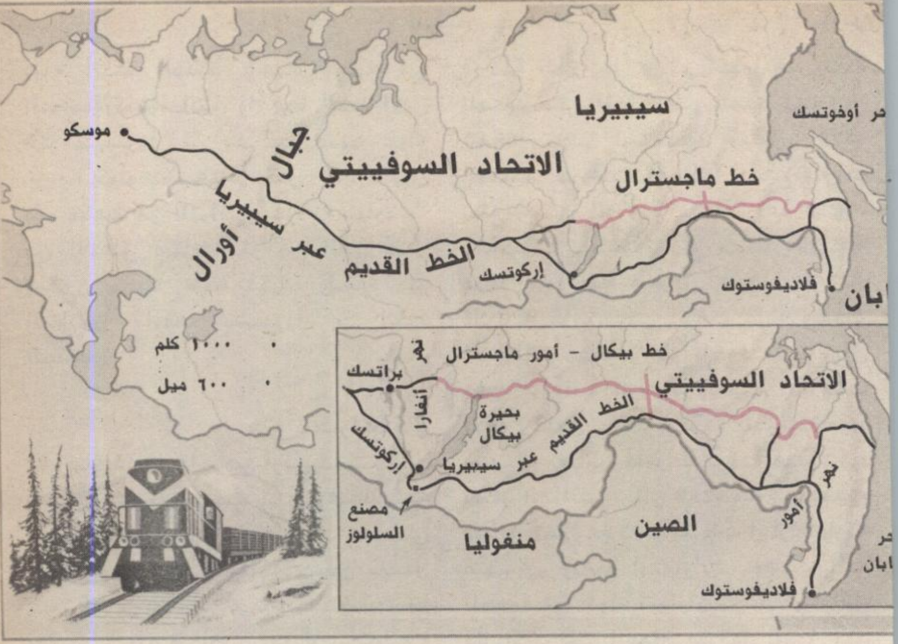

ترويض سيبيريا مثلما كان الامريكيون عاقدين العزم على ترويض الغرب الاقصى في القرن التاسع عشر.

وسيبيريا ليست حلماً للرواد فحسب بل هي قلعة الاتحاد السوفييتي وضمان ذهبي ثابت لرخائه الاقتصادي الان وكل آن. وكلما تقدم الخط الجديد كيلومتراً اكتشف مرج من الكنوز: أطنان من الذهب ومليارات الامتار المكعبة من الاخشاب غير المقطوعة في الغابات العذراء وجبال من الحديد الخام والمعادن الثمينة وعروق عملاقة من الفحم الحجري تحت سطح التربة وأنهار عظيمة تنتظر مولدات كهربائية.

وتوفر سيبيريا حالياً ما يفوق نصف انتاج البلاد من الفحم الحجري والغاز الطبيعي والنفط. وكل شيء في هذا الاقليم ذو حجم غير عادي، كذلك الخطط المرسومة له. والشعب القاطن على طول الخط الجديد لا يتكلم على مصنع او بلدة ولا حتى على مجمع صناعي، انما يتكلم على مجمعات واسعة متكتلة تضم محطات لتوليد الكهرباء ومناجم ومعامل لانتاج المواد الاساسية ومراكز مدينية تقدم خدمات متنوعة متكاملة.

ومن الناحية الاستراتيجية أيضاً يستحسن انشاء خط حديد ثان للافادة من مجموعة الكنوز هذه الملاصقة للصين. ان خط بيكال - أمور ماجسترال أراح السيبيريين المرهقين، وأهم من ذلك انه قوّى هذا الاقليم الحدودي الحساس باستقدام أعداد أكبر من المصانع والناس.

وعلى رغم التكنولوجيا الحديثة كان

Map: George Buctel

بناء الخط الجديد صعباً، وربما في الصعوبة ذاتها التي واجهها الخط الاول عبر سيبيريا. ان مد خط حديد طوله ٣٠٠٠ كيلومتر معناه نكش ٣٥٠ مليون متر مكعب من التراب وحفر ٣٠ كيلومتراً من الانفاق وبناء أكثر من ألفي جسر وستين محطة سكة حديد. ولسوء حظ البنائين قاومت سيبيريا مد الخط الجديد.

اغراءات للعمل - شرق بحيرة بيكال تقع منطقة تايغا، وهي أرض مستنقعات وغابات شربين وتنوب وبتولا. انها بقعة ماحلة تقطعها أنهار عدة حملت مهندسي الخط الجديد على اقامة جسور بمعدل جسر كل ١٥٠٠ متر. ويمر هذا الخط بسبع سلاسل جبلية وبصحراء رملية عرضها ٤٠ كيلومتراً لم يتمكن أي واضع خرائط من رسم خريطة لها.

وثمة تضاريس أرضية تكونت بفعل الزلازل المتتالية وبتأثير المناخ. وعندما يذوب الثلج تتدفق الانهار سيولا جارفة. وعلى خط العرض هذا تبقى التربة متجمدة الى عمق بضعة أمتار. وفي الصيف عندما تحفر الآلات طبقة من التراب ويبدأ الجليد الذوبان قد يحدث اي شيء: كهوف داخلية ومزالق طينية وسواها. وفي الشتاء تكثر الانهيالات الثلجية ويسود برد قارس. وتعمل فرق البناء غالباً في جو حرارته ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، وتبقى الآلات مُدارة طوال الوقت خوفاً من أن تتجمد. ويصبح الفولاذ الصلب هشاً كالزجاج وتتقصف محاور العجلات فجأة.

مئة ألف رجل وأكثر عملوا في الخط الجديد حتى انجازه في شتاء ١٩٨٤ - ١٩٨٥. وهم استعملوا أفضل الآلات المتاحة: جرافات أمريكية ذات شفرات يبلغ عرض الواحدة منها أربعة أمتار، وشاحنات يابانية تبلغ حمولة الواحدة منها ١٨٠ طناً ويعادل علوها بناء من ثلاث طبقات. وفي الوقت ذاته وضعت السلطات مجموعة اغراءات لحمل العمال على الذهاب الى سيبيريا. فضاعفت الاجور مثنى وثلاثاً وملأت المتاجر مؤناً وشيدت مساكن فسيحة مريحة مُدَّفأة في بعض المناطق. وكان المتطوعون يتنقلون مجاناً ولهم بعد ثلاث سنوات اجازة ادارية سخية، ولهم امتيازات الشخصيات المهمة في شراء سيارات. وعلى رغم كل ذلك كان ثلث العمال يتركون العمل بعد مضي سنة واحدة. كان في امكانهم أن يجمعوا ثروة العمر لو بقوا، لكنهم سئموا سيبيريا.

"بحر" بيكال - وقع الخط الجديد في مشكلة أخرى هي أن سيبيريا ليست أرضاً قاسية فحسب، بل هي أيضاً أرض هشة جداً. والعلماء السوفييت لا يفتأون ينبهون المهندسين الى وجوب عدم تعكير البيئة. والجدير بالذكر ان بحيرة بيكال هي موضع الاهتمام المباشر للعلماء، وهذا الامر كان مدار جدل حام بين علماء البيئة ودعاة التصنيع.

وبحيرة بيكال ليست بحيرة عادية. فطولها ٦٣٥ كيلومتراً ومعدل عرضها ٤٠ كيلومتراً. انها أشبه ببحر داخلي يحوي كمية من الماء تفوق ما يحويه البلطيق

ويضفي مناخاً معتدلا بالنسبة الى مقاييس سيبيريا. في هذه البحيرة نوع من المحار يدعى "ابيسكورا" يهتم لنظافة البحيرة على نحو عجيب. فهو يلتهم المواد العضوية بشراهة فينقي مياه البحيرة مرات عدة في السنة. وفي "الحزام الزمردي" من الجبال والغابات التي تلف البحيرة يعيش الدب والذئب والايّل والغزال والماعز السيبيري والسمّور.

العلماء السوفييت قلقون حول نقاوة البحيرة. وتملك مؤسسة دراسة المياه النقية، المكلفة حراسة البحيرة، أسطولا من ثمانية زوارق على الاقل وجانباً كبيراً من القوة. وموظفو هذه المؤسسة اعترضوا مهندسي الخط الجديد عندما أرادوا مد السكة على طول البحيرة، وذلك خوفاً من خطر التلوث. ويذكر أن ادارة الخط الجديد، بناء على الحاح المؤسسة، تركت كيلومتراً من الارض فاصلا بين الخط والبحيرة.

وتستأثر أوضاع البيئة هذه الايام برعاية السلطات السوفييتية، لان المخططين يعلمون أن مشروع بيكال - أمور ماجسترال سيساعد على فتح أبواب سيبيريا أمام السياح.

تسهيلات سياحية - إركوتسك هي الآن الجاذب الاول للسائح في القسم الاسيوي من الاتحاد السوفييتي. وعلى ضفة نهر أنغارا قرب محطة السكة الحديد القديمة شيد فندق من عشر طبقات يتسع لـ ٥٣٠ زائراً. وعلى رابية تطل على بحيرة بيكال وتبعد ٤٠ كيلومتراً الى الشرق أقيم برج فندقي يستوعب ١٧٠ زائراً. والمراكب البخارية السريعة تنقل السياح للتنزه في البحيرة.

ويتوافد ألوف الاجانب من بلدان بعيدة ليراقبوا تبديل الحرس عند النصب التذكاري للحرب العالمية الثانية في إركوتسك ويشاهدوا الكنائس المرممة في البلدة. وكم يعجبون بالمنازل المتعددة الالوان وغير المتوازية الجوانب التي لا تزال قائمة في قلب البلدة القديمة. ومن جملة الذين يودون الاستمتاع بسيبيريا الحقيقية الصيادون الذين يسمح لهم بصيد عدد قليل من الدببة سنوياً ومتتبعو آثار الايائل الذين يخيّمون في الاحراج ومربو العصافير الذين يأتون من أقاصٍ كبريطانيا وألمانيا ليلقوا نظرات خاطفة على الانواع السيبيرية الفريدة.

وفي الشتاء يقدم المكتب السياحي في إركوتسك تسهيلات للتزلج في منطقة البحيرة.

أيتلف هؤلاء السياح الارض التي لا تزال محافظة على طبيعتها؟

السلطات تجيب: لا. فهي تصر على أن تبقى الرقابة شديدة على القنص وصيد الاسماك وارتياد المتنزهات الطبيعية. وتلوث البحيرة غير مسموح به. ويطيب للسلطة أن تستشهد بكاتب من إركوتسك قال: "بحيرة بيكال موقوفة على بهجة الانسان وبهجة الاجيال الآتية."

سيبيريا تريد أن ترحب بالسياح، لكنها لا تريد أن تقع فريسة لهم. أما اذا كانت ستنجح، فهذه مسألة فيها نظر.

مارك أمبرواز - راندو ■

الدروس التي علمتني إياها تخطت القراءة والكتابة والحساب

مُعلّمة لا تُنْسىٰ

كان طولها متراً ونصف متر وربما لم يتجاوز وزنها الخمسين كيلوغراماً. لكن حضور الآنسة بيسي في الصف كان قوياً. وهي المرأة الوحيدة التي حملتني على قراءة الكتب الصعبة وايهامي بأني أحب مضامينها.

عندما كنت أتابع دراستي في مدرسة برنارد الثانوية في ماكمنفيل بولاية تنيسي بين العامين ١٩٣٨ و١٩٤٢ علمتني الآنسة بيسي الانكليزية والتاريخ والتربية المدنية ومواضيع أخرى كثيرة فاقت تصوري.

Illustration: Christopher Calle

ولن أنسى أبداً يوم وبختني لأنني لم اقرأ ملحمة "بيوولف" (١).

قلت محتجاً بانكليزية عامية: "لكنني غير مهتم بها يا آنسة بيسي."

زمّت عينيها البنيتين الكبيرتين وقالت: "كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه اللغة أيها الفتى؟ لقد علمتك عبارات أفضل."

قلت متوسلا: "يا آنسة بيسي، انني مرشح لأكون رئيس فريق كرة القدم. واذا تكلمت بلغة صحيحة فسيهزأ مني الشباب ويبعدونني عن الفريق."

أجابت: "ستبرز في كرة القدم أيها الفتى لأنك تملك الشجاعة. ولكن هل تعرف ما هي الشجاعة الحقيقية؟ هي أن ترفض خفض مستواك الى مستوى الجماعة. أنت تحتاج الى الشجاعة كي تحيا وتكون مهماً بعد خمسين سنة من اعتزالك كرة القدم."

وبدأت منذ ذلك الحين أتكلم بلغة صحيحة. وبقيت اللاعب الماهر والطالب الذي يلقي خطبة الوداع في حفلة التخرج من دون أن يخسر احترام رفاقه.

"الخيوط" والقنديل – خلال ٤٤ سنة من الخدمة علمت الآنسة بيسي تايلر غوين مئات الاطفال السود المحرومين، ومن بينهم أمي وأخي وأخواتي وأنا. وأتذكرها الآن بامتنان ومحبة بعدما بات المعلمون المؤهلون المخلصون نادرين جداً. كانت الآنسة بيسي مثال المعلمة المحترفة التي كرست وقتها لرسالتها فأصبحت نعمة للأولاد ومصدر قوة للأمة.

ولدَت عام ١٨٩٥ في جو من الفقر وترعرعت في أثنز بولاية آلاباما. وتعلمت في مدرسة ترينيتي وهي مؤسسة خاصة للسود تديرها الجمعية الارسالية الامريكية. ثم تخرجت عام ١٩١١ في مدرسة نورمال وهي مدرسة ثانوية ذات مستوى رفيع في جامعة فيسك في ناشفيل بولاية تنيسي. ولم تتكلم السيدة غوين أبداً على السنوات التي أمضتها في أثنز اذ كانت كتلة من الكبرياء والتكتم.

ولم تكشف الا قبيل وفاتها انها لم تدرس في جامعة فيسك نفسها لعجزها عن دفع تكاليف سنوات الدراسة الاربع.

تعلمت الآنسة بيسي الكثير عن شكسبير في مدرسة نورمال. لكن معظم ما اكتسبته كان حول الاهمية العميقة للتربية، خصوصاً بالنسبة الى الذين يحاولون الخروج من العبودية. وهي قالت ذات مرة: "ما تدخله عقلك أيها الفتى لن يقتلعه أي شخص أو أي قوة في الارض."

كانت تصرفاتها النبيلة توحي الى كل من يلتقيها أنها "مثقفة" بكل ما في الكلمة من معنى. لم تواجه أبداً مشكلة في ضبط الصفوف. وكيف نجرؤ على التلاعب مع امرأة تعرف معركة هاستينغز (١٠٦٦) ووثيقة ماغنا كارتا (٢) وميثاق الحقوق (١٧٨٩) وتعزف على البيانو.

تلك المرأة ذات المظهر الضعيف كانت تفهم حقيقة شكسبير وميلتون وفولتير وتحيي أفكار المعلمين السود أمثال بوكر واشنطن وإ.ب. دوبوا.

---

(١) قصيدة ملحمية من القرن الثامن تدور على حياة أمير محارب.

(٢) وثيقة الحقوق التي أكره النبلاء البريطانيون الملك جون على توقيعها عام ١٢١٥.

وايماناً منها بأهمية معرفة الموظفين الرسميين الذين ينفقون الضرائب التي يدفعها الشعب والذين يصنعون السياسة العامة، جعلتنا نحفظ أسماء جميع العاملين في المحكمة العليا وفي المجلس الرئاسي. وكم كنا نرتبك حين تسأل أحدنا على حين غرة: "انهض واخبر الصف من هي فرنسيس بيركنز وما رأيك فيها."

كانت الآنسة بيسي تعرف أن عائلتي عاجزة عن الاشتراك في صحيفة، مثل عائلات كثيرة إبان الأزمة الاقتصادية. وكانت تعرف أننا لا نملك حتى جهاز راديو. وعلى رغم ذلك كانت تحثني على طلب المعرفة قائلة: "فتش عن مستقبلك واستنبط طريقة تجعلك دائماً على علم بما يجري في هذا العالم." وهكذا أصبحت موزعاً لصحيفة "تايمس" في تشاتانوغا بولاية تنيسي. وقلما كسبت دولاراً في الأسبوع، لكنني تمكنت من قراءة الصحيفة كل يوم.

وكانت الآنسة بيسي تلاحظ أموراً لا علاقة لها بالأعمال المدرسية لكنها حيوية في مرحلة الشباب.

هزىء رفاق صفي مرة بمعطفي البالي فلقبوني "الخيوط". وربتت الآنسة بيسي ظهري فيما أنا أغادر المدرسة بمعطفي ذاك وقالت: "لا تتحسر أبداً على ما لا تملك. ولكن أفد ما استطعت مما تملك، وهو العقل."

وكانت الكهرباء من الأشياء غير المتوافرة في بيتنا الخشبي الصغير الذي بناه والدي بأربعمئة دولار هي تعويض خدمته في الحرب العالمية الأولى. لكنني

Why Not Improve YOUR English?

Be Specialist Trained in Written and Spoken English!

A GOOD COMMAND OF ENGLISH can ensure success in your present job — improve your chances of promotion and increase your earning power. You can acquire it quickly and easily.

To help you be successful, we offer you a unique, easy to understand, home-study training for a Diploma in Business English, as well as Pitmans, LCC and RSA exams. You are trained in writing business letters, office memoranda, reports, minutes of meetings and lots more, including of course the English language itself — both written and spoken.

Your Business English training is conducted entirely in English. If you understand this advertisement, you will understand the prospectus — which is sent FREE on request. So write NOW for your copy, giving your name and address in BLOCK CAPITALS to Business Training Ltd., Dept. B/RD 16, Sevendale House, 7 Dale Street, Manchester M1 1JB, England.

BUSINESS TRAINING LIMITED
Dept. B/RD 16,
Sevendale House,
7 Dale Street,
Manchester, M1 1JB,
England.
CACC Accredited

Please tell me about your home-study training and how I can obtain my specialist Diploma.
BLOCK CAPITALS PLEASE

Surname……………………

Other names……………………

Address……………………

بوحي من الآنسة بيسي أمضيت الساعات الطوال أقرأ لشكسبير وتورو وساموىل بيبيز ووليم براينت بعينين نصف مغمضتين قرب قنديل الكاز.

مهرِّبة الكتب – لم يتخرج أي من أفراد عائلتي في المدرسة الثانوية، لذلك لم يكن في بيتنا توجه تقليدي حازم الى طلب العلم. وكنت مثل ملايين الفتيان في الغيتو الأسود وأحياء البؤس في حاجة الى معلمة مهتمة تدفعني وتحضني على العمل. وقد أعطتني الآنسة بيسي الدافع الوافي عندما أغرقتني في عالم رائع من التشابيه والمجازات وحتى الكلمات التي توحي ألفاظها بمعانيها. وهي حملتني على الاعتقاد ان في استطاعتي كتابة السونيتات(٣) مثل شكسبير ونظم الأشعار الموزونة بحيث أجعل ألكسندر بوب يخجل من محدودياته.

وكان نظام مدرسة ماكمنفيل في تلك الأيام يسوده التمييز العنصري. وكان على الأطفال السود الفقراء المكافحة من أجل ادخال المعارف رؤوسهم. ومدرستنا أكبر قليلا من المدرسة الصغيرة التقليدية ذات البناء الاحمر، لكن مكتبتها من الضيق بحيث كنت أتخيل أن تلميذين اذا وجدا فيها وأراد أحدهما قلب صفحة كتاب توجب على الثاني أن يخطو خارجاً.

ولم يكن يسمح للعبيد، كما كنا نسمى آنذاك، بدخول مكتبة المدينة الا لمسح الأرض أو نفض الغبار عن الطاولات. لكن الآنسة بيسي ظلت تهرِّب الكتب من مكتبة البيض من خلال الترتيبات السرية في الجنوب الامريكي في ذلك العهد الذي شهد تلاشياً تدريجياً للقيود القانونية المفروضة على الزنوج. وهكذا عرفتني الى الاخوات برونتي والى بايرون وكولردج وكيتس وتنيسون. وهي قالت لي مرة: "اذا لم تقرأ فلن تستطيع الكتابة، وقد تتعطل حتى أحلامك."

لذلك قرأت كل ما أعطتنيه الآنسة بيسي. وحاولت تذكر الأشياء التي أصرت على حفظها. وبعد خمس وأربعين سنة ما زلت قادراً على تلاوة "الحقائق التي نحيا بها" مثل أسطر هنري وادسورث لونغفلو في "سلَّم أغسطين":

"ان المعالي التي وصل اليها كبار الرجال وحافظوا عليها لم تتحقق في انطلاقة واحدة.
لكنهم حين نام
رفاقهم
كانوا يكدحون
ليلا الى العلى."

وأثمر ايحاؤها وحضها وتملقها وغضبها. وبعد سنوات كثيرة جاء ذلك اليوم الرائع حين كتبت الي الآنسة بيسي تقول: "انني فخورة جداً بقراءة مقالاتك في صحيفة تنيسيان."

معلمة ملهمة – كانت الآنسة بيسي امرأة نشطة في الثمانين عندما عدت الى ماكمنفيل وزرتها في غرفتها في أحد

---

(٣) قصائد من ١٤ بيتاً.

المباني المخصصة للمواطنين المسنين. وتناولت قدحين وزجاجة شراب وأخبرتني باعتزاز أن في المبنى الذي تقطنه تمازجاً عرقياً.

وانتابني شعور جديد بالمساواة، ثم كشفت معلمتي عن حنو ورقة لم أعهدهما فيها كتلميذ.

قالت: "لم أنسَ ابداً يوم الامتحان ذاك عندما رفع باستر مارتن سبع أصابع طالباً منك مساعدته في السؤال السابع كما كان واضحاً: "سمِّ شركة نقل معروفة." وما زلت أتصورك تنظر الى ورقة امتحانك مهمهماً: "تشاتانوغا تشو تشو." ورحت أضحك في قرارتي ولم أقدر على معاقبة أي منكما."

كانت الآنسة بيسي تحاول أن تقول لي وهي تشعر بالراحة والاسترخاء انني لم أستطع خداعها لحظة واحدة.

وعندما توفيت الآنسة بيسي وهي في الخامسة والثمانين ارتدى المئات من تلاميذها السابقين ثياب الحداد. انهم عرفوا مقياس المعلمة الكبيرة: الحب والمثابرة. ولقد ترقرقت حكمتها وتموج تأثيرها عبر الاجيال.

كان طبيعياً أن يبقى تلاميذها فقراء. لكن كثيرين منهم ثابروا ليصبحوا أطباء ومهندسين وأساتذة جامعات، وحذا كثيرون حذوها فأصبحوا معلمين.

وتقول غلاديس وود من نوكسفيل بولاية تنيسي وهي معلمة لغة محترمة جداً أمضت ثلاثاً وأربعين سنة في المدارس الحكومية: "أثرت فيَّ الآنسة بيسي وطريقة ادارتها الصفوف أكثر من أي شيء تعلمته في الجامعة، وكنت أسأل نفسي كلما واجهت مشكلة في الصف: كيف يمكن أن تعالج الآنسة بيسي هذه المشكلة؟ فاتذكر أنها كانت تعالجها بالضحك والمحبة."

لا يمكن أن يتلقى أي طفل العون الكافي في البيت. وملايين الاطفال الفقراء كانوا لا يتلقون أي عون. وهنا تكمن أهمية معلمة حكيمة ومثقفة ومحبة كالآنسة بيسي في تنمية عقول أطفال بلادي وقلوبهم وشخصياتهم.

كارل روان ■

سفير سابق في فنلندا ومدير وكالة الاستعلامات الامريكية ومحرر متنقل في الـ"ريدرز دايجست".

الكرز والخوخ

طُلب من معلم مدرسة أن يحلّ مكان زميل ذهب في إجازة. ودخل المدير الصف ليقدم المدرس الجديد. واستهل الكلام بإعلان أسفه لتغيب المعلم الأصلي ثم أضاف: "ولكن يسعدنا أن ينوب عنه هذا الاستاذ الشاب الواسع الثقافة."

وشكر الاستاذ لمدير المدرسة ثقته وأضاف: "يعيدني هذا الكلام الى وقت كنت أقضي اجازة أخذتني الى بلدة سياحِية صغيرة. وفي أحد شوارعها عُلّقت لافتة كُتب عليها: مهرجان الكرز السنوي. ولكن أُضيفت تحت هذا الاعلان الملاحظة الآتية بخط صغير: نظراً الى القحط في هذا الموسم، نستعيض عن الكرز بالخوخ."

ن.ك.

ديد من سيريلاك

القمح، الأرزّ والحليب المغذّي يجعل سيريلاك
أول طعام كامل يُعطى لطفلكِ بالملعقة بعد شهره الرابع .

وبينما ينمو طفلكِ دعيه يتذوّق سيريلاك الجديد بالموز وسيريلاك الجديد بالأربع فواكه، وجميعها تحتوي على البروتين والاملاح والفيتامينات التي يحتاج اليها طفلكِ .

امزجي سيريلاك بالماء المغلي لحصولكِ على طعام كامل ومغذّي .

سيريلاك الغذاء الكامل لطفلكِ، متوفّر الآن بأربعة أنواع .

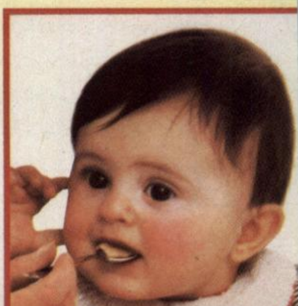

سيريلاك
أول طعام كامل
يُعطى لطفلكِ بالملعقة

تضمنه نستله
Nestlé

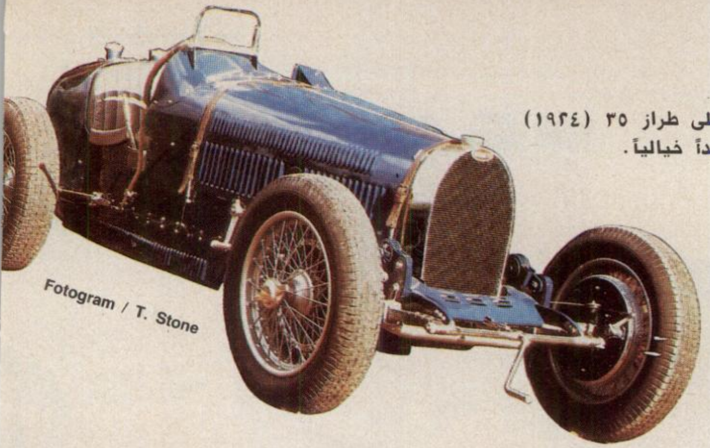

المزايدة على طراز ٣٥ (١٩٢٤)
قد تبلغ حداً خيالياً.

«جياد» بوغاتي

انه ربيع ١٩٨٢. في الباحة الرئيسية لقصر فونتينبلو في فرنسا يجرى بيع بالمزاد العلني. والمزايدة على أشدها بين هواة جمع السيارات القديمة الاثرياء:

– ٦٠٠ ألف فرنك.

"٧٠٠ ألف."

– ٧٥٠ ألفاً.

"هيّا، من يزيد؟ واحد، اثنان..." ثم أهوى الدلّال جان بيار بمطرقته صائحاً: "... ثلاثة." وتم البيع.

الشيء الذي اشتراه هاو باريسي مجهول بهذا المبلغ الخيالي لم يكن لوحة فنية رائعة ولا عقداً من الألماس، بل سيارة سباق "بوغاتي" من العام ١٩٢٦ عرضها الممثل جاك دوفيلو للبيع. وهي بهيكلها الأزرق السماوي ومقدّمها الطويل ومقاعدها الجلدية السوداء وواجهتها الفولاذية المصقولة تحفة فنية في الانسيابية (aerodynamics) والاناقة. ويقول الدلّال هرفي بولان الاختصاصي ببيع السيارات الاثرية: "تلك السيارة من طراز "٣٧ آ" لا يصعب بيعها اليوم بـ٨٥٠ ألف فرنك. ومع ذلك فهي ليست أغلى سيارات"بوغاتي". فسيارة من طراز ٥٥ أو ٥٩ يقدر ثمنها بمليون فرنك(★) على الاقل. والعربة من طراز ٥٠ المصنوعة عام ١٩٣٠ قد تجذب شارين يدفعون ثلاثة ملايين فرنك."

ولكن قبل ٣٠ سنة كان يمكنك ان تشتري سيارة بوغاتي مستعملة بثمن

(★) الدولار الامريكي يعادل حاليا نحو ٧،٦ فرنكات فرنسية.

BUGATTI

سريعة وأنيقة وجميلة.
تلك هي سيارات إيتوري بوغاتي الرائعة

لم يصنع من طراز "أتلانتيك كوبيه" (١٩٣٨) سوى ثلاث سيارات.

D. P. P. I. / J. M. Teissedre

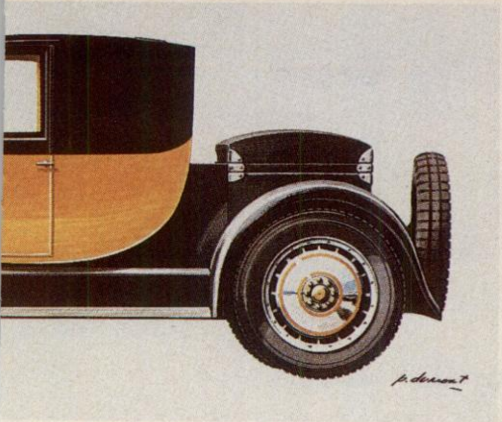

"رويال" الفخمة أول انموذج من طراز "نابوليون كوبيه" (١٩٢٧)

زهيد جدا. في تلك الايام اشترى فرنسيس مورتاريني الذي ملك مرأباً لاصلاح السيارات في نويي - سور - سين، نحو ٢٠٠ سيارة بوغاتي من "مقابر" السيارات ومن المزارعين الذين كانوا يبيتون دجاجاتهم داخلها. وفي أوائل الخمسينات اجرى الهاوي الامريكي بريغز كاننغهام مقايضة مع عائلة بوغاتي، فأخذ سيارتين من طراز "رويال" الافخم في مقابل ثلاجتين وبضعة آلاف من الدولارات. والآن، تعرض في المتاحف خمسون سيارة بوغاتي من تلك التي اشتراها مورتاريني. ويقدّر الخبراء قيمة كل من سيارتي "رويال" اللتين قايض عليهما كاننغهام بنحو ٣٠ مليون فرنك.

ولد ايتوري بوغاتي مبدع هذه السيارات الخارقة في ميلانو بايطاليا عام ١٨٨٠ لعائلة تهوى الفن والتكنولوجيا. وعندما بلغ العشرين من العمر صنع بيديه سيارته الاولى. وكانت مكشوفة وذات مقعد واحد. ونال على هذا الانجاز جائزة من معرض ميلانو العالمي.

سيارة من طراز "توكر كابريوليه" ذات سطح قابل للطي (١٩٣٨) أنيقة ورياضية.

D. P. P. I. / J. M. Teissedre

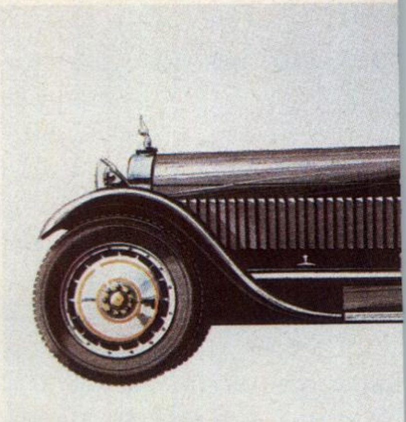

Archives E. P. A. / Collection: «Prestige De L'Automobile»

وفي الوقت عينه أخذ يهتم بسيارات السباق وبدأ ينال الجوائز.

دخل بوغاتي عام ١٩٠٤ شراكة مع منتج السيارات الفرنسي إميل ماتيس. وحين اتضح أن هم بوغاتي كان الابداع وهمّ ماتيس الربح فحسب انفصل الشريكان. وفي العام ١٩٠٩ اشترى ايتوري مصنع صباغ مهجوراً في مولشايم بمقاطعة الألزاس. وهناك قدّر له أن يحقق شهرة كمصمم للسيارات الباهرة وصانع لها.

ولدى نشوب الحرب العالمية الاولى فرّ بوغاتي الموالي لفرنسا من مولشايم التي كانت في قبضة الألمان، وانتقل الى باريس حيث طوّر محرك طائرة عسكرية اشترت الولايات المتحدة الامريكية اجازة تصنيعها عندما دخلت الحرب. ولم يرجع بوغاتي الى مولشايم الا بعدما أعيدت مقاطعة الألزاس الى فرنسا.

عيّن بوغاتي ضابطاً في جوقة الشرف تقديراً للخدمات التي قدمها الىْ الصناعة الفرنسية خلال الحرب العالمية الاولى.

وهكذا بدأت انطلاقته في معارج المجد والتي استمرت ٢٠ سنة. ومما أذهل منافسيه أن أولى السيارات التي صنعها قهرت أفضل ما انتجته شركات السيارات التي اشتهرت قبله في حلبات السباق الرئيسية في أوروبا. وفي العام ١٩٣٠ احتلّت سيارات بوغاتي المراكز الستة الاولى في سباق جائزة موناكو الكبرى، فبزّت سيارات "مرسيدس" و"الفا روميو" و"مازيراتي". وكان هذا الظفر طليعة عشرة آلاف انتصار حققها بوغاتي، بما فيها ٣٦ جائزة كبرى بين ١٩٢٠ و١٩٣٩. وأضحت زرقة سيارات بوغاتي اللون الرسمي لفرنسا في السباقات الدولية.

في الثلاثينات كان اقتناء سيارة بوغاتي رمزاً للجاه مما حدا صانع ثياب فرنسياً وطبيباً ألمانياً على الاسراف في البذخ بشراء سيارة "رويال" يبلغ وزنها ثلاثة أطنان وحجم محركها ١٢،٧ ليتراً وسرعتها ١٦٠ كيلومتراً في الساعة. أما

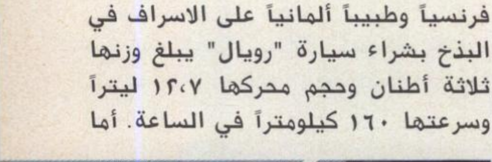

D. P. P. I.

هذا الطراز "أتالنته كوبيه ٥٧" (١٩٣٨) صممه جان بوغاتي للهواة الاثرياء.

المشاهير الذين اقتنوا طرازات أقل فخامة فمنهم الراقصة ايزادورا دونكان التي اختنقت حين علق لفاعها الطويل بمحور عجلة السيارة والرسام أندريه ديرين والثري الكبير في عالمي العطور والصحافة فرنسوا كوتي والمغني جورج أولمر.

لقبت الطرازات الاولى من سيارات بوغاتي "الجياد الأصيلة". وكان بوغاتي فارساً مبرّزاً كما كان سائقاً من الدرجة الاولى، فاعتبر أن السيارات ينبغي أن تكون سريعة وقوّية وجميلة كجياد السباق، وربما لهذا السبب صمّم لوحة المشعاع (رادياتور) في شكل حدوة حصان. كان يأبى أن يفرّق بين الفاعلية والجمال، وردد دائماً: "السيارة القبيحة لا يمكن أن تكون جيدة." وهو لم ينتج الا ٧٥٠٠ سيارة في غضون ٣٧ سنة أمضاها في هذه الصناعة. ولكن كما ذكر كاتب سيرته بيار دومون: "هذه السيارات هي أصدق تعبير عن الفن مطبّقاً على السيارات."

وأشرف بوغاتي على تصميم الطرازات الاساسية الثلاثة والثلاثين التي أنتجها في مولشايم، بدءاً بأصغر قطعة فيها وانتهاء بأبرز مظاهرها.

ولم يكن بوغاتي مدافعاً عن دقة الصناعة فحسب، بل كان مجدداً مدهشاً. ومن اختراعاته المهمة العجلات ذوات الشفار والكوابح التي تعمل بالزيت. وهو الذي عنت له فكرة عربة قطار تسيّر ذاتياً، فأنتجها واستخدمتها شركة السكك الحديد الوطنية في فرنسا. كما سجل ٣٠٠ براءة اختراع راوحت بين قصب صيد السمك وسفينة مصممة لعبور المحيط الاطلسي في ١٥ يوماً.

في ١٠ أغسطس (آب) ١٩٣٩ نزلت كارثة ببوغاتي العظيم اذ قضى ابنه جان في حادث وهو يختبر احدى سيارات الشركة.

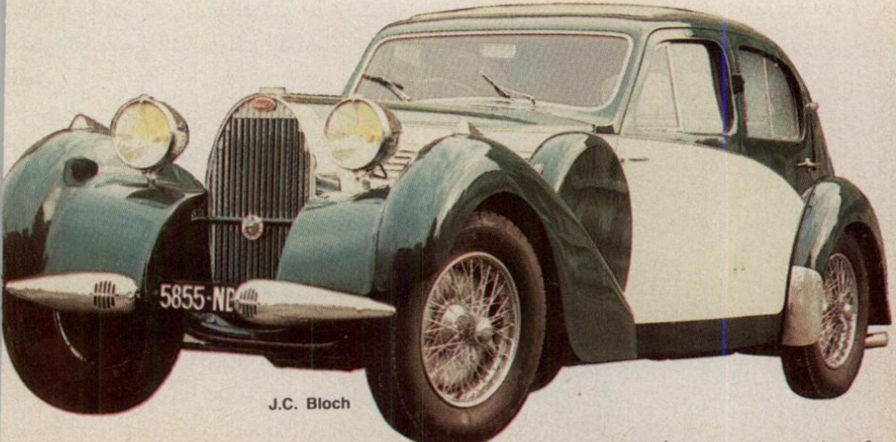

J.C. Bloch

آخر طراز تجاري ناجح أنتجه بوغاتي كان الطراز ٥٧، كسيارة الليموزين "غاليبييه" الفخمة هذه من العام ١٩٣٨.

وبعد ثلاثة أسابيع اندلعت الحرب العالمية الثانية. وحين احتل الألمان مصنع مولشايم للمرة الثانية أنشأ بوغاتي مصنعاً في بوردو لانتاج قطع غيار الطائرات. وانتقل بعد ذلك الى باريس وأسس مكتباً سرياً للتصميم الصناعي. وحين وضعت الحرب أوزارها عاد بوغاتي اليائس الى مولشايم وحاز الجنسية الفرنسية عام ١٩٤٦ كي يتسنّى له رفع دعوى لاسترجاع مصنعه. لقد مات ابنه وقضى اثنان من أفضل سائقيه في معسكرات الاعتقال النازية وأخذت سيارات بوغاتي تفقد شعبيّتها. وأصبحت المواد الأولية نادرة حقاً ولم يعد ثمة مجال للترف في نظام التقشّف الذي التزمته فرنسا بعد الحرب، غير أن النسيان الذي طوى سيارات بوغاتي كان عجيباً. وأصيب بوغاتي الواهن القوى بالانفلونزا، وتوفي في ٢١ اغسطس (آب) ١٩٤٧. وفي العام ١٩٥٥ صنعت آخر سيارات بوغاتي.

يؤلف مالكو سيارات بوغاتي اليوم "عصبة" دولية تضم نحو ٢٥٠٠ عضو. وفي العام ١٩٨١ احتفل بالذكرى المئوية لمولد ايتوري فنظم سباق سيارات اجتذب ١٥١ سيارة بوغاتي من ١٥ بلداً. ولا يزال معظم سيارات بوغاتي القديمة صالحاً للعمل على نحو مدهش. فسيارة من طراز ٣٨ مصنوعة عام ١٩٢٧ يمكن أن تبلغ سرعتها ١٣٠ كيلومتراً في الساعة وداخلها ثلاثة ركاب على رغم أعوامها الثمانية والخمسين. ويقول فرنسيس مورتاريني: "أي سيارة عادية اليوم يمكنها ان تنطلق بمثل هذه السرعة. لكن رؤيتك وراء مقود بوغاتي تساوي مشاهدتك شابكاً ذراعك بذراع نجمة سينمائية."

بعضهم أوصلهم ولعهم بسيارات بوغاتي الى الافلاس. فصانعا الاقمشة السويسريان هانز وفريتز شلومب خرّبا أعمالهما بشراء مئات السيارات التقليدية القديمة بما فيها ١٢٣ من "جياد" بوغاتي. ومجموعتهما معروضة الآن في المتحف الوطني للسيارات في مولهاوس بالرين الأعلى.

ويقدر الخبير البريطاني هيو كونواي أن ثمة ما بين ٣٠ و٥٠ سيارة بوغاتي لمّا يعثر لها على أثر بعد. وقد يكون معظمها لا يزال في فرنسا في سقائف مغمورة في الضواحي أو المزارع. والأروع بين هذه الكنوز المخبوءة سيارة سباق من طراز ٥٤ قادها مرة مارسيل ليهو. ويروى أن صاحبها دفنها في قبر سري من الاسمنت قبل ذهابه الى الحرب عام ١٩٣٩. ومات الرجل في معسكر اعتقال. وكل ما يعرف حتى الآن هو أن هذه الرائعة لا تزال مدفونة في مكان ما في جوار شاتو - تييري بمقاطعة اين.

فاذا حالفك الحظ وأصاب رفشك هذه السيارة المدهشة التي تبلغ قوتها ٣٠٠ حصان ناري وتصل سرعتها الى ٢٥٠ كيلومتراً في الساعة، فستحظى بثلاثة ملايين فرنك في شكل سيارة قديمة. لكنك تحظى كذلك برائعة جاءت نتيجة اقتران الفن بالتكنولوجيا والخيال بحب الكمال. وقد لا تتخلّى أبداً عن هذه التحفة وان في مقابل ثروة طائلة.

نيكولا بولان ■

تنظيفُ المتوسِّط
مَهمَّة عَربيَّة ودَوليَّة

عام ١٩٥٩ دق جاك كوستو ناقوس الخطر: "البحر الابيض المتوسط يموت." فبينما كان يغوص قبالة شاطىء فرنسا الجنوبي وجد صحراء بحرية كانت قبل سنوات قليلة مكتظة بالسمك والنبات. وأنحى باللائمة على السموم التي تأتي من المجمعات المدينية والصناعية القريبة من البحر.

بلوَرَ كوستو اهتماماً شعبياً متزايداً بتلوث بحار العالم ومحيطاته. ففي الستينات حوَّلت الزيوت والكيميائيات ومقذوفات المجاري مناطق عدة في البلطيق برَك أوساخ سامة. فالمعادن الثقيلة والمبيد "د.د.ت." تجمعت في السمك والاصداف من المحيط الاطلسي الى بحر الصين، مما تسبب في نفوق أعداد هائلة من الطيور التي تقتات عليها وفي تسميم أناس كثيرين.

والتلوث كثيراً ما يكون قرب البحر، ومعظم طعامنا البحري مأخوذ من مساحة في نطاق ٣٧٠ كيلومتراً من اليابسة. وملايين الناس يستحمون في المسابح. ولكن في هذه المناطق الساحلية ذاتها لا تزال البلدان تلقي بأقذار مجاريها في المحيط. وعلى سبيل المثال، لا يُعالَج من الروث المرمي في البحر الكاريبي سوى عشرة في المئة. ونصف الملايين

Fred M. Dole / FPG, Naples

المنظر الليلي الفتان في نابولي الذي يتذكره السياح
يناقض التلوث الشديد الذي يهدد مياه المتو

عالم الحياة البحرية ستجيبان كيكس
يدير مركز نشاطات برنامج المحيطات
والمناطق الساحلية.

United Nations Environment
Program, Geneva

ل التلوث من الابيض المتوسط أحد أقذر البحار في العالم.
دول العربية السبع الواقعة على شواطئه
عوة مثل غيرها الى كبح هذا الخطر وحماية البيئة البحرية.
خطة الكويتية تعتبر الاكثر تقدماً في هذا الشأن

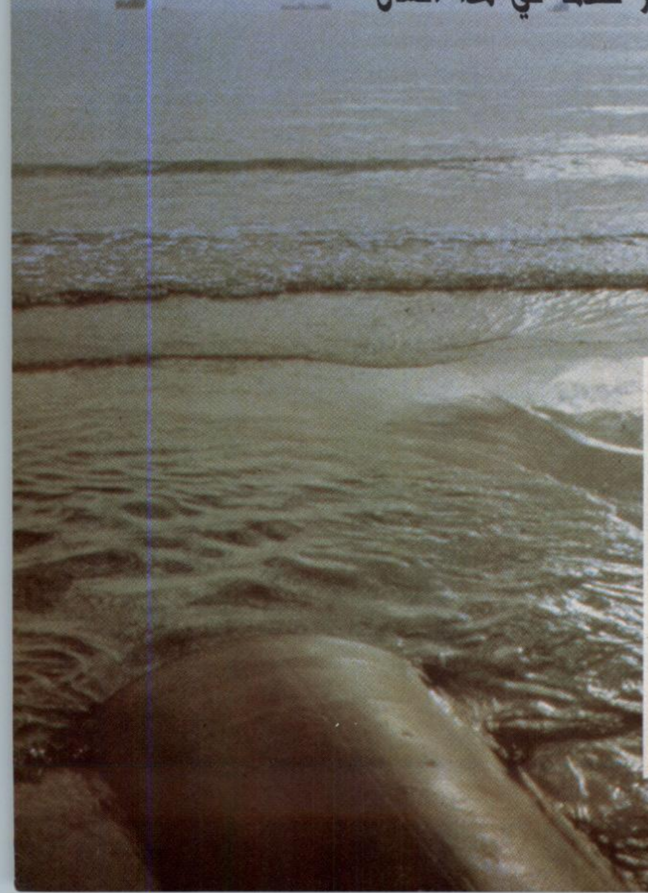

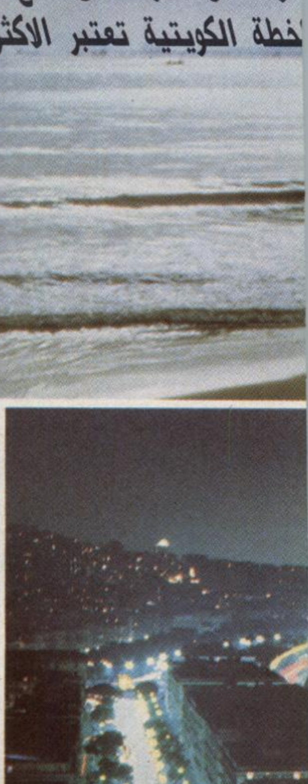

مليارات الاطنان من الاقذار تطرح سنوياً في البحر الابيض المتوسط.

التسعمئة والخمسين الذين يعيشون في البلدان المحاذية للمحيط الهندي لا يفيدون من شبكات المجاري.

الحكومة الاسوجية التي تنبهت للاخطار المتزايدة على البيئة دعت الى مؤتمر دولي عاجل هو الاول من نوعه للاهتمام بالتلوث على نحو شامل. وفي يونيو (حزيران) ١٩٧٢ اجتمع في استوكهولم عاصمة أسوج (السويد) ممثلون عن ١١٣ دولة. وبدا هذا اللقاء أشبه بأي اجتماع عاصف للامم المتحدة، لكنه توصل الى اجماع مدهش سرعان ما تحول عملاً.

مهمة شاقة – أول انجاز رئيسي نتج من لقاء استوكهولم كان انشاء برنامج الامم المتحدة للبيئة (UNEP) الذي تعاقد مع عالم بارز بالحياة البحرية هو اليوغوسلافي ستجيبان كيكس. هذا العالِم ساعد على تأسيس "مركز نشاطات برنامج المحيطات والمناطق الساحلية" وأصبح في ما بعد مديراً له. ومهمة كيكس تنظيف الشواطىء والمياه الساحلية في أكثر من مئة بلد وايجاد الطرق الكفيلة بوقايتها.

كان كيكس الرجل المثالي للقيام بهذه المهمة. وكعالم من دولة غير منحازة كان موضع ثقة الجميع. وهو خبير بالبحر الابيض المتوسط الذي أعطي الاولوية كأحد أكثر بحار الارض تلوثاً. كما انه ديبلوماسي لبق، وهذه صفة لا تثمن لمن عليه أن يتصل بالدول ويملقها ويقنعها بالعمل المشترك، خصوصاً أن بين بعضها عداوة دم.

ومع أن المتوسط يغطي أقل من واحد في المئة من المساحة البحرية في الارض فهو ملوث بعشرين في المئة من النفط العائم في العالم. وهو يكاد يكون منغلقاً، وليس فيه حركة مد وجزر تذكر. أما مياهه فتحتاج الى أكثر من ثمانين سنة لتتجدد عبر مضيق جبل طارق. وتعج شواطئه بالسكان المتزايدين الذين يفوق عددهم مئة مليون، يضاف اليهم مئة مليون زائر سنوياً هم ثلث سياح العالم. ويشحن عشرون في المئة من نفط العالم عبر المتوسط، وتقذف اليه مليارات الاطنان من الاقذار المنزلية سنوياً اما مباشرة واما عبر الانهار من مدن مثل برشلونة ومرسيليا وروما ونابولي وأثينا والقاهرة والاسكندرية وتونس والجزائر. وألوف الاطنان من المعادن والكيميائيات تنفث في الهواء أو تصب في المتوسط من المجمعات الصناعية الضخمة في فرنسا وايطاليا واسبانيا وسواها.

ان اقناع الدول الثماني عشرة(١) الواقعة على امتداد المتوسط بالمساهمة في رد الاعتبار الى بحرها مهمة شاقة. وقد قال بيتر تاتشر النائب السابق للمدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة للبيئة: "اذا تمكن البرنامج من النجاح في مثل هذه المنطقة الصعبة سياسياً، ففي وسعه ان يكون فاعلا في أي بحر."

ميراث مشترك - عام ١٩٧٥ دعا برنامج البيئة الدول المتوسطية الثماني عشرة الى اجتماع في برشلونة للبحث في خطة عمل لتنظيف البحر. وهنا تجلت صعوبة اقناع الدول بالاتفاق على ما يجب أن تفعله.

عرض كيكس المشاكل صراحة مركزاً على خطورتها الاقتصادية التي لا تقبل الشك. قال: "الشعوب المتوسطية تعيش على السياحة وصيد الاسماك وخدمات الشحن، فعليها اذاً أن تنقذ بحرها من التلوث. ولا مفر لها من ذلك. وكلما

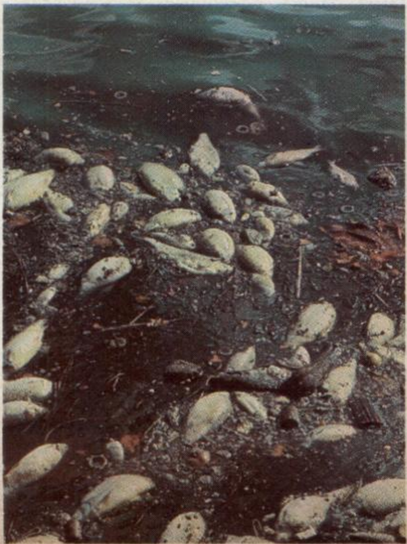

Alain Noques / Sygma

تباطأت في هذا المسعى ازدادت الكلفة."

ونجح العرض.

الاتفاق المتوسطي الاساسي تم تبنيه عام ١٩٧٦، ومنذ ذلك أبرمته ١٧ دولة اضافة الى المجموعة الاقتصادية الاوروبية. وهو يتحمل "مسؤولية حفظ الميراث المشترك الاقتصادي - الاجتماعي - الصحي - الثقافي لحوض البحر المتوسط ووقايته من خطر التلوث لمنفعة الاجيال الحاضرة والمقبلة."

البروتوكول الاول الملحق بالاتفاق والذي أبرمته هذه الدول يحظر رمي المواد المدرجة في "اللائحة السوداء"، كالزئبق، وينص على وجوب الحصول على ترخيص لرمي مواد معينة مدرجة في "اللائحة الرمادية" بما فيها الزرنيخ والفاناديوم والزنك.

اما البروتوكول الثاني الذي أبرمته الدول ذاتها والمتعلق بالتعاون لمكافحة تلوث المتوسط بالنفط فأسفر عن تأسيس "المركز الاقليمي لمكافحة التلوث بواسطة النفط" في جزيرة مانويل بمالطا. وهذا هو المرفق الاول في العالم لحماية بحر بكامله.

اما مبنى المركز الرمادي المؤلف من طبقتين فهو أقل انهماكاً من مبنى اطفائية وسط النار. لكن ذلك دليل خير، اذ ان السنوات التسع الاولى شهدت انذارات قليلة ولم تعرف اي كارثة.

---

(١) اسبانيا وفرنسا وايطاليا وموناكو ومالطا ويوغوسلافيا وألبانيا واليونان وتركيا وقبرص وسوريا ولبنان واسرائيل ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

لما كان صيد الاسماك صناعة متوسطية رئيسية، فان الجهود تبذل لمنع ظهور مشاهد كهذا الشاطىء الفرنسي.

والبروتوكول الثالث هو الاشد تصلباً اذ يعالج القسم الاكبر من التلوث (٨٥ في المئة) والآتي من اليابسة. وعلى الدول المشتركة في البروتوكول دفع نفقات تقدر بين ١٠ مليارات دولار و١٥ ملياراً خلال السنين العشر المقبلة. وتعهدت الدول السبع التي أبرمت هذا البروتوكول، وبينها الدول الاكثر تلويثاً، اضافة الى مجموعة الدول الاوروبية، وضع أجهزة مضادة للتلوث في مصانع قائمة حالياً وفي ما سيشيد من مصانع مستقبلية، كما تعهدت تطوير معامل النفايات القائمة وبناء معامل جديدة، ومد الانابيب لجر الاقذار الى المياه العميقة بعيداً عن الشاطىء. ومن المعلوم أن المعالجة الكيميائية للنفايات تقتل جراثيم المرض. وما تبقى يصبح قابلا للانحلال خلال أيام قليلة، أما في المياه العميقة فيتحول غذاء للنبات والاسماك.

أخطار خفية – ان كيكس، وقد أنجز كل هذا في وقت قصير نسبياً، برهن عن مقدرة فائقة على اقناع الدّ الاعداء بالتعاون الفاعل. ففي هذه الايام يتلاقى في المركز موظفون عراقيون وايرانيون كبار ويبحثون في شؤون البيئة بينما بلداهم في حال حرب.

العنصر الاساسي في مكافحة التلوث هو معرفة نوعه ومصدره وتأثيره. ومما يجدر ذكره انه عندما بدأت خطة البحر الابيض المتوسط لم يكن هناك سوى مختبرات قليلة مجهزة بشرياً ومادياً لجمع المعلومات. أما الآن فهناك ٩٠ مختبراً في ١٧ دولة، جميعها مرتبطة بشبكة عمل برنامج البيئة التي تزود مكافحي التلوث المعلومات الاساسية المدهشة او المريعة ليعملوا في ضوئها.

من ذلك أن ٢٠ في المئة من زيوت المتوسط التي لوثت شواطىء كثيرة، لا

تأتي من ناقلات النفط وانما من مصادر داخلية بما فيها السيارات. فزيوت ملايين المحركات التي تغير على الدوام تطرح في المجاري التي تصب في البحر.

وهناك اكتشافات اخرى. فنحو ٨٥ في المئة من نفايات المتوسط لا تعالج. وأخطر ما يتعرض له السابحون وآكلو الاصداف ليس الاقذار المرئية أو ذات الروائح الكريهة، وانما الجراثيم غير المرئية. لذلك نجد ان نحو ربع الشواطىء في ١٤ بلداً متوسطياً على الاقل غير آمن للسباحة. وكل الشواطىء التي تربى فيها الاصداف في الدول الأربع التي فحصتها هي ملوثة. ومما يلاحظ أن البحر الابيض المتوسط لم يعد أكثر تلوثاً من البحار الاخرى بالاشعاع الذري والمعادن السامة والكيميائيات (باستثناء بعض المناطق الساحلية الساخنة) ولا يزال دون مستوى الخطر.

مسابح نظيفة! - الدمار الذي أبرزه كوستو ناتج من التلوث "الميكانيكي" مثلما هو ناتج من السموم الصناعية. ففي السنوات الاخيرة شيدت على شاطىء فرنسا الجنوبي وعلى شاطىء اسبانيا ألوف الابنية السكنية والفنادق والمنتجعات، وصب الاسمنت ورفعت الدعائم مما غيَّر وجه الشاطىء وأتلف مواضع تكاثر الاسماك والنبات.

الدولة المثالية في مراقبة التلوث هي فرنسا، اذ لها وزارة خاصة بالبيئة وشبكة عمل من ٤٣ محطة ساحلية تراقب البحار ليل نهار، ومنها ١٥ محطة على شاطىء المتوسط. لكن النمو الصناعي في خليج "ايتان دو بير" الواقع على المتوسط والمحصورة مياهه الا من فتحة ضيقة تصب في البحر قرب مرسيليا، جعل هذه المنطقة من أكثر سواحل العالم تلوثاً. فمصافي النفط والمصانع البتروكيميائية تنفث سحباً من الغاز في الهواء وتقذف كيميائياتها الى البحر، حتى بات أكل ثمار البحر شبيهاً بلعبة الروليت الروسية(٢).

وعام ١٩٧١ بعدما قررت فرنسا زيادة مشاريع التنمية على خليج فوس المجاور كانت تعليمات السلطة العمل على خفض تلوث المياه في المنطقتين بنسبة ٩٠ في المئة وخفض تلوث الهواء الى مستوى مقبول، وذلك خلال خمس سنوات. فاضطرت المصانع القائمة هناك الى اتخاذ ترتيبات تقضي بتكرير المواد واعادة استعمالها وادخال أجهزة للتنقية. أما المصانع الجديدة فأجبرت على اعتماد أجهزة لمراقبة التلوث.

كلف تنظيف شاطىء فوس - ايتان دو بير مليار فرنك فرنسي (نحو ١٢٥ مليون دولار) ساهمت في دفعها المصانع والمنظمات الاقليمية. وهكذا خفضت مشكلة التلوث وحصرت ولم يعد المرء يحتاج الى السفر بعيداً عن المجمعات الصناعية الهائلة ليجد مسابح نظيفة.

برامج اقليمية - الى المتوسط، يعمل برنامج الامم المتحدة للبيئة في عشر مناطق بحرية هي: منطقة الكويت،

---

(٢) في لعبة الموت هذه توضع رصاصة واحدة في ماسورة المسدس، وتدار الماسورة. ثم يضغط اللاعب الزند فيكون حظه الموت او الحياة.

افريقيا الغربية والوسطى، البحر الكاريبي، بحار آسيا الشرقية، بحار آسيا الجنوبية، جنوب شرق المحيط الهادىء، جنوب المحيط الهادىء، البحر الاحمر وخليج عدن، افريقيا الشرقية، جنوب غرب المحيط الاطلسي. وقد وقعت ١٣٠ دولة مستقلة اتفاقات تبنت مجالسها الوطنية عدداً منها كقوانين محلية. وتهدف هذه الاتفاقات الى تنظيف ألوف الكيلومترات من المناطق الساحلية وحمايتها.

منطقة الكويت، ببرنامجها البحري الاقليمي الأكثر تقدماً بعد برنامج البحر الابيض المتوسط، أحرزت نجاحاً مهماً في وضع خطة لضبط التلوث الناتج من اليابسة في ثماني دول(٣). وتقضي أهم مواد الخطة بفرض قيود على طرح الكيميائيات الخطرة. وعقد حديثاً في المنطقة اجتماع موسع للعلماء بغية ايضاح دقة تخطيط الدماغ الالكتروني لقاع البحر الذي يتيح التكهن بحركة بقع النفط الطافية.

أما خطة البحر الكاريبي التي تشمل ٢٨ دولة، اضافة الى المجموعة الاوروبية، فلديها مشاريع رئيسية عدة قيد التنفيذ، ومنها تنظيم اعمال الطوارىء في حوادث اندلاق النفط وحماية الانظمة البيئية (ecosystems) الهشة (كمستنقعات شجر المنغروف والحيود البحرية المرجانية) والحفاظ على الاجناس المعرضة لخطر الانقراض (كالسلاحف البحرية) ودراسة تلوث المياه الساحلية ومراقبته.

أما دول منطقة افريقيا الغربية والوسطى الثلاث والعشرون فمنح بعضها بعضاً امتيازاً غير عادي: حق الاسطول الحربي في المطاردة "الساخنة" للبواخر الملوثة، بحيث تستطيع القطع البحرية لاحدى دول المنطقة مطاردة كل باخرة تسبب التلوث وتوقيفها في المياه الاقليمية لجارتها.

كثيراً ما ترمى الامم المتحدة بالعقم، ومع ذلك فعشرات الدول، في ظل برنامج الامم المتحدة للبيئة ومركز نشاطات برنامج المحيطات والمناطق الساحلية، تعالت على خلافات ونزاعات خطيرة لتجتمع بهدف حماية بيئتها المشتركة. لقد اعتبر برنامج البيئة أحد الانجازات التتويجية للامم المتحدة، واعتبر مركز النشاطات جوهرة مشرقة في التاج.

ولتر روس ■

(٣) البحرين والعراق وايران والكويت وقطر وعُمان والمملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة.

كتاب للشاطر

روى أستاذ في احدى الجامعات الامريكية حديثاً جرى بينه وبين أحد طلابه.

قال الاستاذ: "يا عزيزي انك تسقط في الامتحان للمرة الثالثة، وفرصتك الاخيرة للنجاح بعد ثلاثة أسابيع."

أجاب الطالب: "أعرف يا أستاذ. هل تعتقد أني تأخرت كثيراً في شراء الكتاب؟"

س.ب.

سقط المغامر جريحاً في الوادي المنعزل وبات مهدداً بالغرق مع أول زخة مطر

سَجينُ الـواديْ

عالياً على الجبل الاسكوتلندي وقف تون بيترز البالغ الثانية والثلاثين من العمر يستمتع بالجمال الطبيعي للمرتفعات الغربية. وبخطوات رياضيّ نفذ في خط مستقيم الى الجانب الوعر من باين نان ايغينان.

نظر الى ساعته. كانت الثالثة من يوم الجمعة الواقع فيه الثالث من اغسطس (آب) ١٩٨٤. وكان أستاذ الرياضيات الناحل الرشيق العازب من ألكمار في هولندا يهدف الى تسلق مرتفع باين نان ايغينان والقمة المجاورة بن ستاراف قبل أن يُخيّم للمبيت.

بعد عشر دقائق وجد تون طريقه مسدودة بوادٍ عمقه ١٢ متراً. ورأى شلّال ماء يهوي الى الوادي يغذّيه جدول ضحل يستطيع اجتيازه. وراح يرتقي الهضبة. صعد حافة الوادي الى حيث المجاز. وفجأة أحس الارض تميل تحت قدميه. وانهارت طبقة رقيقة من الخلنج والنبات المتعفن تحت ثقل وزنه وهوى.

كان تون ممدداً في المجرى في قعر الوادي مذهولا. وفيما هو يحاول التخلص من الحقيبة الثقيلة على ظهره كان صراخ ألمه يرتد صدى على الجدران الصخرية. وأدرك أن ساقه اليسرى التوت تحته. وللحظة تولّاه الذعر. يا اللّه! لن أخرج من هنا أبداً.

ثم زالت الدهشة وعاد اليه صفاء تفكيره. كان أقرب مكان جاف يستطيع الوصول اليه بلاطة صخرية ضيقة فوق مستوى الماء على الجانب الآخر من الوادي الذي يبلغ عرضه ستة أمتار. وبحرص زائد دفع تون جسمه الى الوراء معتمداً يديه وساقه السليمة ومحتملا عذاباً مؤلماً وساقه المكسورة تستقيم وتنسحب وراءه.

هكذا جر تون نفسه في اتجاه البلاطة ساحباً الحقيبة معه. كل حركة كانت عذاباً. واذ حدب جسمه المخدّش فوق نواتىء الصخر أحس احتكاك عظام فخذه المكسورة. ومضى نصف ساعة قبل أن يتمكن من الوصول. وبذل أقصى الجهد ليرفع قامته، التي يبلغ طولها ١٨٣ سنتيمتراً، من الجدول الى الصخرة ويجلس مسنداً ظهره الى جدار الوادي.

Illustration: Brian Sanders

كان بارداً ومبتلا في قميصه وسرواله القصير، فسحب من حقيبته سترة عازلة للماء والتف بخيمته وغطى ساقيه بكيس للنوم.

وبأعجوبة بقيت نظّارتاه سليمتين. وجثم تون فوق صخرته وراح يدرس الفخ الذي وقع فيه. الى يمينه كان الوادي مسدوداً بالشلال على بعد تسعة أمتار. والى يساره مسقط للجدول بعلو ١٢٠ سنتيمتراً، وكان يرى سلسلة شلالات أخرى قبل ان ينحرف الوادي الى زاوية.

زحف الشمس - عرف تون انه قد لا يُكتشف قط. ولانه كان مخيماً وحده في الغابة فلم يترك كلمة تنبىء بوجهته. اذاً لا سبب يدعو أي انسان الى التفتيش عن هولندي منعزل على علو ٤٥٠ متراً في الجبل وعلى بعد ٣٢ كيلومتراً من أقرب طريق. هنا تذكر أنه في وقت سابق من النهار رأى كوخاً للصيد في عمق الوادي، وهو المسكن الوحيد ضمن مسافة ١١ كيلومتراً.

كانت هذه فرصته الوحيدة، وعليه أن يتسلّق خارجاً ويصل الى الكوخ، فلعل أحداً يكون هناك. وأنعم النظر في الجدران العمودية للوادي، فرأى أن مماسك اليد المتوافرة هي رقع من نباتات شجرية وبعض شقوق في الصخر. إن التسلق ليصعب حتى بساقين سليمتين. لكنها مسألة حياة أو موت، وهذا المغامر المؤمن بالتفكير الايجابي رفض مجرد التفكير في الاحتمال الثاني.

ولفتته رفّة جناح في المستطيل الازرق فوقه في الجو. كان هذا صقراً يحلّق في الريح. فقال لنفسه: "شغّل فطرتك الصحيحة يا ولد! كيف يتصرف الحيوان في موقف كهذا؟ ربما رقد يلتمس الراحة ليحفظ قواه قبل محاولة الفرار." كان في كيسه طعام يكفيه خمسة أيام. وما دام لا يستخدم طاقته فلربما كفاه عشرة أيام.

راح تون ينقب في مؤنه. وصنفها بعناية منهجية: غلافات الحساء والرز، بسكويت، زبدة، حبوب وفواكه مجففة، حليب مجفف. وبلع قرصي أسبيرين غير آمل أنهما سينفعان. وفي احد الجيوب وجد أربعة أقراص من مسكنات الالم الفاعلة متروكة منذ سنوات اثر جراحة أجريت في أسنانه. وقاوم فكرة استعمالها آنذاك، فهو قد يحتاج اليها عندما يحين الوقت للتسلق والخروج.

في تلك اللحظة انصب اهتمامه كلياً على نيل الراحة. لكن الليلة الاولى كانت سيئة جدّاً، فهو لم يستطع التمدد على بلاطة يبلغ طولها ١٨٣ سنتيمتراً وعرضها ٩٠. وظل يرتجف مؤرّقاً من الالم في فخذه ومن دوي الماء الساقط.

تناول فطوره صباح السبت وكان قبضة من حبوب مجففة، وراح يراقب شريطاً من نور الشمس يزحف نزولا على الجدار المقابل من الوادي الى أن بلغه في منتصف النهار. ولمدة ساعتين نعم تون بدفء الحرارة، ومن ثم عاد الى الظل. كانت ثيابه نشفت وبدأ يحس بالارتياح.

الطوفان - كانت علامة الحياة الوحيدة في الوادي غمامة من الذباب الواخز. وبدأ تون يفقد الاحساس بالوقت. فساعة يده انكسرت عند السقوط وباتت لا تدور الا

بعد خضّات. ونام في النهار نوماً متقطعاً، وفي الغسق أشعل طباخ التخييم ليعدّ وجبة من الحساء والرز والشاي. وفيما هو يراقب النجوم وقد راحت ترصع السماء استعاد في ذهنه الرحلة التي أوصلته الى هذه المنطقة الجبلية النائية من اسكوتلندا.

انه من نوع الرجال الذين يقتنصون التحديات التي تفرض ثقلها عليهم. وهو شارك في اكثر من عشرين سباق ماراثون في بلاده. وأيامه الستة الاولى في بريطانيا دارت كلها حول سباقات طويلة ومشي فردي. وفي ١٩٨٤ خطط لرحلة خاصة: هضاب مونرو. فمتسلقو الجبال أطلقوا على القمم الاسكوتلندية الـ٢٧٧ التي تعلو أكثر من ٩٠٠ متر اسم "قمم مونرو" نسبة الى قاطع الجبال الفيكتوري السير هوغو مونرو. وهم يضعون نصب عيونهم تسلّق أكبر عدد ممكن منها. وكان تون ينوي ارتقاء ثمانين منها بين غلاسغو وفورت وليم في ستة أيام، وقد شطب ٢٥ منها على خريطته.

أطل فجر الاحد لطيفاً وناشفاً، وأحسّ تون بعودة قواه اليه. وبحذر شديد حاول تحريك ساقه المصابة، فوجد أنه قادر على ذلك من دون ألم شديد. وعادت اليه ثقته بنفسه: طقس جيّد، مؤونة كافية، ساق تتحسن. بعد يوم أو يومين سأكون في طريقي الى الدنيا.

عندما استفاق صباح الاثنين، وهو يومه الرابع في الوادي، كانت ساعته توقفت مجدداً. وغاظته غيوم دكناء انتشرت فوق الجبل. وقرابة الساعة العاشرة، في حسابه، بدأ المطر ينهمر. وانكمش تون في سترته وكيس نومه وجلس بائساً ساعة تلو ساعة تحت السيل المنهمر. وبعيد الظهر لاحظ أن الماء حول البلاطة يرتفع ببطء. وبعد قليل عامت الاواني التي وضعها الى جانبه. ولكن ليس هذا الا وادياً، ولا شيء يستدعي الخوف.

ووقعت الكارثة بسرعة لا تصدّق. فقبل ساعة من غروب الشمس أحس الماء يجري تحته ويملأ كيس النوم جاذباً قدميه فوق حافة البلاطة. وبرفسة من ساقه السليمة استطاع التملص. ورأى الكيس يبتعد طافياً والخيمة في اثره. وأمسك حقيبته بارتباك ليربطها لئلا تتناثر محتوياتها.

لكن وابلا مفاجئاً فوق الجبل أحال الجدول سيلا. وخلال ثوانٍ انجرفت الحقيبة بعيداً. وانجرف تون نفسه الى الشلال الصغير القريب منه ثم عبْر الوادي الى شلال آخر. وراح يفتش عن نتوء في الصخر يوقفه. وناضل بيأس للتشبث بممسك محاولا تغيير اتجاهه، لكن يده ظلت تنزلق على الصخر. وسقط مجدداً في الماء الذي أصبح عميقاً. وسرعان ما وجد نفسه غائصاً تحت السطح.

لحظة ذعر – قُذف تون بلا حيلة من شلال الى آخر مرتطماً بالصخور. وبعد مئة متر أوقفه جذع شجرة ممتد عبر الوادي. وكان تون شبه غريق، فتمسك بالجذع ورفع ساقه المكسورة بالساق السليمة وجرّ نفسه متثاقلا على الجذع الى نقطة جافة قرب جدار الوادي.

كان رأسه تكدم وتخدش وكانت ساقه المصابة ترتجف. وفتش في جيوب سترته

فعثر على أحد الاقراص المسكنة التي ادّخرها لمحاولة نجاته، فابتلعه. أمّا وقد ذهبت مؤنه والماء يواصل ارتفاعه، فعليه أن يبدأ محاولته الآن في نور النهار.

بدا الوادي هنا أقل عمقاً، ربما أربعة أمتار ونصف متر. لكن تون كان يعلم أنه يستحيل على المرء بساق واحدة أن يتوازن على الصخر المبلل الزلق ويواجه المستجدات. ولفتته نقطة يشكل الصخر عندها زاوية. وافترض أنه ربما استطاع حشر ظهره فيها والتسلق للخروج! وقد يوفّر له الاحتكاك تشبثاً أفضل. وتفاقمت مشكلته حين تبين له أن قدمه السليمة حافية. انه حافٍ منذ آذى عقب قدمه اليمنى عند سقوطه.

قرابة الثامنة ليلا تراجع تون الى الزاوية. ونشر ذراعيه كالنسر على الجدار وراح يتلمس بعقبه العاري مرتكزاً في الصخر. وقوّم ساقه غير المصابة ليدفع بجسمه بضعة سنتيمترات الى أعلى. ثم تلمّس متمسّكاً يرتكز عليه في محاولته الثانية. وعلى علو أمتار انزلق وسقط على جذع الشجرة. ونهض بعناد ليحاول من جديد.

كان التسلق بطيئاً جداً. فهو يتسلّق في الظلام، والعثور على متمسّك يستوجب دهراً من التلمّس. ولم يكن هناك مجال لاراحة الساق السليمة من الارهاق، فازداد خدرها. وعظم خوفه من أن تخور قواه فينهار.

ووصل الى أعلى وبات رأسه وأعلى جذعه فوق حافة الوادي. لكنه لم يجد ما يتمسك به ليرفع جسمه. فالعشب كان يقتلع من التربة المبتلة.

لاكثر من ساعة راح يحاول مرة بعد مرة. وفيما كل ثقل جسمه مرتكز على ابهام قدمه المدسوسة في الصخر، أحس كأنه ينزلق الى الوراء. وبذعر غرز ذقنه في النباتات العفنة وأسنانه ويديه في الخلنج. وفي النهاية شكّ مرفقيه ورفع جسده الى الحافة ثم انهار متلاشياً. وكان الليل انتصف. لقد اقتضاه تسلّق أربعة أمتار ونصف متر أربع ساعات.

ملحمة شجاعة – ألقى تون نظرة الى الوادي تحته فرأى بصيصاً من نور. وغمرته موجة كبرى من الارتياح. هناك أناس في كوخ الصيد. لكنه كان من التعب بحيث لم يستطع التحرك أكثر، فقرر أن ينتظر الصباح، واذا اقتضى الامر جرّ نفسه مسافة سبعمئة متر أو ثمانمئة عبر الارض الوعرة.

وجعل يرتجف من البرد وهو يعاني ألماً متواصلا من ساق تورمت الى ضعفي حجمها العادي. وجلس مستنداً الى صخر ضخم طوال الليل. فلما أشرق نور الثلثاء، وهو اليوم الخامس لسقوطه، جهدَ ليرى ما اذا كان هناك أيّ نشاط في الكوخ. وتراءت له حركة فطفق ينادي. ولكن ربما كانت الحركة من طير، أو ربما عيناه المتعبتان خدعتاه. وفجأةً تلاشى الشك. لقد رأى سيارة "لاندروفر" على الطريق الى الكوخ. وعندما توقفت نادى تون بأعلى صوته وأخذ يلوّح بسترته الحمراء.

ترجل تيم هيلي مطارد الايائل من سيارته ووقف منصتاً يحاول أن يستطلع مصدر الصوت البعيد مستعيناً بمنظار. ومشط المنحدرات فلمح رفرفة حمراء.

ومن الجبل رأى تون اشارة نارية تنطلق من الكوخ، وعرف أن أناساً لحظوا مكانه.

عندما وصل تيم هيلي ودليل الصيد أليستر لودر الى تون قرابة التاسعة وجداه في بهجة منهلة. كان كل همه أن يعرف هل سيمكنه أن يركض مرّة أخرى. وأطلقت اشارة أخرى لاستدعاء فريق انقاذ من الكوخ، ولكن تقرر أن اصابة تون لا تسمح بنقله. ولم يكن في الكوخ هاتف، فاضطر هيلي الى الاسراع في النزول من الجبل ليقود السيارة ١١ كيلومتراً الى منزله ويتصل بالشرطة.

وسرعان ما شوهدت طوافة من السرب ٨١٩ في قاعدة برستويك تحوّم فوق المكان، ولما كان المنحدر شديداً فقد تعذر الهبوط بالطوافة، فأنزل فريق طبي لتجبير فخذ تون المكسورة وحقنه مسكناً للالم قبل نقله الى المستشفى.

قال الدكتور سانرلاند ماكيكني الذي اعتاد حوادث الجبال وضحاياها انه لم يرَ من قبل أحداً بدا غير متأثر بمحنته كهذا الهولندي المرح: نبض منتظم ولون صافٍ ولا أثر للصدمة، والى ذلك فهو مرتبك لان هذا العدد من الناس تكلف عناء نجدته. وتعجب الطبيب كيف استطاع رجل بكل تلك الاصابات أن يتسلق جدار الوادي ويخرج منه. ثم قال: "انه صلب حقاً."

ولا أحد في ألكمار يعارض هذا الرأي. فلم يمر شهران حتى عاد تون بيترز يتجول في البلدة وقد جبرت كسوره وبقيت العصا في يده الشاهد الوحيد على أن العضلات لا تزال في طور النقاهة. وبدت نجاته لكثيرين ملحمة من الشجاعة وحب البقاء. لكن تون غير معنيّ بالبطولات. والآن وقد شفي تماماً وأتم ماراثون أمستردام القاسي في مايو (أيار) ١٩٨٥ فهو يخطط للعودة الى اسكوتلندا في اجازة اخرى الى الجبال التي أحب. وكلما تناول الحديث مغامرته أنهاه بابتسامة عريضة: "كل انسان يحتاج الى قليل من حظ."

بيتر براون ■

دماغه في رجليه!

كثير من المدربين الرياضيين في جامعة كورنيل بنيويورك يدرجون رياضة السلالم في التدريبات اليومية. وذات يوم وصل أحد الطلاب متأخراً فطلب منه المدرّب أن يعدو على السلم صعوداً وهبوطاً عشرين مرة. وتابع الطلاب تمارينهم الى أن لاحظ أحدهم أن رفيقهم استغرق وقتاً طويلا في تمرينه.

وصاح المدرب: "ما بالك يا مايك، أسرع!"

فأجاب مايك لاهثاً: "اني أعدو بكل ما أوتيت من قوة. لقد قطعت السلم عشرين مرة صعوداً، وأكاد أكمل العشرين هبوطاً."

س.ز.

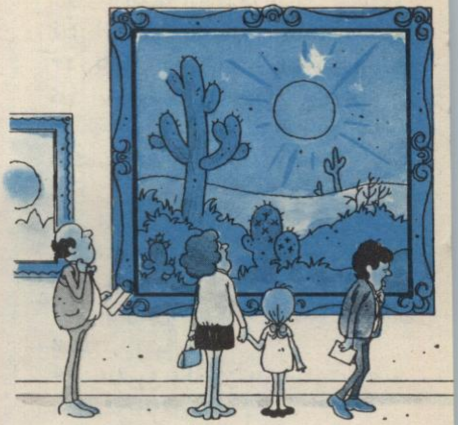

دَائرة المعَارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تنتهي كلها بألف ونون، لكنها ليست مثنيات. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. خوان: خيانة - أخ بالرضاعة - منامة - ما يوضع عليه الطعام.
٢. أرجوان: عشب بحري - صبغ أحمر طيب - زهر أصفر.
٣. إذعان: إنقياد - إرتحال القوافل - إصغاء - إكراه.
٤. عُقْرُبان: عنكبوت كبير - سم - ذكر العقارب - من الكواكب.
٥. أرونان: أخضر - شجي الصوت - طري - صعب.
٦. مرجان: صغار اللؤلؤ - أسد - سهل - ورد أحمر.
٧. وَسْنان: غافل - شديد النعاس - جائع - تائه.
٨. إدمان: شرب حتى الارتواء - عشق - إدامة - إنعام النظر.
٩. أتان: حمارة - رباط - موقد - أنثى الحصان.
١٠. لَبان: بياض ناصع - غمد السيف - جبل - صدر.
١١. هَتَلان: جنون - مطر دائم - غليان - هذيان.
١٢. إبّان: رثاء - ميدان المعركة - حين - ميزان.
١٣. إيوان: ملجأ - سجن - قصر - قديم الزمان.
١٤. رَزان: كتوم - جميلة - ممشوقة القوام - وقور.
١٥. هَيْمان: سائد - شديد الهيام - مرفرف - دائم الغلبة.
١٦. مِعْيان: كثير الاصابة بالعين - مريض - وجيه - مسعف.
١٧. فَيْنان: حَسَن الشعر - ظليل - فتان - طويل القامة.
١٨. مهرقان: مطرقة - تاجر - خادم - ساحل البحر.
١٩. أسوان: آسف - قاسي القلب - حزين - عادل.
٢٠. عنفوان: أوّل الشيء - شموخ - تسلّط - من الازهار.
٢١. هذربان: قزم - سريع الكلام - زهر الرمان - طائر غريد.
٢٢. ثُكْلان: عجز - فقد الولد - عبء - إعتماد.
٢٣. هَوان: دود الأرض - تشتت الفكر - سهولة - ذل.
٢٤. قُسْطان: خيمة - ثوب مقصب - قوس قزح - معلم.
٢٥. بهتان: ظلم - إفتراء - نسيان - إحتقار.

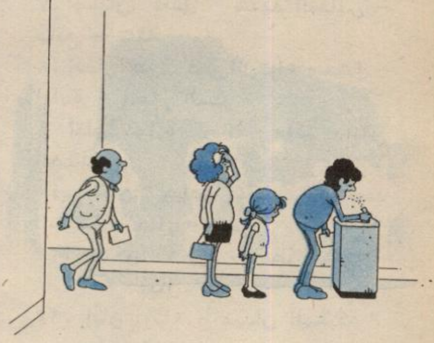

الأجوبة الصحيحة

١. **الخوان:** ما يوضع عليه الطعام ليؤكل. الخان: الحانوت ومحل نزول المسافرين.

٢. **الارجوان:** صبغ أحمر استخرجه الفينيقيون من صدفة الموركس.

٣. **أذعن له إذعاناً:** خضع وذل وانقاد. وبالحق: أقرّ.

٤. **العقرب:** دويبة سامة تلسع بذنبها، وكنيتها "أمّ عِرْيَط" و"أمّ ساهرة". ويقال للذكر عُقرُبان.

٥. **يوم أرْوَنان:** صعب أو حار.

٦. **المَرْجان:** صغار اللؤلؤ. أيضاً: عروق حمر تنمو في البحر. واحدته: مرجانة.

٧. **الوسِن والوسنان:** من اشتد نعاسه. ويقال للانثى وَسِنة ووَسْنى.

٨. **أدمن الشيء إدماناً:** أدامه. الدِمْنة: الحقد القديم الثابت.

٩. **الأتان:** الحمارة.

١٠. **اللَبان:** الصدر، خصوصاً صدر الفرس. اللُبان: الصنوبر.

١١. **هتلت السماء:** تتابع مطرها. الهَتَلان: المطر الضعيف الدائم. سحائب هُتّل: متتابعة المطر.

١٢. **الابّان:** الحين، وأوّل الشيء. يقال: كُل الفواكه في إبانها أي في حينها.

١٣. **الايوان:** القصر. أيضاً: المكان المتسع من البيت يحيط به ثلاثة حيطان.

١٤. **امرأة رَزان:** وقور، ولا يقال رزينة. قال الشاعر: "حَصان رِزان لا تُزَنُّ بريبة" أي عفيفة وقور لا تتهم.

١٥. **الهَيْمان:** العطشان. أيضاً: المحب الشديد الهيام.

١٦. **العَيون والعَيّان والمِعْيان:** الكثير الاصابة بالعين.

١٧. **الفَيْنان:** الحسن الشعر الطويله. الفَيْنة: الحين والساعة.

١٨. **هرق الماء وأهرقه:** صبه. المهرقان: البحر أو ساحله.

١٩. **الاسوان:** الحزين.

٢٠. **عُنفوان الشباب:** أوله.

٢١. **الهُذْرُبان:** الخفيف السريع في خدمته وكلامه.

٢٢. **وَكَل إليه الامر:** سلمه وفوضه إليه. اتكل وتوكل عليه: اعتمد عليه ووثق به. التُكلان: الاعتماد والتفويض.

٢٣. **الهَوان:** الذل والخزي، أيضاً: الضعف والسكون. وفي المثل: "إذا عز أخوك فهُنْ" أي اذا تعزز وتعظم فتذلل وتواضع واذا عاسرك فياسره.

٢٤. **القُسطان والقسطانة:** قوس قزح. القَسْطان: الغبار.

٢٥. **البهتان:** الكذب والافتراء.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٦ - ٢٠: جيد جداً

١١ - ١٥: مقبول

كتاب الشهر

إنكليزي في الصين

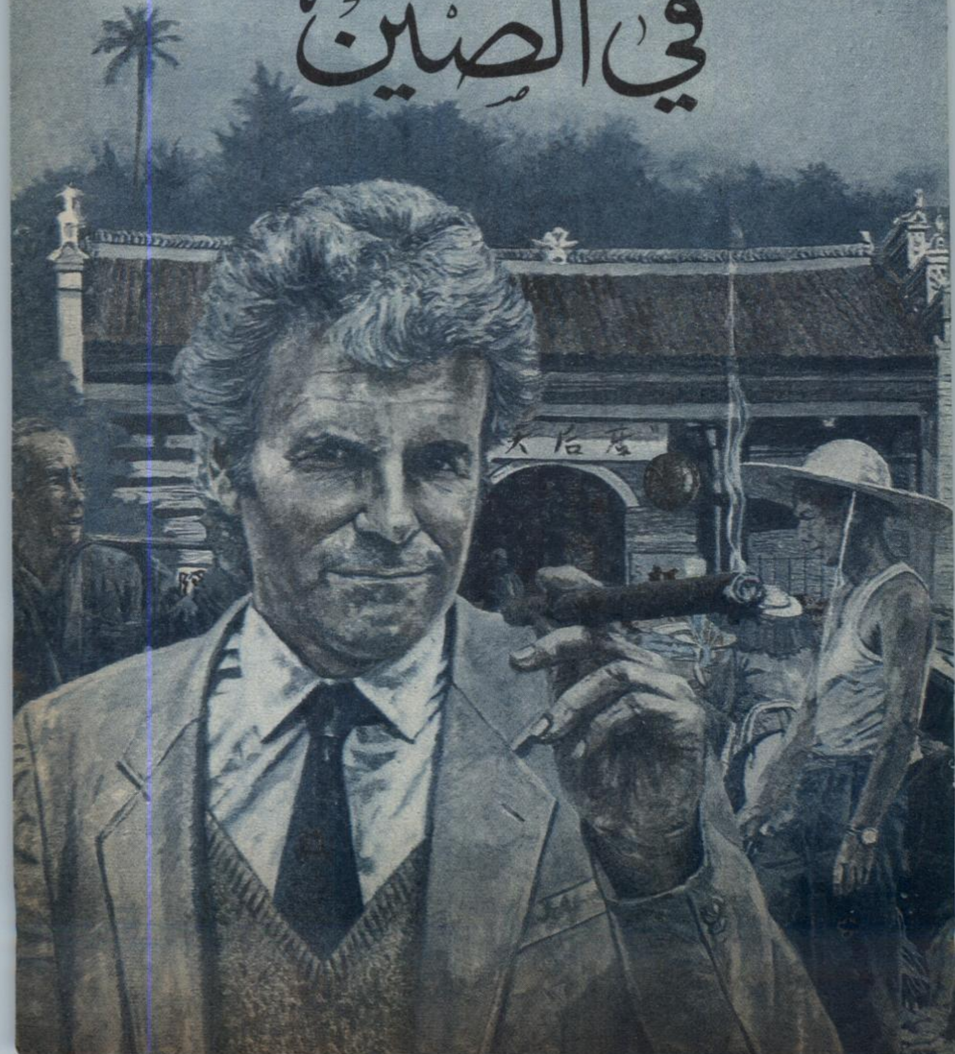

إنكليزي في الصين

ملخص من كتاب
بقلم أوستن كوتس

عام ١٩٤٤ ساقت الأقدار أوستن كوتس إلى آسيا لتأدية خدمته العسكرية إبان الحرب، فاتخذ هذه القارة مكاناً يعيش فيه ولم يبرحها إلا قبل زمن قريب. وبقي أوستن في هونغ كونغ سبع سنوات عيّن في أثنائها مساعداً لأمين سر المستعمرة وقاضياً أعلى ثم أصبح مسؤولا عن الشؤون الصينية وأمين سر لحاكم مقاطعة سراواك. ولا ريب في أن علاقة كوتس بالصين الازلية كما تتجلى في ريف هونغ كونغ هي قصة حب طويلة الأمد تجمع بين القبول والرفض والثقة والشك واللهو والغضب وتقرن الصلة الوثيقة بالاحترام المتبادل. واليكم هذه القصة

Condensed from «Myself a Mandarin,» © 1968 by Austin Coates
and published by Heinemann Publishers Asia Ltd., Hong Kong, Singapore and Kuala Lumpur

فُتح الباب ودخل السيد لوه، وهو موظف صيني ممتلىء الجسم طيب القلب يتسم بالوعي والحذر ويتولى الترجمة بيني وبين زائريَّ الذين لا يتكلمون الا الصينية. وكانت مضت عليه عشرون سنة وهو يعمل في مقاطعة هونغ كونغ الريفية حيث عُيّنت حديثاً محافظاً وقاضياً أعلى (١).

ولم يلبث لوه أن بادرني: "هل يسعك الاستماع إلى إحدى القضايا؟" فأجبته: "طبعاً يا سيد لوه." فأشار بالدخول إلى ثلاثة رجال وامرأتين من الفلاحين يلبسون جميعاً ثياباً سوداء. فجلس هؤلاء في مكان مقابل لي وقد أطبق عليهم صمت مقيت فقلت للسيد لوه: "حسناً، ما الخطب؟"

فأجاب الفلاح الذي يجلس في الوسط من دون أن ينظر إليّ، على غرار ما يفعل الفلاحون الصينيون عندما يواجهون أجنبياً غريباً: "القضية تتعلق بهذه البقرة التي تأكل العشب في قريتنا."

فسألته من خلال السيد لوه: "وما الضرر في ذلك؟"

فقال: "إنها لا تأكل العشب اينما اتفق، بل تدأب على أكله في قريتنا."

وأضاف الرجل الثاني الذي بدا واضحاً أنه كبير القوم في القرية: "إنها تمرّ من أمام بابي يومياً."

فسألته مستطلعاً: "هل تعني أنها بقرة من قرية أخرى؟"

فتنفس الفلاح الصعداء لكوني أدركت المسألة. ولم ألبث أن سألته: "من أي قرية تأتي هذه البقرة؟"

فأخبرني السيد لوه أنها تأتي من قرية بعيدة تفصل بينها وبين قرية اولئك الفلاحين مسافة كيلومتر تقريباً. فسألت الرجل: "ومن يأتي بها إلى قريتكم في الصباح؟"

- لا أحد.

وأخذت أمارات الغضب تظهر علي وعلى السيد لوه فقلت: "إذاً كيف تأتي هذه البقرة إلى هناك؟"

فردّد الرجل بصوت مرتبك: "إلى هناك؟"

قلت: "نعم. كيف تأتي من قريتها إلى قريتك؟"

- إنها لا تأتي.

فقال له السيد لوه بصوت أقرب الى الصراخ: "لكنك ذكرت قبل قليل أنها تأتي!"

- لا، ليس يومياً.

قلت: "أصغ إليّ جيداً. هناك احتمالان، الاول أن هذه البقرة تأتي من القرية الأخرى يومياً وتأكل عشبك والثاني أنها لا تأتي. فإذا كانت تأتي من القرية الأخرى فلا بدّ من أن يأتي بها شخص ما."

- لا، لا أحد يأتي بها.

ولم تلبث علامات الغضب أن ظهرت على القروي. فسألته: "من يحلب البقرة؟" وكرر السيد لوه سؤالي غاضباً قبل أن يثوب إلى رشده. واعترت الفلاحين الخمسة رعشة استياء لسؤالي الذي أتى في غير موضعه، فالبقر في الصين تقتنى لجر الاثقال وليس للحليب الذي تدره، ومعظم الصينيين لم يكونوا

District Officer and Special Magistrate (١)

يشربون حليب البقر. فسألته وقد بدا عليّ الذهول التام: "كيف ترجع البقرة إلى حظيرتها ليلا؟"

- إنها لا ترجع.

"حسناً. وأين تنام البقرة إذاً؟ هل تنام في الجبل؟"

- لا، بل تنام في قريتنا.

أسندت ظهري الى مقعدي وأخرجت سيجاراً وهمست للسيد لوه: "هل يليق بالقاضي أن يدخن وهو يصغي إلى الدعاوى؟"

فأجاب: "إن معظم الموظفين المسؤولين في المقاطعة يجدون في ذلك عوناً لهم يا سيدي."

قلت: "حسناً." وارتفع في الغرفة ضباب من الدخان الأزرق فتابعت: "والآن، من هو الذي يبدي تذمره من هذا كله؟"

فرد الرجل: "صاحب البقرة."

تشبثت بطاولتي وسألت: "ومن هو صاحب البقرة؟"

فأجاب الرجل بفظاظة: "هي،" وأشار الى المرأة الجالسة الى يمينه. فبادرتها: "لقد أحرزنا تقدماً، هل أنت صاحبة البقرة؟"

- نعم يا حضرة القاضي.

"هل أنت من القرية الأخرى؟"

- نعم يا حضرة القاضي.

"وهل تريدين أن تستعيدي بقرتك؟"

- نعم.

"كي تستخدميها في حقولك أنت؟"

- ليس لدي حقول يا حضرة القاضي.

"إذاً لماذا تريدين استرجاع بقرتك؟"

تجهم وجهها الصغير وقالت: "إنني أريد استرجاعها."

فاقترحت عليها الآتي: "أنت لا تملكين حقولا، فلماذا لا تسمحين لهذا الرجل باستخدام بقرتك على أن يدفع لك أجراً معيناً في المقابل؟"

فصاح الرجل بحدة: "لن أدفع لها شيئاً." وبدا من لهجته أنه يكتم أمراً ما.

وعنّت للقاضي الذي استعاد هدوءه فكرة بارعة: "يا سيد لوه، إن بين هذين الشخصين علاقة ما، فهل يمكنك معرفتها؟" وألقى المترجم سؤالا سريعاً أعقبه صمت مطبق ثم لم يلبث الرجل أن نطق كلمة واحدة. واتضح أن المتخاصمين زوجان. فقلت للزوجة: "آه! إنك تريدين العودة الى قريتك وتودين أن تأخذي بقرتك معك. أليس الأمر كذلك؟"

وتبين أن هذا هو الواقع وأن القضية هي قضية طلاق.

■ أعزل في هونغ كونغ ■

كان ذلك عام ١٩٥٢ وكنت في التاسعة والعشرين. وقبل ثلاث سنوات عُيّنت في لندن موظفاً مدنياً لدى حكومة هونغ كونغ، وأُبلغت في الوقت نفسه أنني سأحتاج إلى سيف في وظيفتي الجديدة فأزعجني هذا الأمر كثيراً. فقد شهدت الصين آنذاك انتصار جيوش ماو تسي تونغ الشيوعية على قوات تشانغ كاي شيك الوطنية. وكان هذا يعني أن هونغ كونغ ربما تعرضت للخطر خلال بضعة أشهر. وبدا واضحاً أن على الحكومة البريطانية أن تقدم إليّ وسيلة أدافع بها عن نفسي. ولكن ما جدوى السيف في مقام كهذا؟

ولم أكد أقرأ المزيد في المذكرة المطبوعة التي تلقيتها حتى عرفت أن لا

علاقة بين السيف والحرب الاهلية الصينية، فالسيف مجرد رمز ملائم للباس الانيق الابيض الذي تعلوه خوذة قوية من العهد الفيكتوري. وظهر لي لون من التشابك بين قرنين من الزمن. ففي حين احتدمت الحرب الاهلية الصينية في القرن العشرين بدت هونغ كونغ كأنها تعيش في العصر الفيكتوري.

في هذه الاثناء اكتشفت في مذكرتي المطبوعة مصدراً آخر للازعاج، اذ تعين عليّ الخضوع لامتحان في القانون قبل انتهاء السنوات التجريبية الثلاث في وظيفتي الجديدة وقبل تثبيتي في هذه الوظيفة. والحق أني لم أكن أفقه شيئاً في القانون وعرفت أن لا أمل لي في اجتياز الامتحان المطلوب. وعلى رغم ذلك أبحرت إلى هونغ كونغ وقد انتابني شعور بالصغارة والتفه ولم يكن في حوزتي أي سيف.

كان مشهد هونغ كونغ في العام ١٩٤٩ يبعث الدهشة في النفوس. فمدينة فيكتوريا الواقعة في جزيرة هونغ كونغ وشقيقتها مدينة كولون الواقعة في البر الصيني إلى جهة الميناء واجهتا اكتظاظاً سكانياً ضخماً. ففي العام ١٩٤٥ كان عدد سكان المستعمرة قبل الانتفاضة الشيوعية نحو ستمئة الف. وبعد تلك الانتفاضة تدفق عليها أكثر من مليون لاجىء. وفي نهاية العام ١٩٤٩ بلغ عدد سكانها مليوناً و٨٦٠ ألفاً. وازدادت المجمّعات السكنية والمتاجر والبيوت بسرعة مذهلة. وشيد كثير من هذه الابنية على نحو مخالف للقانون ولقواعد البناء هناك. وإلى ذلك بنيت عشرات ألوف الأكواخ المتداعية خارج المدن بسرعة مماثلة. وكان من المشاهد المألوفة آنذاك رؤية الجنود المشوهين القادمين من الصين وهم يعرجون في الشوارع أو يستجدون المارّة.

كانت الحال أقرب الى الكارثة. غير أن الأزمة بدت نعمة عليّ إذ لم يبق هناك مجال لحمل السيوف أو لاعتمار الخوذ. وفي حين أصدرت الي تعليمات بأن أجدّ في دراسة القانون في أوقات فراغي كنت أرى أمامي أكداساً من الملفات في أمانة سر المستعمرة توجب عليّ الاطلاع على محتواها.

"لي مان فو"

كتب لي أن أجلس إلى تلك الطاولة في أمانة السر مدة ثلاث سنوات. وفي هذه الأثناء تحولت كومة الملفات جداراً حجب عني الرؤية. ولم يبق لتثبيتي في وظيفتي الجديدة سوى وقت قليل.

ولم تلبث أن وقعت الواقعة فتلقيت أمراً بالذهاب الى مكتب النيابة العامة صباح الاثنين التالي لتقديم امتحان القانون. وكنت لا أزال أجهل مادة الامتحان جهلا تاماً، بل إني لم أكلف نفسي عناء النظر في كتب القانون التي وجبت عليّ دراستها. إلا أنه كان في هونغ كونغ قرار يسمح للموظف بالتغيب عن عمله لأسباب صحية مدة يومين من دون أن يقدم تقريراً طبياً. واتفق أني أصبت بنوبة عنيفة من التقلصات المعوية في اليوم المقرر لذهابي الى النيابة العامة. وحضرت يوم الأربعاء الى أمانة السر حيث اتصل أحد الموظفين بالنائب العام الذي

أسهب في الكلام معه. وبعد انتهاء المكالمة الهاتفية أخبرني الموظف أن الأمر يدعو الى الأسف الشديد. فهو لم يقصّر في الاعتذار عما حصل، غير أن النائب العام كان منهمكاً في العمل بحيث تعذر عليه أن يحدد لي موعداً آخر.

كان ما حدث مؤسفاً حقاً، إلا أنه لم يمكن تلافيه وبات تثبيتي أمراً واقعاً. وبعد ستة أشهر عينت محافظاً وقاضياً أعلى في المقاطعة الجنوبية من الأراضي الجديدة (٢).

والواقع أن شهرة مدينة هونغ كونغ تقوم على كونها ميناء بحيث ينسى المرء أن لها مقاطعة. غير أننا لا نكاد نبعد عن المدينة مسافة ساعة حتى نشاهد الريف الصيني أشبه بما كان قبل ألف سنة.

والمعلوم أن الصين تخلت لبريطانيا عام ١٨٤٢، والى اجل غير محدود، عن جزيرة هونغ كونغ وعن جزر صغيرة متاخمة لها، وفي العام ١٨٦٠ حصلت بريطانيا على شبه جزيرة كولون التي تبلغ مساحتها ٦،٧ كيلومترات مربعة وتتألف من تلال صخرية ناتئة من البرّ الصيني إلى ميناء هونغ كونغ. (زادت مساحة كولون منذ ذلك التاريخ من طريق طمر جزء من البحر. وبلغت ١٠،٥٦ كيلومترات مربعة فباتت مدينة متألقة من أكثر مناطق العالم السكنية كثافة.)

وفي العام ١٨٩٨ عقدت بريطانيا اتفاقاً يقضي باستثمار المنطقة الواقعة خلف كولون والتي تبلغ مساحتها ٧١٤ كيلومتراً مربعاً مدة ٩٩ سنة. وتضم هذه المنطقة أرضا جبلية وعرة مكسوّة بالأعشاب وأودية مثلّمة ونحو ٢٣٠ جزيرة بعضها صغير جداً وبعضها تبلغ مساحته ضعفي مساحة هونغ كونغ نفسها.

وقسمت هذه "الأراضي الجديدة" ثلاث مقاطعات، اثنتان منها برّيتان تقعان وراء الجبال التي تمكن مشاهدتها من ميناء هونغ كونغ. أما مقاطعتي الجنوبية فكانت تضمّ كل البر الذي يُرى من الميناء كما تضم الجزر التي يقع معظمها في جنوب هونغ كونغ وغربها.

وتبين لي أن أجزاء كثيرة من مقاطعتي أَخذت بأسباب التمدن. إلا أني عرفت ما ينتظرني في وظيفتي الجديدة منذ اليوم الأول لدخولي مكتبي في كولون. فعلى رغم موقعه في قلب المدينة فإنه تميز عن المكاتب الأخرى بعدد القرويين الذين يدخلون اليه أو يخرجون منه أو يحتشدون أمامه. وعلمت منذ لحظة عبوري باب ذلك المكتب أنني لن أكون منتمياً إلى المدينة، بل الى التلال والجزر التي لم يغيرها الزمان، حتى ان لقبي الجديد "لي مان فو" بدا أشبه بالألقاب التي عرفت في العهود الامبراطورية القديمة.

ولم ألبث أن دخلت المكتب بعدما ودّعت في ذهني العالم الحديث. وكان المكتب يقع في نهاية رواق طويل. وقبل أن يصل المرء إلى مكتبي الذي هو أعلى مكاتب الرواق شأناً، عليه المرور أولا بالحمام ثم بغرفة إعداد الشاي وبمكاتب المسؤولين عن التراخيص والمراسلة والشؤون المالية وشؤون الأراضي وبغرفتي السكرتيرات والمترجمين. ولم أكد أخطو إلى المكان حتى خفتت الأصوات واتزنت

(٢) New Territories Southern District

الحركات وارتفعت العيون مترقّبة. فبعدما كنت في أمانة السر مجرد رقم بتّ هنا شخصية بارزة قدّر لها أن تباشر عملها بمواجهة قضية طلاق بين زوجين ريفيين.

عظة على الطراز القديم

رحت أحدق إلى الفلاحين المتجهمي الوجوه الماثلين أمامي. وقررت أن الوقت حان كي يبدأ الموظفون العاملون معي باجهاد أنفسهم بدلا مني فقلت: "يا سيد لوه، أرجو أن تخرج هؤلاء القوم من هنا، وحين تنتهي من توضيح وقائع قضيتهم أرجعهم إليّ."

وبدأت معالم القضية تتضح. فالمرأة الصامتة في الجماعة كانت الزوجة الثانية. أما الزوجة الأولى فأبدت تذمرها من إهمال زوجها اياها وأظهرت رغبتها في الطلاق منه والعودة ببقرتها إلى قريتها الأصلية. وبدا لي أن من واجب القاضي الحؤول دون الطلاق. ولكن كيف يتيسر ذلك؟

عمدت الى سؤال الزوجة الاولى: "هل أنت الزوجة ذات الحظوة عند زوجك؟" والمعروف أن "الزوجة ذات الحظوة" تتقدم على أي زوجة أخرى قد يتخذها زوجها بعدها.

أجابت: "نعم." قلت: "يا سيد لوه، هل يحق للزوج أن يطلّق الزوجة ذات الحظوة؟

فأجاب: "لقد بات ذلك مقبولا في أيامنا."

وتبين لي أن محاولتي الاولى أخفقت فسألتها: "هل لديك أولاد؟"

- لديّ بنتان.

والمعلوم في القانون والتقليد الصينيين أن الصبيان يبقون مع الأب عند حصول الطلاق فيما تبقى البنات مع الأم. فسألتها: "كيف يمكنك أن تؤمّني لهما القوت؟"

- سأبذل جهدي.

"لماذا لا تفكرين في الأمر أسبوعاً ثم تعودين الي. فأنا لا أريد أن أجدك هنا بعد شهر تطلبين مالا من الانعاش الاجتماعي تستعينين به على تربية طفلتيك، لأن الحكومة ستنتحي باللوم عليّ أنا."

أخذت الزوجة تنظر الى عينيّ وتتأملني للمرة الاولى، إذ لم يكن خطر لها قطّ أنها يمكن أن تسبّب لي المشاكل.

وبعد أسبوع رجع الزوجان. ورأى الموظفون أنني احتاج الى مساعدة. ولم يفت السيد لوه في هذا المقام أن يزوّدني بعض المعلومات اذ أخبرني أن للزوجة الثانية طفلا ذكراً. فأسندت ظهري الى الكرسي وقد سُرِّي عني. وهكذا ظهرت الحقيقة جلية. فالزوجة الثانية رزقت الصبي الذي يحفظ نسل العائلة. وعجبت كيف فاتني أن أسأل عن هذا الأمر. بل فكرت في ان الزوجة الاولى ربما كان لها عشيق، إذ حجبت عني تلك البقرة الرؤية الواضحة. ولم ألبث أن قلت للسيد لوه: "أطلب من الزوجة الاولى أن تدخل وحدها."

وتوضحت لي المسألة. فتلك المرأة أحسّت أنها فقدت اعتبارها بعد ولادة ابن الزوجة الثانية. وآليت على نفسي أن أقنعها بالبقاء مع زوجها. غير أنها كانت تزداد حدة كلما أبديت مزيداً من اللين والتفهم. وكلما اقترحت عليها أمراً كانت

تشرط على زوجها شرطاً جديداً في مقابل رضاها بالبقاء معه. ومما زاد الحال سوءاً أني تسببت في إزعاج السيد لوه الذي أخذ غضبه في الازدياد. فصرخت بالمرأة وقد استشطت غضباً: "لم يعد في وسعي أن أتحمل المزيد من هذا الهراء! فلا مناص لك من البقاء مع زوجك أيتها اللعينة!"

وهدأت من فورها ولم تنبس ببنت شفة. فأحسست تأنيباً في ضميري وقلت لها: "لا تجزعي، قد يرزقك الله صبياً في المرة المقبلة."

وارتسمت على وجهها ابتسامة وهممت كأنها تقول إن هذا ليس بالأمر المستحيل. ولم يعد في وسع القاضي الأعلى أن يفعل المزيد.

قلت: "ما الذي علينا أن نفعله يا سيد لوه؟"

– قد يحسن أن توبخهما يا سيدي.

"وهل ألقي عليهما عظة من الطراز القديم؟"

– أظن أن هذا يفي بالغرض.

فأمرت بادخال الزوجين مكتبي وألقيت عليهما العظة. والحق أني لم أتكيف البتة مع هذه الطريقة الصينية في تسوية الأمور، اذ ألفيت مواعظي تلك سطحية ومحرجة. على أني علمت في ما بعد أن كثيرين من الذين يحضرهم شيوخ القرى إليّ إنما يأتون لهدف واضح هو الاصغاء إلى ما ينبغي عمله. وبعد ذلك يسود الوئام لأن كلام القاضي هو القانون. وكل كلمة يتفوه بها القاضي هي القانون في هذا العالم الصيني القديم الذي لا تزال تخيم عليه ظلال السلالات المنقرضة.

لذلك أحجمت عن الحكم بطلاق الزوجين وقلت للزوج إن اتخاذه زوجة ثانية كان ضرباً من الحمق. فقد كان ممكناً أن ينجب صبياً من زوجته الاولى، إلا أنه كان عجولا. وعليه الآن أن يتحمل تقريع الزوجتين معاً وأن يعدل بينهما.

وقلت للزوجة الاولى إن عليها أن تطيع زوجها دائماً وإنها أحسنت صنيعاً بعرض قضيتها عليّ وإنها ينبغي أن تأتي إليّ إذا ألمّت بها المحنة ثانية. ولم يكن هناك الكثير مما يحملها على التذمر. فهي الزوجة ذات الحظوة، وعلى الصبي الذي أنجبته الزوجة الثانية أن يناديها "يا أمي." والى ذلك فليس هناك ما يدعوها الى القلق إذ إن لها بقرتها الخاصة وهي زوجة فلاح نشط ذي مكانة حسنة في القرية.

وقلت للزوجة الثانية إنني سررت لكونها أنجبت صبياً. فهي امرأة محظوظة تزوجت رجلا طيباً. وبما أنها هي الزوجة الثانية فعليها أن تطيع الزوجة الاولى. وأضفت أن سلوكها في المحكمة جعلني واثقاً بأن هذا أمر يروقها. وأنهيت كلامي قائلا: "أرجو أن يرزقكما الله مزيداً من الذكور."

■ أمر قضائي ■

من القوانين المتبعة في محكمة المقاطعة أن للمتقاضين حق الاختيار بين القوانين البريطانية والاعراف والعادات الصينية. ووجدت منذ البداية أن التقيد الصارم بالاعراف والعادات الصينية له ميزات ظاهرة. ومن الصعب أن نتخيل شخصاً يعمل في الشؤون القانونية من

دون أن يكون على معرفة واسعة بالقوانين البريطانية، باستثناء هذا القاضي الأعلى العجيب. ولئن يكن كُتب الكثير في القوانين البريطانية، فإن ما كتب في الاعراف والعادات الصينية لا يعدو كتباً قليلة.

وعلى رغم ذلك تمكنت من الحصول على بعض ما كتب في هذا الموضوع. ولم يمض وقت طويل حتى ترسخت خبرتي في هذا المجال وصار من عادتي أن أسرع الى مخاطبة السيد لوه كلما بدأت في معالجة قضية ما فأقول: "أظنك تؤثر أن نحكم في هذه القضية وفاقاً للاعراف والعادات الصينية، أليس كذلك؟"

وتمكنت مدة سنتين من تحاشي اللجوء الى القوانين البريطانية في جميع القضايا التي حكمت فيها. وكلما طلب أحد المدّعين أن يُحكم في قضيته وفاقاً لتلك القوانين ظناً منه أن ذلك يؤمن مصلحته، كان يكفي أن يصدر عن القاضي الأعلى تلميح بسيط كي يصر المدّعى عليه على الاحتكام إلى الاعراف والعادات الصينية. ولما كان من حق القاضي الأعلى وحده الاختيار بين الأمرين، فلم يكن ريب في أنه سيأخذ برأي المدعى عليه. وأثبتت هذه الوسيلة جدواها فترة تزيد على سنتين.

غير أني تلقيت في أثناء سنتي الثالثة في القضاء مكالمة هاتفية من محام أوروبي بارز. واتفق أن كانت بيني وبينه صداقة شخصية، فبادرني: "إن لديكم دعوى تتعلق برجل يدعى لو."

فأجبته من دون اكتراث: "هل لدينا مثل هذه الدعوى حقاً؟"

– وهو يبدي احتجاجه لأنكم أبقيتم دعواه معلقة أكثر من خمسة أشهر.

"أحقاً ما تقول؟ ما فحوى هذه الدعوى؟"

– أنه يحاول أن يطرد من أحد حقوله رجلا يزرع الارض من دون حق قانوني.

"آه، أنا على علم بتلك الدعوى. لكن مثل هذه الدعاوى مضيعة للوقت."

وبدا واضحاً أن كلامي أزعجه كثيراً فقال بتهذيب متكلف: "أعذرني، إلا أنه ليس من شأنك القول إن قضية ما هي مضيعة للوقت."

فوافقته: "هذا صحيح، لكن هذه القضية هي حقاً كذلك."

والواقع أني تعمدت تأجيل النظر في هذه الدعوى التي عرفت لها من قبل دعاوى مشابهة. فعندما غزا اليابانيون هونغ كونغ عام ١٩٤١ انتقلت عائلة لو، كسواها من العائلات الصينية الموسرة، إلى قرية الأجداد في الصين ولزمت السكون. وقبل أن تغادر هونغ كونغ التمس أحد الخدم، وهو شاب في نحو الثانية والعشرين، أن يُسمح له بالبقاء في هونغ كونغ ويزرع حقلين كبيرين تملكهما العائلة في منحدرات قمة كولون، فيكون بذلك ساعد العائلة وانتفع في آن.

وحين رجعت العائلة الى هونغ كونغ وجدت أن الرجل لم يعد خادماً بسيطاً، بل أصبح مزارعاً يعتمد على نفسه ويملك أفكاراً خاصة به. ولم يكن بالشخص الذي تود العائلة استخدامه، فتخلصت منه السيدة لو بقولها إن في إمكانه المضي في زراعة الحقلين.

ولم تلبث أسعار الأراضي وقيمة

تأجيرها أن ارتفعت باطراد. وتلقى السيد لو عرضاً حسناً لتأجير الحقلين لشركة كانت استأجرت مساحة كبيرة من الأرض المحيطة بأرضه. غير أن المزارع رفض إخلاء الحقلين، ولم يكن بينه وبين العائلة أي اتفاق مكتوب. لذلك قلت إن القضية هي مضيعة للوقت. ففي المحكمة لن يتمكن أي من الفريقين من إثبات ادعائه. فإذا أرادت عائلة لو أن يخلي خادمها السابق الأرض فعليها أن تؤمن له في المقابل عملا حراً بسيطاً أو أن تقدم إليه هدية مماثلة. بيد أنها رفعت عليه هذه الدعوى كي تضيع وقتنا في المكتب.

على أن صديقي المحامي لم يكن ليتركني أتملص من هذه القضية فقال بهدوء: "ولكن إذا لم تحدّد موعداً الآن فسأطلب من المحكمة العليا أن تصدر اليك أمراً قضائياً."

سألته متعجباً: "وماذا يعني ذلك؟"

فسعل وقال: "أنه يعني أنّ في وسعنا أن نطلب منك سماع الدعوى."

قلت: "إنه لأمر رهيب. حسناً، أظن أن عليّ الاستماع اليها. لكن موكلك يرتكب خطأ كبيراً. فلا نفع في أن يأتي أهل المدن هؤلاء إلى هنا ويصرّوا مثله على أن نحكم في دعاواهم على أساس القوانين البريطانية لأنها غير مجدية في خلاف من هذا النوع..."

فردّ صديقي: "إعلم يا أوستن أنه إذا طلب المدّعي أن تنظر في شكواه وفاقاً القوانين البريطانية فعليك أن تنظر فيها وفاقاً للاعراف البريطانية!"

وبدا لي أن الوقت حان كي أكيل له الصاع صاعين فقلت: "حسناً، ولكن ما العمل إذا رفض المزارع أن ينحو هذا النحو؟"

أجاب: "أنا أعلم أنه سيوافق."

أحسست ألماً شديداً في معدتي وقلت لاهثاً: "آه!" ثم أنهيت المكالمة.

وخاطبت السيد لوه: "حاول أن تقنع المزارع بأنه يرتكب خطأ كبيراً برفضه الاحتكام إلى الاعراف والعادات الصينية، مع علمي أن محاولتك هذه لا تراعي المعايير الاخلاقية تماماً."

العدالة البريطانية

الحق أن السيد لوه كان يعرف ضيق اطلاعي على القانون. وهو يشاركني في الرأي أن تطبيق الاعراف الصينية أكثر عدلا من تطبيق القوانين البريطانية في ما يتعلق بقضايا الصينيين. لذلك بذل جهداً كبيراً كي يجعل المزارع يغيّر موقفه، لكنه مُني بالخيبة.

وهكذا لم يعد في وسعي تحاشي اللحظة التي أواجه فيها فريقين متخاصمين يطلبان الاحتكام الى القوانين البريطانية. وبدا لي الأمر مروّعاً حقاً.

في اليوم المحدد نظف زجاج طاولتي ووضع ورق نشاف جديد عليها وأمنت حزمة من الورق، إذ كان ينبغي تدوين كل ما يقال في الجلسة. والمعلوم أن المحاكمة على أساس القانون البريطاني تقضي بالطلب من المتخاصمين أو الشهود أن يقسموا بأنهم سيقولون الحقيقة. ولم يكن هذا الأمر سارياً في المحاكم الصينية حيث يُتوقع أن يعمد الجميع الى الكذب وأن يمحّص القاضي أكاذيبهم كي يتمكن من اتخاذ القرار الصحيح. ولا ريب في أنه

كان يُستحسن في هذه الدعوى النموذجية أن يباح الكذب على الطريقة الصينية.

ولم يلبث الخصمان أن دخلا الغرفة وبدأ السيد لو كلامه بعدما أقسم أنه سيقول الحقيقة. ولمّا كان عليّ أن أدوّن أقواله جميعاً فقد فعلت ذلك ببطء شديد فيما اشمئزازي آخذ في الازدياد. والواقع أن السيد لو الذي كان يرتدي بذلة أوروبية أنيقة، بدا لي شخصاً متّزناً. وربما كان إصراره على الاحتكام الى القانون البريطاني يعود إلى احترامه العدالة البريطانية وظنه أن سلوكه هذا السبيل هو السلوك الصحيح. وعلى رغم اقتناعي بأن قراره لم يكن سليماً فإن الأمر القضائي المسلط على رأسي جعلني عاجزاً عن أي حركة.

أما المزارع فكان رجلا قاسياً، صلباً ذا جبهة منخفضة وعينين حسوبتين. وظهر جلياً من دخلته المتعالية أنه لم يكن على استعداد لأن يتزحزح عن موقفه قيد أنملة.

وكان في حيازة المزارع رخصة قانونية تبيح له زرع الحقلين، إلّا أنه يمكن إلغاؤها متى شاء صاحب الارض ذلك. غير أن العرف الصيني لا يسمح لصاحب الحقل بأن يطلب إخلاءه قبل نضج الزرع الذي فيه. وزعم المزارع أن الحقلين كانا مزروعين كرنباً صينياً لم ينمُ بعد. فسألت السيد لو هل لديه تعليق على هذا الكلام، فذكّرني بأنه أرسل إلى المدعى عليه مذكرة خطية قبل ستة أشهر. وعندما رفض المزارع تسلمها رفع عليه السيد لو هذه الدعوى.

ولم يكن السيد لو يحتاج الى مزيد من الكلام لأن نمو الكرنب لا يستغرق تلك المدة كلها. وبات واضحاً أن المزارع باع محصولا وزرع آخر بعد تلقيه المذكرة باخلاء الأرض. وأضاف السيد لو أن المزارع بنى إلى جنب كوخه حظيرة للبقر وجعل فيها ثماني بقرات. فسألت المزارع: "ثماني بقرات؟ هل تعني أنك اشتريت بقرة وضعَتْ سبع بقرات؟"

فأجاب متجهماً: "لا."

وتبين أنه اشترى البقرات الثماني. فقلت له: "لقد دفعت فيها ثمناً باهظاً، أليس كذلك؟"

أثاره كلامي وارتكب الخطأ الذي أحبط قضيته إذ قال: "ليس في وسعهم طردي من الأرض اذ مضت علي عشر سنين وأنا أدفع أجرتها."

فأسرعت الى سؤاله: "تدفع أجرتها؟ هل لديك إيصالات؟"

- لا، لقد رميتها كلها.

"ومتى دفعت الايجار الاخير؟"

- قبل ستة أشهر.

وبدا واضحاً أنه يكذب فقلت له: "هل أنت واثق بأنك كنت تدفع أجرة الأرض؟" فأجاب أنْ نعم. فقلت: "وقد مضى عليك ستة أشهر من دون أن تدفع الأجرة؟"

- هذا صحيح.

"وتوقفك عن الدفع يعني أنك وافقت على مذكرة المدعي بوجوب ترك الأرض، ولذلك ينبغي أن تتركها."

وأمرته بمغادرة الحقلين خلال عشرة أيام وأنذرته بمصادرة كوخه وبقراته وممتلكاته الأخرى إذا هو لم يفعل.

بعد خمس دقائق دخل مساعدي المختص بالأراضي، وهو شاب برتغالي

مرح مولع باستشفاف الأخبار، وقال لي بلطف: "تناهى إليّ أن ذلك المزارع الذي كان عندك يتمتع بدعم جماعة نافذة."

فهممت: "حسناً." وفجأة اتضحت لي الأمور الغريبة التي لحظتها في أثناء المحاكمة. فالمزارع لم يكن ليستطيع شراء البقرات بماله الخاص. وعرفت أن القسوة التي ارتسمت على ملامحه كانت متعمدة وأن كذبه في ما يتعلق بأجرة الأرض كان مقصوداً. فقد أراد النافذون أن يكون حكمي في الدعوى على النحو الذي حصل. ولذلك طلبوا من المزارع الاصرار على الاحتكام الى القانون البريطاني. وتبين أن كل ما جرى كان مقصودا وأنه يهدف إلى التسبب في نشوء حدث ما.

■ عملية السيجار ■

في اليوم التالي أبرزت صحيفتان مهمتان في هونغ كونغ قصة المحاكمة ووصفتا بؤس الفلاح الذي يحرث الارض ويتعرض لاضطهاد المالك الثري.

ومضت عشرة أيام من دون أن يتحرك المزارع من الأرض. فتعين عليّ أن أطلب من مأمور التنفيذ إزاحة ممتلكاته، وحددنا لذلك وقتاً معيناً. وأخبرني السيد لوه أن عدداً كبيراً من المزارعين قد يقاومون مساعدي المأمور، فأجريت اتصالا هاتفياً بالشرطة. ولم نكن نتصل بالشرطة الا في ما ندر، لأن لجوءنا إلى الأعراف الصينية قلّما أحوجنا اليها. فلما كالمت مدير الشرطة الذي كان يجيد اللغة الصينية ويملك حسّاً سياسياً ممتازاً أتى إليّ بنفسه وسألني: "كم تتوقع أن يبلغ عدد المزارعين؟"

فأجبته: "قيل لي إنه يبلغ نحو ثمانين، ولكن قد تكون في هذا الكلام مبالغة."

قال: "لست أرى رأيك. فهل نظرت ملياً في الصحف الصينية؟"

والواقع أن الصحف راحت تنشر يومياً مقالات جديدة حول الاقطاع، وقد رأى مدير الشرطة في هذه المقالات تلميحاً إلى قضيتنا التي تحمل في أضعافها بذور حادث بشع. وليس أدلّ على ذلك من توقع قيام حشد من المأمورين الاوروبيين بانتزاع الكرنب الصيني وسط جمع من المزارعين الثائرين ورجال الشرطة. ولا ريب في أن أخبار الحادث ستصل الى الصحافة وإلى راديو بكين بعيد وقوعه.

على أن الموظف المسؤول عن منح الرخص أجاز لنفسه أن يأتيني ببعض معلومات رأى أنها يمكن أن تستأثر باهتمامي. والواقع أنه كان مصيباً في ظنه، إلا أني لم أفشِ شيئاً من هذه المعلومات الى مدير الشرطة وقلت له: "أظن أنه لا تزال لدي فرصة لتسوية هذه القضية على نحو مرضٍ. ولكن إذا تعذر عليّ ذلك فسنحتاج إلى مساعدة الشرطة على نحو سريع. فهل من الممكن أن يختبىء رجالك في مكان قريب من الحقلين كي لا نعطي انطباعاً أننا نتوقع حصول مشاكل؟"

- هذا سهل جداً. وسنُعدّ أربعمئة شرطي كي يكونوا في إمرتك.

"حسناً. أطلب من الضابط المسؤول أن يراقبني بانتباه. فإذا أخفقت خطتي واضطررنا إلى الاستعانة بالشرطة فإني سأشعل سيجاراً."

ثم أرسلت في طلب السيد لوه وقلت

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985

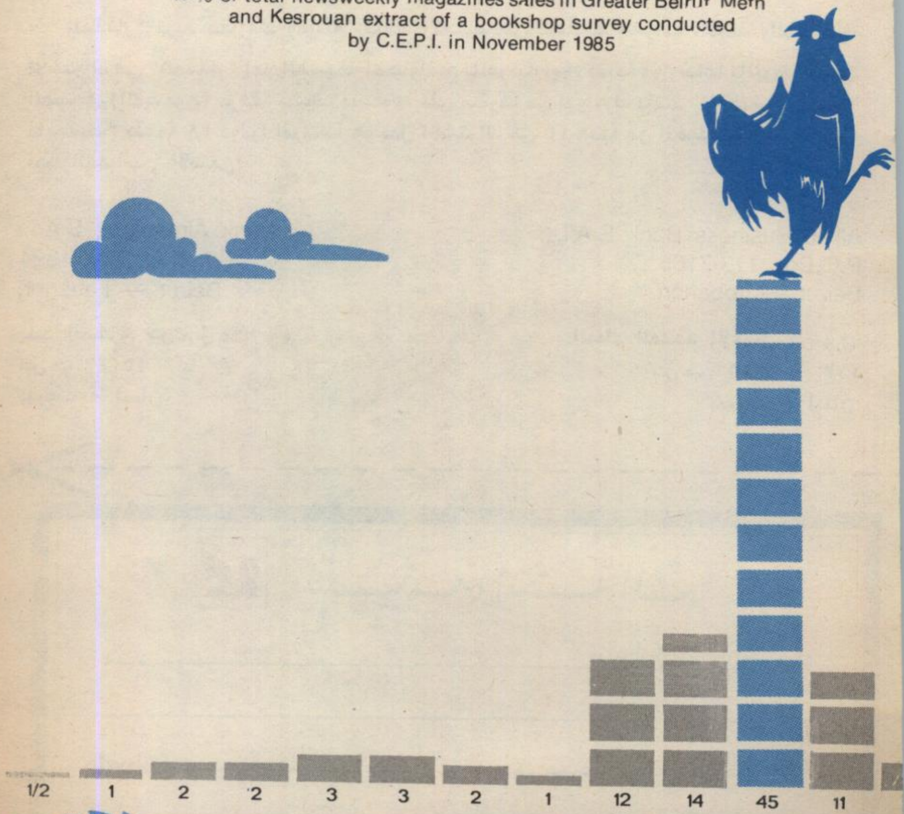

النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative **TAMA**

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.

قسيمة اشتراك

الاسم ______ Name

______

العنوان ______ Address

______

المهنة ______ Profession

التاريخ ______ Date

التوقيع ______ Signature

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

له: "أرجو أن تتصل بالسيد لو وتقول له أن يوافيني إلى الموضع المحدد عندما يأتي المأمورون. فهو الذي تسبب في جميع هذه المشاكل وأنا أريده أن يشهد النتائج. وأخبره أنه إذا لم يأتِ فسيقبض عليه ويؤتى به قسراً."

وكم كان أسفي شديداً لاضطراري إلى لزوم مكتبي في اليوم المحدد لمعالجة شؤون طارئة، فبعثت في طلب هنري، الموظف البرتغالي المختص بالأراضي. وكان هنري يحب المغامرة. وعندما حضر قلت له: "عليك أن تقوم مقامي في قضية المزارع. فهل معك سيجار؟"

أجاب وهو يتكلف الابتسام: "إني لا أدخن يا سيدي."

قلت: "قد تضطر الى ذلك بعد ظهر اليوم. خذ سيجاراً مما لديّ وأصغ إليّ. ستجد عند وصولك عدداً من الناس كبيراً. قف حيث تمكن مشاهدتك من جميع الجهات. وحين يصل المأمورون لا تدع الشك يخامر أحداً في أنك على قابي قوس من إعطاء أمرك ببدء التنفيذ. وبدهي أن يبدي الحاضرون استياءهم. ودع السيد لو يرى هذا الاستياء ويشعر به. ثم قل له انه إذا أثار الحادث صباح غد هياجاً دولياً فسيكون هو السبب."

ابتسم هنري ابتسامة عريضة. فتابعت: "اسأل السيد لو هل يوافق على الاحتكام الى الأعراف الصينية إذا أنا ألغيت جميع الاجراءات التي اتخذت في هذه القضية وفاقاً للقانون البريطاني. وامنحه وقتاً كافياً كي يفكر في الأمر وقل له إن قراره سيكون خطيراً. فإذا رفض، ابتعد عن المكان وأشعل السيجار. ثم اطلب من السيد لو أن يركب سيارته وينطلق بها بأقصى سرعة ممكنة."

- ولكن ماذا نفعل إذا رضي السيد لو باقتراحك؟

"تقول للجميع، بمن فيهم المأمورون، إن في إمكانهم الذهاب الى بيوتهم."

- الذهاب الى بيوتهم؟

"نعم، وأنت أيضاً. ولكن تعال لرؤيتي أولا."

انتصار العرف الصيني

رجع هنري قبيل الوقت المحدد لانصراف الموظفين وقال وهو يمسح العرق المتصبب من جبينه: "أفٍّ! كان ذلك حدثاً ذا شأن!"

وأخبرني أنه عندما وصل الى المكان المحدد رأى ما يزيد على تسعمئة رجل قد أحكموا الاحاطة بالحقلين. ووجد الصحافيين والمصورين على أهبة الاستعداد. أما المأمورون فوصلوا (كما كنت أتوقع) في سيارة بريطانية صغيرة مثيرة للسخرية وهم يرتدون ثيابهم الريفية. وبدأ صبري ينفد فقلت: "حسناً، وماذا حدث يا هنري؟"

فوضع السيجار على مكتبي وكان لا يزال غير مشعل. فهممت: "ماذا قال السيد لو؟"

فجعل هنري يصفق في الهواء مقلداً السيد لو وأجاب: "قال إنه يفعل كل ما يريده حضرة القاضي."

قلت وأنا أحاول إخفاء شعوري بالراحة: "وهكذا ذهبتم جميعاً إلى البيت؟"

- نعم يا سيدي.

"وتركتم الرجال التسعمئة هناك؟"

- بالطبع يا سيدي!

"ليباركك الله يا هنري! هذا تماماً ما كنت أبغيه. والآن أرجوك أن تطلب من الموظف المسؤول عن الرخَص أن يأتي إليّ."

فغادر هنري المكتب وبعد برهة دخل لاو، الموظف المسؤول عن الرخص، فقلت له: "أنت تذكر أنك أخبرتني يوماً أن زوجة ذلك المزارع تملك دكاناً للخضرة في مكان آخر من المقاطعة، فهل هذا المكان هو تسوين وان؟"

فهز رأسه موافقاً وهو يترقب ما سأضيفه فقلت: "ابعث اليها من فورك رسالة بالبريد المضمون وأبلغها أنك ستلغي رخصة الدكان بعد سبعة أيام."

فهز رأسه ثانية وتوجه الى الباب ثم توقف لحظة فأضفت: "شكراً لك يا لاو."

وبعد أربعة أيام بات حقلا السيد لو خاليين من الكوخ والحظيرة والبقر والمُزارع وانتزع منهما عدد رمزي من الكرنب وترك الباقي ليفسد.

والحق أني لم أكن أتوقع أن يتمّ ذلك بهذه السرعة. وكثيراً ما تساءلت لماذا تعيش زوجة المزارع بعيداً عنه. وقد اتفق أننا اهتدينا الى مصدر رزقه الأساسي.

وبعد بضعة أشهر التقيت السيد لو في حفلة استقبال بارزة في المدينة فسألني: "كيف تمكنت من فعل ذلك؟"

فأجبته بصفاء: "بالاحتكام الى الأعراف الصينية. وأرجو أن تتفضل عليّ بإعلام ممثليك القانونيين بالأمر."

ولم يكن من اليسير أن أخبره أن تسوية ذلك الشأن وسواه من الشؤون لا تكون إلا بالخداع.

وبدهي أننا أحجمنا عن إلغاء رخصة زوجة المزارع بعدما وافق على مغادرة أرض السيد لو.

سبع سنوات في مركب

اليكم الآن قصة زوجين من صيادي السمك مضى على زواجهما سبع سنوات من دون أن ينجبا أولاداً. وكان الرجل ينتمي الى قبيلة من الصيادين الرحل القادمين من فوجيان. وكان أهل كانتون يطلقون على أبناء هذه القبيلة اسم هوكلو. ولم يكن الرجل يتكلم الكانتونية ولا الهكّـه اللتين كانتا اللغتين الرئيسيتين في المقاطعة، ولم يكن في مقدور أحد في المحكمة أن يفهم لهجته. واستطاع السيد لوه بعد لأيٍ أن يجد شخصاً من قبيلة الهوكلو يمكنه ترجمة كلامه الى الكانتونية.

أما الزوجة فكانت من مقاطعة غوانغكسي الريفية التي تبعد مئات الكيلومترات عن هونغ كونغ. وكانت هي أيضاً تحتاج الى مترجم لأنها لم تتكلم بلهجات المقاطعة. ووجدنا صعوبة جمة في إيجاد شخص يفهم لهجتها، لكننا وفقنا الى ذلك في نهاية المطاف. وبدأت المحاكمة في حضور عدد كبير من الاشخاص لمساعدتنا.

وكان منظر الزوجين يبعث السرور في النفس. فقد ظهرت عليهما أمارات العافية والاستقامة ولوّحت بشرتهما أشعة الشمس. وبدا الرجل في الخامسة والثلاثين وقد فعلت فيه عناصر الطبيعة. وكانت الزوجة امرأة ريفية جميلة حقاً ذات قوام رائع وعينين صافيتين

جميلتين تنمّان عن صدق بيّن وأمانة واضحة.

وجلس الزوجان أمامي متحليين بصبر ظاهر على رغم طول الوقت الذي استغرقه تخاطبنا. فقد كنت أطرح سؤالي بالانكليزية فيعمد السيد لوه الى ترجمته الى الكانتونية ومن ثم ينقله مترجم آخر الى الهوكلو. وعندما كان الزوج يجيب كنا نمرّ بالمراحل ذاتها على نحو معكوس. ولم يكن الامر مختلفاً عن ذلك عندما كنت أوجه أسئلتي الى الزوجة وتجيبني بلهجتها الخاصة.

واتضح أن الزوجين عاشا معاً سعيدين في مركب صغير مكشوف مدة سبع سنوات. ثمّ عنّ للزوجة أن تطلق زوجها وترجع الى قومها. وبدا واضحاً أنهما كانا متحابّين ولم يكن الزوج يريدها أن تتركه، لكنها رأت أنها خذلته لأنها لم تنجب له طفلا، ورغبت في أن تحرّره كي يتخذ زوجة ثانية وتعود هي إلى مقاطعة غونغكسي حيث يمكن أن تجد لها زوجاً قبل فوات الأوان. والحق أن كلا منهما كان يفكر في مصلحة الآخر فقط، ووجدت ذلك مفطّراً للقلب فسألت الزوج: "لماذا لا تطلب من زوجتك أن تغيّر رأيها؟"

وتلقيت منه عبر المترجمين جواباً غريباً هو: "لا أستطيع ذلك."

قلت له بلطف: "ماذا تعني بقولك هذا؟ أطلب منها ذلك الآن أمامي ولا تكن خجولا!"

فقال بهدوء: "لا أستطيع."

وجعل المترجمون الحاضرون يتبادلون التساؤلات في ما بينهم ومع الزوجين. ولم يمض وقت طويل حتى لاحظت المترجمين يحاولون إخفاء ابتساماتهم. فقد عاش الزوجان سبع سنوات في مركب صغير من دون أن تربط بينهما لغة مشتركة. وهززت رأسي مستغرباً فيما ارتسمت على وجه السيد لوه ابتسامة بريئة لم أشاهدها من قبل. ثم لم يلبث أن تنهد وقال بلهجة ودودة تنم عن خبرته في الحياة: "آه! إنها لغة الحب!"

ورحت أنظر إلى الزوجين فخطر لي أننا وان بلغنا من العمر مئة عام لما أمكننا أن نتبادل الحديث. وعلى رغم ذلك جرى بيننا في تلك اللحظة لون من الكلام. وعرفت أننا لن ننسى أبداً تلك اللحظة. ولم ألبث أن قلت للسيد لوه: "هل تظن أنهما كانا متزوجين حقاً؟" وسرعان ما أمسكت عن الكلام. فقد كانا يرغبان في إنجاز جميع الاجراءات على النحو الصحيح كي يحافظ كل منهما على مستقبل الآخر، غير أني وجدت الحكم عليهما بالطلاق أمراً مزعجاً جداً. فهممت مخاطباً السيد لوه: "سبع سنوات في مركب! إنه لإنجاز عظيم، ومما يؤسف له أنهما لا يستطيعان متابعته."

فتنهد قائلا: "إني أوافقك في الرأي، ولكن كيف يمكن إبلاغهما ذلك من خلال هذا العدد الكبير من المترجمين؟"

فعمدت إلى المجلد الضخم وألغيت الزواج على مضض.

انقلوا الرابية

إن واجب المسؤول المحلي هو تسوية الأمور بين المدينة والريف وتحقيق الانسجام بين المصالح المتضاربة ومراقبة عملية بناء البيوت والتدريب على تربية

المواشي والاشراف على زراعة الاشجار والدعوة إلى مكارم الأخلاق وتشجيع إقامة علاقات بنوية وأخوية طيبة وحث الناس على إطاعة الحكومة والعيش في سكينة ويسر.

والحق ان تحديد واجباتي على هذا النحو أخذ من تعاليم الفيلسوف الصيني هسون تسو الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وكان ذا خبرة في الادارة. ومما يدعو الى الدهشة أن هذا التحديد لا يزال دقيقاً جداً بعد مرور ٢٢٠٠ سنة على وضعه. فقد صرفت معظم وقتي في المقاطعة في "تسوية الأمور بين المدينة والريف." فمدينة هونغ كونغ كانت آخذة في الامتداد السريع، ووجبت عليّ محاربة هذا الامتداد الذي يشكل اعتداء على الريف، وحماية القرويين والحياة القروية جهد المستطاع كي أجنب الريفيين مكابدة آثار التغير السريع.

كذلك كان من واجباتي اظهار حدود الأراضي للتوفيق بين المصالح المتضاربة. أما "التدريب على تربية المواشي" فكان لحسن الحظ من شأن دائرة الزراعة. إلا أنه بقي عليّ تحديد القرى التي ينبغي تزويدها البقر والدجاج وضروب الحيوان الأخرى. وأما "الاشراف على زراعة الاشجار" فكان لا يزال أمراً حيوياً كما في زمن هسون تسو.

وفي ما يتعلق بـ"الحث على مكارم الاخلاق وتشجيع إقامة علاقات بنوية وأخوية طيبة" فقد كثر الكلام جداً على هذا الأمر. فالحث على مكارم الأخلاق كان هو مفتاح العمل، إذ لم يكن من واجب القاضي إطلاق الاحكام الأخلاقية على الناس، بل واجبه إرشادهم الى الافعال الصحيحة المستحسنة.

وكانت "تسوية الأمور بين المدينة والريف" تهمّ تسوين وان خصوصاً انها كبرى مدن المقاطعة. وكانت هذه المدينة في الأصل مكونة من ثماني قرى ذات بيوت من حجر بنيت في القرن الثامن عشر في منطقة خصبة يزرع فيها الرز وتواجه خليجاً يكثر فيه صيد القريدس (الجمبري). وتعد تسوين وان اليوم المركز الصناعي الثاني بعد كولون.

على أن القرى الثماني الاصلية التي غرقت الآن في خضم التشوش الصناعي، لا تزال محتفظة بطابعها الريفي. وكان من شأن ارتفاع أسعار الاراضي ان يدفع القرويين الى بيع أراضيهم الزراعية. غير أن هذا يعني انتهاء معظم السكان الاصليين إلى البطالة لأنهم لا يصلحون للأعمال الصناعية. لذلك لزم علينا أن نحتفظ بأراضي تسوين وان المستعملة لأغراض زراعية أطول مدة ممكنة كي يتاح للسكان الأصليين وقت كاف للتكيف مع محيطهم الجديد.

أما تضارب مطالب الصناعيين ومستثمري الاملاك مع المصالح الحكومية والمنافع العامة فبلغ حداً من التعقيد جعلني أركب السيارة مع الموظفين المسؤولين عن الأراضي أملا في تكوين انطباع عام عن منطقة تسوين وان. وأوقفنا السيارة على مسافة ثمانمئة متر من المدينة وجعلنا نراقب المنظر من منحدر قريب.

وشاهدنا المدينة والخليج. ورأينا الى جهة اليابسة تلة وحيدة اقترحت دائرة

التربية بناء مدرسة كبيرة عليها. وحول المدينة والتلة بدت لنا حقول الرز الأخضر والأراضي المنسقة المزروعة خضراً.

وكانت مشكلة تسوين وان المباشرة حاجتها الملحة إلى مزيد من بيوت العمال والدكاكين والمحلات التجارية. وكان وسط المدينة (أي القرى الثماني الاصلية والأبنية التي شيدت فيها خلافاً للقانون) بلغ من القذارة والازدحام حداً لم يبق معه مفر من هدم معظم الابنية القائمة فيه. إلا أن ذلك لم يكن ممكناً من دون تأمين مساكن للاهالي. واقتضى تأمين هذه المساكن إنشاء شوارع جديدة في الأماكن الموازية لوسط المدينة، ولم يكن ذلك ممكناً إلا باللجوء الى مزيد من الحقول الزراعية.

وبدا كل ذلك صعباً بحيث انصرفت موقتاً عن التفكير في الموضوع. وشرعت أفكر في التلة والمدرسة التي ستقوم عليها. ثم رحت أتخيل المدرسة نفسها. وتذكرت أني كنت أكره الذهاب إلى المدرسة عندما كنت صبياً. وخلتني صبياً صغيراً يجرّ كتبه صاعداً التلة في حرّ الصيف متوجهاً الى المدرسة فيصل الى صفه والعرق يتصبب من جسده، ثم يضطرّ إلى الاصغاء الى أحد الدروس المملة. وعلمت أني سأكره تلك المدرسة فقلت: "أظن أني عرفت ما ينبغي عمله."

فأخذ المسؤول الأول عن شؤون الاراضي، وهو رجل أوروبي ضخم الجسم، يقلّب فيّ بصره كأنما ينظر إليّ من علٍ. فأحسست أني ارتكبت حماقة ما، وحاولت أن أبدو ذا سلطة فتابعت وأنا أشير الى التلة: "نعم، اهدموا تلك التلة واردموا بها البحر من الجهة الأمامية للمدينة فيؤمّن لنا ذلك الشوارع التي نحتاج اليها لتشييد الابنية السكنية والمحلات التجارية، ونبني المدرسة في موضع التلة المسطح.

ورحت أنتظر ردّه خائفاً أن يكون مجرد قهقهة. غير أنه خلافاً لما توقعت أخذ يقدر مساحة التلة ثم قال: "نعم، هذا يحل المشكلة."

وبعد أقلّ من سنتين امّحت التلة بكاملها وعبدت شوارع جديدة في ناحية تسوين وان المواجهة للبحر. أما في طرف المدينة فكان أكثر من خمسمئة صبي يذهبون الى المدرسة يومياً من دون أن تتصبب على جباههم قطرة عرق واحدة.

والواقع ان موظفي دائرة شؤون الاراضي في هونغ كونغ كانوا أكثر مني الفة لفكرة نقل التلال. فمنطقة كولون هي في الحقيقة مجموعة من التلال المسطحة. ولا ريب في أن "تسوية الأمور بين المدينة والريف" تبعث السرور في نفس المرء أحياناً، ومعظم الناس لا يسعهم الانكار أن قدرة المرء على نقل التلال هي مبعث سرور في النفس.

عصائب القاضي

كان قرب مكتبنا في هونغ كونغ واحد من أشهر محلات العصائب (٣). وكان في المحل صبي يحضر لي للغداء أحياناً طبقاً من العصائب الساخنة مغطى بورق معدني وموضوعاً على صينية فيها وعاء من مرق

---

(٣) العصائب (noodles) ضرب من المعكرونة المسطحة الشائعة في الصين.

الصويا وآخر من الخردل ومرق الحر الاحمر وعودان للاكل (chopsticks) مغلفان بمنديل من ورق. وكان كثير من الموظفين يفيدون من هذه الخدمة خصوصاً عندما تشتدّ وطأة العمل.

وذات يوم بعد انقضاء فترة الظهيرة، ألفيت أمامي زوجاً وضرّتين متخاصمتين أتى بهم إليّ أحد شيوخ القرى. وكانت إحدى الضرتين هي الزوجة ذات الحظوة عند زوجها فيما كانت الثانية مجرد جارية. غير أن الجارية كانت هي التي تزوجها الرجل أولا وأنجبت له صبياً. ومن ثم عمد إلى تزوج الثانية التي باتت هي الزوجة ذات الحظوة، الا أنها لم تنجب له صبياً. وهكذا بدت الزوجتان متساويتين على نحو ما في مقامهما الزوجي.

ومضت سنوات لم يعرف الزوج فيها طعم السعادة. فقد ناصرت كلا من الزوجتين المتخاصمتين بعضُ نساء القرية ونشأ في القرية فريقان متصارعان. ورأى الشيخ أن تذهب إحدى الزوجتين لتعيش في بيت أصغر يملكه الزوج في إحدى التلال المشرفة على القرية بحيث يزورها على نحو منتظم.

وكان السؤال المطروح هو أي الزوجتين تذهب. فالزوج لم يكن قادراً على اتخاذ القرار لأنه لم يرغب في أن تغدو حياته أكثر مرارة. كذلك عجز الشيخ عن اتخاذ القرار لأن أي قرار يتخذه سيؤلب عليه نصف القرية. فلو كان الأمر خالياً من العقد لقضى القرار ببقاء الزوجة ذات الحظوة في البيت الأساسي وانتقال الجارية إلى البيت الآخر. غير أن المشكلة كانت أكثر تعقيدا وذلك لوجود الزوجتين في وضعين متكافئين، ففي وسع الزوجة ذات الحظوة أن تطلب بقاء الصبي معها على رغم أنها ليست أمه الحقيقية. وربما أيد الزوج هذا الطلب رغبة منه في البقاء مع ابنه مما يتسبب في افتراق الأم الحقيقية عن ابنها.

وكانت الزوجتان متكدرتين جداً. ولئن أمكن أن تكون كل منهما على حدة زوجة صالحة فإنهما لم تكونا تطاقان مجتمعتين.

ويمكن اختصار حجة كل من الزوجتين بما يأتي: لماذا أترك هذا الرجل مع تلك المرأة التي تسيء معاملته؟

وبدا لي أن مسألة "العطف" على الزوج هي النقطة الأساسية في الأمر. فالشيخ كان يعلم أي الزوجتين أكثر عطفاً، لكنه في ما يظهر لم يستطع إخباري بذلك. وهكذا تعين عليّ أن أكتشف الحقيقة بنفسي. إلا أن الزوجتين راحتا تمطران احداهما الاخرى بوابل من الشتائم لم أكن بمنأى عنه أحياناً، فأخفتا عني بذلك حقيقة عطفهما.

وفي الاولى بعد الظهر أخذ اليأس يطبق عليّ. وفجأة فتح الباب ودخل صبي العصائب وعلى وجهه ابتسامة عريضة وهو يرفع غدائي عالياً. ولم يكن الصبي على علم بانعقاد الجلسة، فوضع الصينية أمامي ورفع الغطاء عن طبق العصائب ثم خرج من الغرفة. وانبعثت من الطبق سحابة من البخار وعمّت المحكمة رائحة مسيلة للعاب.

ولم ألبث أن خاطبت الحاضرين: "انتبهوا أيها الناس. هذا يوم حافل بالعمل بالنسبة إليّ، لكني لا أريد

مقاطعتكم. فسأستمرّ في الاصغاء اليكم، ولكن هل لكم أن تتفضلوا بمعذرتي إذا أنا تناولت غدائي الآن؟"

ونظرت الى أعلى لمعرفة ردّ المرأتين. فألفيت الزوجة ذات الحظوة تحدق إليّ بازدراء. أما الجارية فظهرت على شفتيها ابتسامة ساحرة وقالت: "بالطبع يا سيدي القاضي، يجب أن تأكل طبق العصائب."

وتبين لنا أي الزوجتين ألطف في معاملة الرجل، غير أني تركت القضية تطول قليلا كي أخفي عنهما القرار الذي لم اتخذه أنا، بل اتخذته العصائب. ومن ثمّ أمرت الزوجة ذات الحظوة بالانتقال الى البيت القائم في الرابية حيث يزورها الزوج على نحو منتظم، وطلبت من الجارية البقاء في القرية.

ووقف الحاضرون استعداداً للذهاب. والحق أنهم كانوا جميعاً يعلمون الحقيقة لكنهم احتاجوا الى شخص ذي سلطة يخبرهم بها.

ولست أشكّ في أن ذلك المحل الذي يبيع العصائب هو محل ممتاز!

ثلاث بقرات وامرأتان

كانت مظاهر كثيرة من حياة الاراضي الجديدة تزعجني كأوروبي اكثر مما تزعج موظفيّ الصينيين. لذلك سرّني دائماً ان أرى أحد هؤلاء الموظفين عاجزاً عن ملك نفسه أمام بعض القادمين الى المحكمة، فهذا يدل على أن العجز لم يكن وقفاً عليّ. وكم تمنيت أن أجد الموظفين جميعاً في حال مماثلة.

وتحققت امنيتي مرة واحدة من خلال قضية استدعى الحكم فيها بضع جلسات في المحكمة، وكان غضب الموظفين في كل من هذه الجلسات يزداد عنه في الجلسة السابقة.

والسبب في هذا الازعاج الذي دام ثلاثة أشهر امرأتان ربطت بينهما صلة قربى وعاشتا في قريتين نائيتين على الروابي. وهما ركبتا الحافلة نفسها في المرة الاولى، وعندما وصلتا الى المكتب جلستا بهدوء الى أن حان موعد البحث في قضيتهما. وهكذا كانت البداية. فقد جعلت كل منهما تشتم الأخرى بأعلى صوتها وأتت شتائمهما مصحوبة بهزات للاكتاف معبرة عن الاستياء وبنظرات ازدراء. وتعالى صراخهما معظم الوقت على نحو متزامن وانبعثت منه ضجة رهيبة.

وكان موضوع خلافهما ثلاث بقرات تدعي كل منهما أن لها نصف الحصة فيها. ولما كانتا تعيشان في قريتين مختلفتين فقد تسبب ذلك في نشوء مشكلة بينهما. وكان بدهياً أن يصير في المقام الاول تقدير ثمن البقرات. ولكن كانت بين هذه البقرات عجلة. واذ تعذر على أي منا أن يقنع المرأتين بالاتفاق على أمر من الامور فقد كنا نطلب منهما كل مرة الذهاب الى منزليهما للتفكير في ما اقترحناه. وفي أثناء ذلك كانت العجلة تكبر وثمنها يزيد فاضطررنا الى بدء كل جلسة جديدة باعادة تقدير ثمن البقرات، فتعمد المرأتان الى صب جام غضبهما علينا. لذلك كان كل من يتعامل معهما يستشيط غضباً ويرد على صراخهما بصراخ مشابه.

وعلى رغم ذلك خطر لي بعيد مجيئهما للمرة السادسة أن ألجأ الى أسلوب مختلف. فعندما انبعث الضجيج في المرة التالية من المكتب الخارجي علمت بقدومهما ثم جلست أصغي اليهما بهدوء.

وكم كان سروري عظيماً حين رأيت أن أحداً من الموظفين لم ينج من آثار هذه القضية وأن الغضب الشديد انتقل من مكتب الى آخر فاستبد بهم جميعاً. وأخيراً جيء بالمرأتين الي بعدما أخذتا تطلقان أصواتاً كالشخير غير آبهتين بالموظفين. ووقفتا أمامي وقد بدت عليهما أمارات الحنق المستعر. وكنت في مناسبة سابقة ذكرت لهما أني سآمر بذبح العجلة وقسمتها بينهما بالتساوي إذا هما لم تلزما الهدوء.

ولم ألبث أن قلت للسيد لوه: "اسألهما من فضلك هل لهما أقرباء في أمريكا فقد اتفق أن مررت في قريتهما في اليوم السابق وعلمت أن معظم أهلهما من الرجال يعيشون في نيويورك".

وتبين أن للمرأتين قريباً يعيش في نيويورك هو زوج إحداهما وأخو الأخرى وقد مضى على وجوده في الخارج إحدى عشرة سنة. فقلت لهما: "أرجو أن تعطيا السيد لوه اسم قريبكما وعنوانه قبل ذهابكما، وليس لديّ ما أضيفه اليوم وشكراً."

وبدا عليهما الارتباك للمرة الاولى فراحتا تحملقان فيّ مغضبتين ثم غادرتا الغرفة وعاد الصخب خارج المكتب.

واتضح أن العنوان هو عنوان أحد المطاعم الصينية الفخمة في نيويورك.

وعمدت الى إملاء رسالة جاء فيها ما يأتي:

سيدي،

إننا لا نزال منذ بضعة أشهر نعاني إزعاج امرأتين من عائلتك أبدتا رغبتهما في أن ننظر في قسمة ثلاث بقرات بينهما بالعدل.

ونحن لا نود مناقشة حقك في الهجرة الى أمريكا والبقاء هناك إحدى عشرة سنة من دون أن تزور عائلتك. لكننا نود ببساطة أن نلفتك الى أننا نرى أن تكليفنا حل مسائل رياضية مستعصية أمر يتعدى نطاق عملنا. فإذا كنت تزمع الاستمرار في نمط حياتك الحالي، فنرجو أن تتدبّر شؤونك العائلية على النحو الذي يروقك بحيث تغدو حيازة البقرات الثلاث امراً ممتعاً لزوجتك وشقيقتك وبحيث تكفّان عن إزعاجنا.

ولئن تكن هذه الرسالة في الانكليزية لا تخلو من الحدة فانها بدت في الصينية رسالة عاصفة. وفيما كنت أضع عليها ختمي الاحمر أحسست أني امبراطور حقاً.

الاحساس بالعظمة

لم يكن مناص من أن تنتهي يوماً خدمتي في المقاطعة، وبات عليّ أن أغادرها في وقت معين.

ولست أشك في أنكم اكتشفتم من خلال هذه الصفحات نقائص كثيرة في القاضي الأعلى، غير أنه كان يندر أن تعوزه الثقة بالنفس. وعلى رغم ذلك فكثيراً ما تساءلت عن حقيقة نظرة الموظفين إليّ. والواقع أني عودت نفسي على اعتبار معرفة هذه الحقيقة ضرباً من المستحيل. على أن السيد لوه المحافظ والصموت فاجأني مرة قبيل مغادرتي المقاطعة قائلا، بعد تأمل طويل: "حسناً.

في المختار الشهر المقبل

لماذا يضرب الرجال نساءهم؟

إن ضرب الزوجات قصة قديمة. فهناك امرأة تضرب كل ١٨ ثانية، وأكثر من مليون يحتجن الى معالجة طبية سنوياً، وتموت أربع يومياً.

دليل الـ"ريدرز دايجست" الى اللياقة البدنية

برنامج رياضي منزلي وضعته مجموعة من خبراء اللياقة البدنية في تصرف قراء الـ"ريدرز دايجست".

وحده ضد القراصنة

طوال أسابيع روّع القراصنة اللاجئين الفيتناميين الذين جنحت قواربهم الى جزيرة نائية. وعلقت الآمال على شاب واحد قادر على وقف هذه الاعتداءات.

نهب كنوز الفن

تتعرض المواقع الأثرية والمتاحف والمعارض لسرقات فردية أو منظمة. وهذه مأساة حرمتنا أعمالا فنية لا تقدر بثمن.

السكري لم يعد مميتاً

لم يكتشف الطب بعد علاجاً شافياً من هذا المرض، لكن السيطرة عليه ممكنة بالمعالجة والمتابعة.

أمل للمحرومين من الاولاد

بات في وسع الاطباء مساعدة نصف الازواج المصابين بعقم على... الانجاب!

كتاب الشهر: رحلة الجبل الأحمر

عرض للعوامل الطبيعية في القطب الشمالي وأثرها في الجبل الجليدي الذي جاس البحار شاقاً طريقه جنوباً في موعد مع الموت.

إضافة إلى مَقالات أخرى شائقة وقصَص مُسلّية

لم تمرّ بحياتي كلها سنوات بذلت فيها جهداً مماثلا، غير أني لم أعرف من قبل متعة تضاهي تلك التي عرفتها في هذه السنوات."

والحق أني لن أنسى أبداً هذا الثناء.

أقلعت الطائرة من مطار كاي تاك في اتجاه البحر، وأمكنني أن أشاهد تحتي لبضع دقائق الجزء الشرقي من المقاطعة. فجعلت أنعم النظر في واحد من أبعد الاودية وأكثرها خصباً، فاكتشفت بقعة بيضاء صغيرة هي جسر قوي ثابت بني بالاسمنت فوق أرض صخرية عبر نهر يطوف موسمياً. وكان الى جانب ذلك الجسر حجر ضخم من الصوّان الأبيض نُقش عليه تاريخ بناء الجسر وأسماء الذين ساعدوا في بنائه. وكان الحجر سجلا تاريخياً لم يرغب القرويون في فقده. فاذا اتفق أن أبدل الجسر يوماً ببناء آخر فإن الحجر يبقى محفوظاً (يمكن إدخاله جدار أحد الهياكل).

وكان اسمي أول الاسماء المنقوشة على ذلك الحجر، وذُكر قرب الاسم لقبي الرسمي. والاسم المنقوش كان اسمي الصيني "كاو تسي" وليس فيه ما يدل على أني غير صيني. إلا أن لقبي أشعرني بعظمتي الكبيرة.

ولم ألبث أن جلست مرتاحاً في مقعدي. والحق أن تفكير الغرب أو الانسان الغربي في إمكان حدوث تغيير في الصين ضرب من الوهم. فكل ما يستطيع الغربي إنجازه هناك هو أن يضيف حبة ملح الى ماء البحر لأن الصين هي كالبحر من مادة لا تتغير. غير أن الحجر المنقوش الى جانب الجسر سيؤكد على مدى سنين طويلة أني كنت أنا من ذوي الشأن العظيم.

أوستن كوتس ■

مستشفى المباحث

بصفتي كاتباً ليلياً في مكتب التحقيق الاتحادي (FBI) كنت في أحيان كثيرة أتلقى مكالمات هاتفية يقصد بها مستشفى يشبه رقم هاتفه رقم مكتبنا. وحين رفعت السماعة ذات ليلة وأجبت: "مكتب التحقيق الاتحادي" تناهت الي شهقة دهشة من الجانب الآخر. وأدركت أن المتكلم أخطأ الرقم وحاولت مساعدته فقلت: "لا بأس، أنت تريد مستشفى نورث كانساس، أليس كذلك؟" وقبل أن أتمكن من اعطائه الرقم الصحيح للمستشفى سمعت شهقة أخرى وصوتا متلعثماً: "عجباً، انكم معشر رجال المباحث تعرفون كل شيء حقاً."

ش.س.

الحقيقة لا تترك أثراً الا في المستعد لتلقيها. ك.م.

اكتب واربح

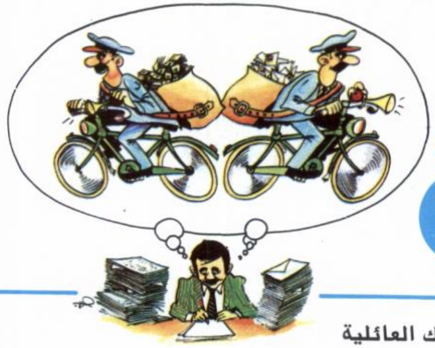

هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.

"واجهات ساو لويز" للبرتغالية مادلين كولاكو